



القلزم للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان
بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك



ISSN:1858-9952

مجلة القلزم العلمية للدراسات التاريخية والحضارية علمية دولية ربع سنوية محكمة - العدد الواحد والعشرون جمادي الأولى 1444 هـ - ديسمبر 2022 م

في هذا العدد :

- حركة الترجمة في العصر العباسي الاول وأثرها العالمي (132 - 247 هـ/ 750 - 867 م)
أ.د. اسامة عبدالرحمن الامين
- الحركة السنوسية ودورها في محاربة الاستعمار الفرنسي في السودان الأوسط (تشاد)
أ.د. محمد أبو محمد إمام - أ. عبد العزيز أبكر آدم
- التدخل الكوي في أنجولا (1963 - 1991 م).
د. خالد حمدي أحمد علي
- أبو مسلم الخراساني (دراسة تحليلية) (100 - 137 هـ/ 718 - 755)
د. حامد إبراهيم الاحيدب قادم
- سوق أم درمان الكبير (دراسة تاريخية)
د. صديق بابكر احمد دفع الله
- موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر ودورها في حركة التجارة الدولية (في الفترة 1450 - 1550 م) (الطور وسواكن أمودجا)
أ. ماجد يحيى مجاهد لعجه
- تطور العلاقات الأمريكية-الإسرائيلية وتأثيرها على لبنان (1383 - 1387 هـ/ 1964 - 1967 م)
أ. وضحي ملفي مفلح الخزامي



العدد الواحد والعشرون - جمادي الأولى 1444 هـ - ديسمبر 2022 م

ردمك ISSN: 1858 - 9952



دار آريثريا للنشر والتوزيع
Arythria for Publishing and Distribution

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة القلزم: Alqulzum Journal for
Historical and cultural Studies

الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2022
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي
السودان - الخرطوم
ردمك: 1858-9952

مجلة القلزم للدراسات التاريخية و الحضارية

الهيئة العلمية و الإستشارية

- أ.د. حسن أحمد إبراهيم-السودان
أ.د. سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية السعودية
أ.د. أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان
أ.د. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان
أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر العربية
أ.د. السمانى النصري محمد أحمد - السودان
د. أحمد الياس الحسين - السودان
د. داود ساغه محمد عبد الله- السودان
د. سلطان أحمد الغامدي- المملكة العربية السعودية
د. سامي صالح عبد المالك البياضي- مصر
د. محمد أحمد زروق- المغرب
د. سعاد عبد العزيز أحمد السودان
د. أحمد محمد مركز- السودان
د. باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا
د. عزة محمد موسى - السودان
د. حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان
د. ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د.إبراهيم البيضاني

رئيس هيئة التحرير

أ.د.حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسني شبا

سكرتير التحرير

د.سلوى التجاني فضل جبر الله

التدقيق اللغوي

أ.الفتاح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم الداخلي

أ. عادل محمد عبد القادر

تصميم الغلاف

ايلين عبد الرحيم ابنعوف

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة

تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (الْقُلُزْم) للدراسات التاريخية و الحضارية مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان . بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التاريخية والحضارية والمواضيع ذات الصلة لدول حوض البحر الأحمر من الناحية التاريخية والحضارية.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
 2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
 3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً بالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
 4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
 5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R).
 6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
 7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
 8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
 9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).
- نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

المحتويات

- حركة الترجمة في العصر العباسي الاول وأثرها العالمي (132 - 247 هـ/ 750 - 867م).....(7-24)
أ.د . اسامة عبدالرحمن الامين
- الحركة السنوسية ودورها في محاربة الاستعمار الفرنسي في السودان الأوسط (تشاد).....(25-52)
أ.د. محمد أبو محمد إمام - أ. عبد العزيز أبكر آدم
- التدخل الكويتي في أنجولا (1963 - 1991م).....(53-78)
د.خالد حمدي أحمد علي
- أبو مسلم الخراساني (دراسة تحليلية) (100 - 137 هـ/ 718 - 755).....(79-90)
د.حامد إبراهيم الاحيدب قادم
- سوق أم درمان الكبير(دراسة تاريخية).....(91-98)
د.صديق بابكر احمد دفع الله
- موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر ودورها في حركة التجارة الدولية (في الفترة 1450 - 1550م)
(الطور وسواكن أمّوذجاً).....(99-112)
أ.ماجد يحيى مجاهد لعجه
- تطور العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية وتأثيرها على لبنان(1383 - 1387 هـ/1964_1967م).....(113-136)
أ. وضحي ملفي مفلح الخدامي

كلمة التحرير



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين.

القارئ الكريم:

بعد السلام وكامل التقدير والاحترام يسعدنا أن نضع بين يديك هذا العدد من مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية الذي يأتي في إطار الشراكة العلمية المثمرة والجادة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين (الدنمارك).

القارئ الكريم:

هذا هو العدد الواحد والعشرون من المجلة بفضل الله وتوفيقه بعد أن نجحت المجلة بواسطة هيئتها العلمية والاستشارية وهيئة تحريرها في إصدار تسعة عشر عدداً من المجلة، الأمر الذي يضع الجميع أمام تحدٍ كبير يتمثل في بذل المزيد من الجهد بغرض التطوير والتحديث والمواكبة لتصبح هذه المجلة في مصاف المجلات العالمية الرائدة بإذن الله تعالى.

القارئ الكريم:

نأمل أن يكون هذا العدد أكثر شمولاً وتنوعاً من حيث المواضيع وطريقة طرحها وتحليلها ومعالجتها. ونسأل الله تعالى أن يجد المهتمين والمختصين والباحثين في هذا العدد ما يفيدهم ويضيف للبحث العلمي. وأخيراً نجدد شكرنا وامتناننا لكل الذين أسهموا في إنجاح هذا العدد من باحثين، ومحكمين ونجدد دعوتنا للجميع بأن أبواب النشر مشرعة في جميع مجالات القلزم العلمية المتخصصة.

أسرة التحرير

حركة الترجمة في العصر العباسي الاول وأثرها العالمي (132 - 247 هـ / 750 - 867 م)

قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة الزعيم الازهري

أ.د. اسامة عبدالرحمن الامين

المستخلص:

لم يمضي الكثير علي ظهور الاسلام ودولته حتي اصبحت للمسلمين دولة شاسعة مترامية الاطراف ،وقد صاحب ذلك وهذا امر طبيعي بروز الكثير من المشاكل والصعوبات علي مختلف المستويات ، وفي سبيل ايجاد الحلول لهذه المشكلات والصعوبات وبحثاً عن ان تكون لهم مكانة بين الامم الاخري، برزت ضرورة واهمية حركة الترجمة لمعالجة الجوانب التي يمكن معالجتها ، وقد ساعد علي ذلك الازدهار الاقتصادي الكبير للدولة والتي اصبحت تمتلك الاموال الكافية للانفاق علي هذه العمليةبالاضافة للارادة القوية. لقد استقي المسلمون تراث الاغريق من المراكز الثقافية في الشرق القديم ، وتاتي في مقدمة هذه المراكز مدرسة الاسكندرية،وهناك مدرسة جنديسابور التيجمعت في تدريسها بين العلوم الاغريقية والفارسية والسريانية ، بالاضافة لحران التي مثلت احدي المراكز الثقافية اليونانية المهمة . كذلك لعب السريان دوراً كبيراً في حركة الترجمة واصبحوا يمثلون حلقة من حلقات الاتصال بين الفلسفة والعلوم الاغريقية من ناحية والمسلمين من ناحية اخري. تطلبت حركة الترجمة امكانيات ومميزات يجب ان تتوفر في الشخص الذي يحترف الترجمة، منها الجوانب العلمية والجوانب المهارية ، ان تميز حركة الترجمة عند العرب والمسلمين جاء من امتلاكهم ناصية العلم والمعرفة والمهارة الكافية للقيام بهذا العمل .عليه يمكن القول ان الموسوعية هي التي ميزت قيمة وعظمة الترجمة في ذلك العهد . يهدف هذا البحث للاثي : التعرف علي الاسس والاهداف التي قامت من اجلها حركة الترجمة. توضيح المميزات الضرورية للمترجم الجيد. بيان الاثر الداخلي لحركة الترجمة . استعراض الاثر العالمي لحركة الترجمة

Abstract:

Not much has passed since the advent of Islam and its state until it became a vast and sprawling state for Muslims, and this was accompanied by the emergence of many problems and difficulties at various levels, and in order to find solutions to these problems and difficulties and in search of having a place for them among other nations, necessity and importance emerged. The translation movement to address the aspects that can be addressed, and this was helped by the great economic prosperity of the country, which now has sufficient funds to spend on this process, in addition to the strong will. Muslims have drawn the heritage of the Greeks from the cultural centers of the ancient East, and at the forefront of these centers is the School of Alexandria, and there is the Jundishapur School, which combined Greek, Persian and Syriac sciences in its teaching, in addition to Harran, which represented one of the important Greek cultural centers. The Syriacs also played a major role in the translation movement, and they became a link in communication between Greek philosophy and science on the one hand, and Muslims on the other hand. The translation movement required capabilities and advantages that must be available in the person who is a professional translator, including the scientific aspects and the skillful aspects. in that covenant. This research aims for the following: To identify the foundations and objectives for which the translation movement was established. Explain the necessary characteristics of a good translator. Statement of the internal impact of the movement of translation. Review of the global impact of the translation movement

حركة الترجمة:

لم يمض زمن طويل علي ظهور الإسلام ، حتى أصبحت للمسلمين دولة شاسعة مترامية الأطراف ، وقد صاحب ذلك بروز الكثير من المشاكل والصعوبات علي مختلف المستويات وفي سبيل إيجاد حلول لهذه المشكلات، وبحثا عن أن تكون لهم مكانه بين الأمم وفي سبيل إيجاد حلول لهذه المشكلات ، برزت أهمية حركة الترجمة لمعالجه مايمكن معالجته، ساعد علي ذلك الأموال الطائلة التي تراكمت للدولة، فلم يعد يصعب عليها الاتفاق علي هذه العملية .
لقد استقي المسلمون تراث الإغريق من المراكز الثقافية في الشرق القديم، وتاتي في مقدمة

هذه المراكز مدرسة الاسكندرية، التي كانت قائمه حتي بعد حركة الفتح العربي الاسلامي لمصر⁽¹⁾ ، ثم أن هناك مدرسة جنديسابور التي جمعت في تدريسها بين العلوم الاغريقية والفارسية والسريانية⁽²⁾ اضافة الي حران ، التي مثلت إحدى المراكز الثقافية اليونانية، اذ تكلم أهل حران- وهم الصابئة- اللغة العربية في سهولة، وقد ساعدوا الي درجة بعيدة في نشر الثقافة اليونانية بين المسلمين ، واليهيهم يرجع الفضل في ترجمة العديد من الكتب⁽³⁾ .

كما أنه لايمكن أغفال دور السريان في حركة الترجمة اذ كانوا يمثلون حلقة من حلقات الاتصال بين الفلسفة والعلوم الاغريقية من ناحية والمسلمين من ناحية أخرى، اذ كانوا المعبر الذي مرت من خلاله الثقافة اليونانية الي عقول المسلمين، كما ترجموا بعض الكتب من الترجمات السريانية⁽⁴⁾. ويمكن تقسيم حركة الترجمة تاريخياً الي عهدين، الأول: يبدأ منذ أيام الخليفة ابي جعفر المنصور حتى وفاة هارون الرشيد (136هـ - 193 هـ) ، اما العهد الثاني : فيمتد منذ تولي المأمون الخلافة حتي نهاية القرن الثالث، أدي العهد الأول مفعوله في العهد الثاني واستفاد الثاني من الأول، اذ كان العديد من مترجمي العهد الأول من المبرزين في العهد الثاني⁽⁵⁾، على أن هذا البحث سوف يتناول العهد الأول، وجزء من العهد الثاني، والسير علي التقسيم السابق مرده الي أنه يساعد علي فهم تطور حركة الترجمة.

بدأت حركة الترجمة مع اطلالة عهد الخليفة ابي جعفر المنصور، عندما قدم اليه الطبيب الهندي (مانكا) وهو عالم بالرياضيات وعلم النجوم وقد جاء معه بكتاب السدهانت وهو في علم الفلك عند الهنود، ولقد كان المنصور شديد الاهتمام بحركة النجوم كلفاً بها بحيث أنه لما بني مدينة بغداد وضع اساسها في وقت اختاره المنجمون⁽⁶⁾ ، وقد تولي أمر الكتاب إبراهيم بن حبيب الفزاري الذي كان من جملة منجمي المنصور الذين اختاروا وقت وضع أساس مدينة بغداد⁽⁷⁾، لكن سرعان ماتحولت حركة الترجمة في اتجاه العلوم والمعارف اليونانية، وهذا أمر طبيعي طالما أنها الاكثر ثراء وغني، بدأ هذا الاتجاه عندما طلب الخليفة أبو جعفر المنصور من الامبراطور البيزنطي أن يرسل له مخطوطات يونانية في العلوم الرياضية⁽⁸⁾.

هناك حادث شخصي ارتبط بالخليفة المنصور كان له أثر بعيد في حركة الترجمة، وذلك أنه في 148 هـ مرض المنصور في معدته وفشل اطباؤه في تحقيق شفائه، لذلك سألهم عن أمهر الأطباء في ذلك الوقت فذكروا له جورجيس رئيس اطباء جنديسابور فبعث المنصور في طلبه علي عجل، وبالفعل تمكن هذا الطبيب من معالجته، ويبدو أن المنصور أدرك بذلك تخلف علم الطب عند المسلمين، وفي نفس الوقت توجد هذه المعرفة عند امم معاصرة له، عليه أتجه نحو ترجمة مؤلفات الطب الي اللغة العربية مستقيدا في ذلك من المام جورجيس، باللغات اليونانية والسريانية والفارسية والعربية ، فعهد اليه بعملية الترجمة خاصة للكتب الطبية اليونانية الي العربية. ومما سبق يتضح أن الترجمة في عهد المنصور سادت في اتجاهين دون غيرهما، الفلك وعلم النجوم ثم الطب. وقد أولى الخليفة هارون الرشيد الترجمة أهمية خاصة فقد جلب عند عودته من إحدى حملاته علي الأراضي البيزنطية عدداً من كتب الحكمة اليونانية ، ووضعها في خزانة خاصة ، وولي

أبا سهل الفضل بن نوبخت القيام بأمر هذه الخزانة⁽⁹⁾. وجعل الطبيب يوحنا بن ماسويه أميناً علي الترجمة ورتب له كتاباً حذاقاً يكتبون بين يديه⁽¹⁰⁾ فأسس الرشيد بذلك ماعرف بأسم بيت الحكمة. وفي أيام الرشيد ترجم كتاب اقليدس في الهندسة الترجمة الأولى ، على يد الحجاج بن مطر، وقد أعيدت ترجمته الي العربية مرة أخرى في عهد المأمون⁽¹¹⁾ فيما عرف بالترجمة المأمونية. إن الاهتمام بجمع التراث اليوناني، تعكسه العديد من الحوادث، فالخصام الذي كان بين أهل قبرص والرشيد تمت معالجتة قي عهد المأمون صلحاً، مقابل أن يرسل أهل قبرص خزانه كتب اليونان الموجودة في بيت ملكهم، وقد كان وصول هذه الكتب مصدر غبطة وسرور للخليفة المأمون ، وقد وصل الحال بالمأمون بأن أصبح يعطي زنة ما يترجم ذهباً، ومع ازدهار حركة الترجمة ازدهرت في بغداد محال الوراقين وباعة الكتب وهذا امر طبيعي لان هناك حاجة للورق ولبيع وشراء الكتب .

في عهد هارون الرشيد ظهرت الترجمة الأولى لكتاب المجسطي لبطليموس، وكذلك ترجمت كتب اقليدس في الهندسة ترجمها الحجاج بن يوسف بن مطر. إن إبطال الاسلام للتنجيم جعل المسلمين أمام تحد ، وذلك بايجاد الوسائل والطرق العلمية للتعامل مع النجوم، وعليه كانت العناية بعلم الفلك. واذا تجاوزنا مرحلة حكم الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، التي بدأ فيها الفلك العربي الاسلامي في الظهور والتطور من خلال اهتمام المنصور بالتنجيم ومتابعته، وتكليفه الفلكي محمد ابراهيم الفزاري بترجمة كتاب السدهانت الذي جاء به عالم رياضي- مانكا- ضمن وفد الهند⁽¹²⁾ ، وهي فترة طغت فيها الروح التنجيمية علي الناحية العلمية، اذا تجاوزنا هذه الفترة نكون أمام فترة من ازهي فترات العلم في الحضارة العربية الاسلامية⁽¹³⁾ ، اذ نما علم الفلك وتطور ، بل تأسس علم فلك حقيقي، اذهلت انجازته العصور الوسطي كلها، واصبح هناك ارساد وعلماء ارساد حقيقيين .

لقد كانت أول المراسد العلمية في الحضارة العربية الاسلامية في زمن الخليفة المأمون، غير أن أعمال الرصد لم تتم الا في نهاية عهده في الفترة ما بين 215 هـ - 217 هـ عندما أمر جماعة من الفلكيين الرصاد أن يرصدوا الكواكب ، ويصلحوا الآلات الفلكية قي منطقة الشماسية ببغداد وجبل قاسيون بدمشق⁽¹⁴⁾ ، وقد كان الدافع لذلك وقوف المأمون علي كتاب المجسطي للعالم الفلكي بطليموس ومافيه من معلومات فلكية قيمة، وطلب الي العلماء الفلكيين والرياضيين أن يقوموا برصد الكواكب ويتأكدوا من حقيقة ما جاء فيه⁽¹⁵⁾.

في هذا السياق يقول صاعد الأندلسي: لما أفضت الخلافة الي عبد الله المأمون ابن الرشيد العباسي وطمحت نفسه الفاضلة الي ادرك الحكمة وسمت همته الي الأشراف علي الموصوفة فيه بعثه شرفه وحده نبلة علي أن جمع علماء عصره من اقطار مملكته وامرهم ان يصنعوا مثل تلك الآلات، وان يقيسوا بها الكواكب ويتعرفوا احوالها كما صنع بطليموس ومن كان قبله، ففعلوا ذلك وتولوا الرصد بها بمدينه الشماسية وبلاد دمشق من أرض الشام⁽¹⁶⁾.

كان اجتهاد العلماء والأمراء في جمع المخطوطات العلمية والطبية من شتي بقاع العالم

المتحضر، لذا كانوا كلما فتحوا بلداً نقلوا مابه من مخطوطات الي عاصمتهم، كذلك فعل الرشيد عندما فتح عمورية وأنقرة وغيرهما من بلاد الروم، وقد عهد بالترجمة الي يوحنا بن ماسويه، وقد كان العطاء للمتترجمين جزيلاً، وقد كان ضمن المترجمين حنين ابن اسحق، وثابت بن قرة وغيرهم ، ممن كانوا يتقاضون في كل شهر 500 دينار، وكان محمد بن عبد الملك الزيات ينفق علي النقلة والنساح في كل شهر نحو الف دينار⁽¹⁷⁾. وكان يقوم بالترجمة عادة مجموعة من المترجمين ، يشرف عليهم رئيس يراجع اعمالهم ويصحح أخطاءهم ويقف من ورائهم الخلفاء والأمراء من محبي العلم يمدونهم بالمال، ويتعهدونهم بالتشجيع. ومن ابرز مترجمي العهد الأول الحجاج بن يوسف بن مطر وهو من أهل الكوفة عاش ببغداد وعمل في بيت الحكمة وقد توفي في 220هـ⁽¹⁸⁾.

من أهم أعماله في مجال الترجمة أنه نقل كتاب أقليدس في أصول الهندسة إلي العربية، وقد نقله مرتين ،الأوليايام هارون الرشيد وسمي بالهاروني، والثانية في عهد المأمون وسمي بالمأموني وهو اكثر دقة⁽¹⁹⁾ وهناك عمر بن الفرحان أبو حفص، وقد شغل وظيفة رئيس الترجمة، وهو من المهتمين بعلم حركات النجوم⁽²⁰⁾ وهو واحد من حذاق الترجمة في الإسلام (21) ، وقد اتصل بالمأمون وترجم له العديد من الكتب، كما أن عمله بالترجمة أدى الي زيادة معارفه، فكان أن ألف كتاباً في النجوم والفلسفة⁽²²⁾ ، وفسر عمر كلاً من كتاب بطليموس الي تلميذه سوري- وكان ابراهيم بن الصلت نقله الي العربية واصلحه حنين بن اسحق- والكتب الخمس في علم الفلك والاحكام النجومية لذورثيوس⁽²³⁾.

أما يحيى بن البطريق الذي كان اميناً علي الترجمة فقد كان حسن التأدية للمعاني(24) وهو من مترجمي بيت الحكمة وقد ترجم عدداً من الكتب الي العربية وقد كانت وفاته في 200هـ⁽²⁵⁾، ومن أبرز أعماله في الترجمة ترجمته لبعض كتب ارسطو طاليس، منها كتاب ارسطو الي الاسكندر، الذي يعرف بسر الاسرار، وهو كتاب السياسة في تدبير الحروب،وقد كان البحث عن هذا الكتاب وترجمته قد تم بطلب من الخليفة⁽²⁶⁾ ، وكتاب السماء والعالم⁽²⁷⁾ ، وكتاب النفس وكتاب الحيوان⁽²⁸⁾ ويعتبر البطريق ابويحيى من أوائل المترجمين ، فقد طلب اليه المنصور نقل بعض الكتب القديمة وهو جيد النقل، وقد وجد بنقله كتباً في الطب من كتب ابقراط وجالينوس⁽²⁹⁾. وعندما بدأت خلافة المأمون في 198هـ بدأ عهد جديد في حركة الترجمة امتد حتى نهاية القرن الثالث ، وفيه تمت ترجمة أغلب كتب أبقراط وجالينوس وارسطو وبطليموس وافلاطون ، وصنعت الكثير من الشروح والتفسيرات لهذه الكتب، وقد تميز هذا العهد بدقه الترجمة، اذا تجاوزت الترجمة الالفاظ إلي المعاني لذلك اعيدت ترجمة عدد من الكتب المهمة، رغبة في الحصول علي أدق الترجمات.

لقد كان الخليفة المأمون واسع الثقافة، يأنس بمجالسة العلماء والمتكلمين ، فيعقد المجالس للمناظرة والمحادثة، مما شجع علي الروح العلمية التي أنتظمت الدولة، والتي من مظاهرها ازدهار حركة الترجمة، ومما يذكر عن سبب أهتمام المأمون بالترجمة أن المأمون رأي في منامه كأن رجلاً أبيض اللون ... جالس علي سريريه قال المأمون فسررت به وقلت : ايها الحكيم ؟

قال سل قلت: ما الحسن؟ قال ما حسن في العقل ، قلت: ثم ماذا؟ قال: ما حسن في الشرع، قلت ثم ماذا؟ قال ما حسن عند الجمهور، قلت : ثم ماذا قال: ثم لا ثم .. فكان هذا المنام من أوكد الأسباب في اخراج الكتب، فإن المأمون كان بينه وبين الامبراطور البيزنطي مراسلات، وقد استظهر عليه المامون فكتب يسأله الاذن في انقاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونه المدخرة بالاراضي البيزنطية، فاجاب الامبراطور البيزنطي الي ذلك بعد امتناع فاخرج المأمون لذلك جماعه منهم الحجاج بن مطر، وابن البطريق، وصاحب بيت الحكمة وغيرهم، فاخذوا مما وجدوا ما اختاروا، فلما حملوه اليه امرهم بنقله فنقل⁽³⁰⁾ . وقصة الرؤيا هذه ان كانت حقيقية أو موضوعه، فان الثابت أن المامون كان من محبي العلوم ونشرها، وربما هذه الرؤية تجعله يفت من أي منطق ديني، يري في التعامل مع أهل الكفر وأخذ علومهم ضرباً من الخروج عن تعاليم الإسلام، اذ كان بنو هاشم لا يرضون من الخليفة هارون الرشيد عندما يدعو في مكة لطبيبه النصراني جبرائيل بن ختيشوع، فيقول لهم إن صلاح بدني وقوامه به، وصلاح المسلمين بي، فيكفون عن الاستنكار. غير أن حركة نقل الكتب الي اللغة العربية قد اصابها الفتور في عهد أخيه الخليفة المعتصم بالله الذي تولي الخلافة بعده، ، فالمعتصم لم يكن له حظ في التعليم كان أقرب الي الامية، وقد كان قائداً حربياً ولم يكن عالماً. خاض مع البيزنطيين معارك كثيرة احرز فيها انتصارات كبيرة، كما استطاع القضاء علي بابك الخرمي الذي فشل المأمون في القضاء عليه، ولانه كان عسكرياً في طبعه وميله وهواه، لم تكن له أي اهتمامات ثقافية مما كان له أثره علي حالة النهضة الثقافية التي انتظمت البلاد وبالضرورة علي حركة الترجمة ، وعلي الرغم من أن المعتصم قد تمسك بمذهب الاعتزال وسار علي نهج أخيه في المامون فإنه لم يفعل ذلك ايماناً واعتقاداً، او حتي فهماً لعقائد هذا المذهب، وكل ما في الأمر انه نفذ وصية أخيه المأمون في ذلك⁽³¹⁾.

غير أن الحال تغير وعاد الي ما كان عليه في عهد المأمون عندما تولي الخلافة الواثق بالله الذي كان عالماً ضاليعاً واسع الثقافة محباً للعلم ، فكان أن نهضت الحركة الفكرية وحركة الترجمة من جديد، مما كان له أثره في محافظة المسلمين علي التراث اليوناني العالمي القديم، بعد أن اضافوا اليه ما استطاعوا ابتداعه في شتى فروع المعرفة، وقد مثل ذلك اساساً للنهضة الأوروبية الحديثة ، عندما نقل هذا التراث مرة ثانية الي اللغة اللاتينية (32)، ولولا جهود المسلمين العلمية التي قطع الواثق فيها شوطاً بعيداً لما كانت النهضة الأوروبية الحديثة، ففي ظل السلام الذي حققه الواثق جد المسلمون في طلب الكتب والمخطوطات اليونانية واحضارها الي بلادهم اينما وجدت⁽³³⁾ .

توسيع حركة الترجمة:

إن الاهتمام باخراج الكتب من الاراضي البيزنطية لم يقتصر علي الخلفاء وحدهم، فقد قام بذلك آخرون من رجال الدولة واعيانها وعلمائها، فقد كان بعضهم من محبي اقتناء الكتب وبخاصة تلك التي تنقل من اليونانية وتحمل اسم ابقراط ، وجالينوس، وسقراط، وافلاطون، وارسطو طائيس، وغيرهم من حكماء اليونان، الذين عمت شهرتهم الآفاق، وبناء علي طلب محمد بن عبد

الملك الزيات، قام حنين بن اسحق بترجمة كتاب الصوت لينوس الي اللغة العربية ⁽³⁴⁾، وقد كان محمد بن عبد الملك الزيات نفسه ينفق علي المترجمين والنساخين قرابة الف دينار في الشهر ⁽³⁵⁾. كما أخذ محبو الكتب ينقبون في أسفارهم عن الكتب القديمة النادرة، ويعهدون الي المترجمين بترجمتها، وممن عني بذلك ابناء موسي بن شاكر- أعدمنجمي المأمون - وهم احمد ومحمد والحسن فقد «بذلوا الرغائب، وأنفذوا حنين بن اسحق وغيره الي بلد الروم، فجاء بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والرغائطي والطب وغيرها، ثم انهم كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحق، وحبيش بن الحسن وثابت بن قرة، وغيرهم في الشهر خمسمائة دينار المنقل (لنقل) والملازمة» ⁽³⁶⁾، كما بذلوا جهودا كبيرة في ترجمة بعض الكتب، مثال ذلك كتب المخروطات لابولونيوس، وقد كانت هذه الكتب الثمانية متفرقة بين الناس، فسعوا الي جمعها حتي عثروا علي سبعة منها، قام علي ترجمتها هلال الحمصي، وثابت بن قرة ⁽³⁷⁾، كما ترجم عيسي بن يحيي بن ابراهيم كتاب الاخلاص لجالينوس لاحمد بن موسي ⁽³⁸⁾، كذلك ترجم له حنين بن اسحق كتاب ... لابقراط جالينوس ⁽³⁹⁾. وممن شجعوا النقل من اليونانية تادرس الاسقف، وقد كان اسقفا في الكرخ، حريصا علي طلب الكتب متقربا الي قلوب نقلتها، واستطاع الحصول علي الشئ الكثير منها، وقد الف له بعض الأطباء كتباً باسمه ⁽⁴⁰⁾. وبالإضافة الي ماحظيت به الترجمة من تشجيع الخلفاء ورجال الدولة وأعيانها، كانت هنالك عوامل أخرى تدفع الي ترجمة الكتب اليونانية وغيرها الي اللغة العربية، ذلك ان ازدياد ثروة العرب المسلمين، ومرحلة التطور الحضاري التي وصلوا اليها، هذه عوامل جعلتهم يتطلعون الي معرفة ما عند غيرهم من علوم ومعارف، فكانت الترجمة لديهم من وسائل تحقيق هذه الغاية، وكان الجدل الذي قام بين رجال المذاهب الإسلامية مثل الصراع الذي نشأ بين أهل السنة والمعتزلة وغيرهم، جعل الناس أحوج الي الإلمام بقواعد الجدل واصوله، فسعوا الي ترجمة كتب المنطق من التراث اليوناني، خاصة مايتعلق منه بعلم الكلام، كذلك رغبة المسلمين الجدد غير العرب، وأهل الذمة في ابراز تراثهم ومعارفهم في شتي العلوم، وقد ساعد علي ذلك تقدم صناعة الورق، وانتشار استعماله فكان ذلك من اهم عوامل اتساع حركة الترجمة والتأليف وازدهارها.

فيما يتعلق بحركة الترجمة تبرز حقيقتان، الأولى: عدم الاهتمام بكتب تاريخ اليونان وادابهم السبفي ذلك عاد الي احد أمرين او الي كليهما، الأمر الأول عدم اهتمام اليونان انفسهم بالعمل في هذه النواحي، فالتاريخ اليوناني يوجد منه في المؤلفات العربية أكثر مما هو في المؤلفات اليونانية، الامر الثاني ان ظهور حركة التدوين التاريخي عند المسلمين اذ تركزت حركة الترجمة عندهم علي حاجات الآنيه دون سواها.

أما الحقيقة الثانية: فهي عدم النقل من التراث الهندي الفارسي، الا ماندر، وهو أمر يعتقد الباحث بأنه طبيعي، بسبب تقدم الحركة العلمية في الامبراطورية البيزنطية وريث الحضارة اليونانية والافريقية، وكون ان المعرفة في الجانب الفارسي الهندي يغلب عليها الطابع الاسطوري، وليس العلمي كما في بيزنطا، لذا ابتعد المسلمون منهم.

حنين بن اسحق⁽⁴¹⁾ ودوره في حركة الترجمة:

كان ماهراً في الترجمة اضافة الى مهارته في الطب، وقد انصرف الي ترجمة الكتب اليونانية الي اللغتين العربية والسريانية، وقد كان ملماً بالعربية واليونانية « دخل الي بلاد الروم لاجل تحصيل كتب الحكمة، وتوصل في تحصيلها غاية امكانه، واحكم اليونانية عند دخوله الي تلك الجهات، وحصل نفائس هذا العلم⁽⁴²⁾ ويعتبر حنين بن اسحق أعلم أهل زمانه باللغة اليونانية، والسريانية، والفارسية، متميزاً في ذلك عن غيره، وهو يجيد بالإضافة لتلك اللغات السابقة اللغة العربية⁽⁴³⁾. أما كيفية تعلم حنين للغة اليونانية واتقانه لها، فانه تتلمذ علي يد يوحنا بن ماسوية أحد كبار أطباء عصره، فكان يتردد علي مجالسه ليدرس عليه كتاب هيراسيس لجالينوس، وهو مما يقرؤه المبتدئون بصنعة الطب، ويبدو ان يوحنا ضاق باسئلة واستفسارات تلميذه، فغضب عليه وطرده من مجلسه، علي اعتبار انه لا يصلح لهذه المهنة وان العمل في الصيرفة اجدر به علي اساس أنه من أهل الحيرة التي اشتهر اهلها بالعمل في هذه المهنة⁽⁴⁴⁾، في وقت يعتقد فيه الجنديسابوريون انهم أهل العلم ولا يخرجونه عنهم وعن اولادهم من بعدهم⁽⁴⁵⁾، هذه المعاملة السيئة من قبل يوحنا عظمت في نفس حنين والي علي نفسه، لا يتعلم الطب حتي يتقن اللغة اليونانية، ولا يكون في زمانه من يقتنها اكثر منه⁽⁴⁶⁾، لهذا الغرض سافر الي الشام ومصر وربما دخل الي الاراضي البيزنطية⁽⁴⁷⁾، وقد ذكر عن نفسه أنه سافر الي بلاد كثيرة، ووصل الي اقصي الاراضي البيزنطية لطلب الكتب التي اراد ترجمتها⁽⁴⁸⁾.

كان حنين عندما يعود من رحلاته العلمية الي بغداد يلزم أبناء موسي بن شاكر- السالف ذكرهم - الذين رغبوه في الترجمة من اليونانية الي العربية، وقد انفقوا علي ذلك مبالغ ضخمة، وقد بلغ حنين من الدقة في الترجمة واتقانها أن تنبأ له جبرائيل بن بختيشوع طبيب الخليفة بمستقبل عظيم، إن تميز حنين ومعرفته الجيدة باللغة اليونانية هي الي جعلت يوحنا بن ماسويه الذي طرده في السابق، يعدل عن رايه فيه، بل يحسن اليه، ليستأنف حنين معه دراسة الطب، وقد نقل له كتباً كثيرة من كتب جالينوس⁽⁴⁹⁾.

أحضر المأمون حنين بن اسحق وهو أحد مترجمي بيت الحكمة، الذي عرف بمهارته الجيدة في معرفة اللغة اليونانية وبقدرته الفائقة في الترجمة الي اللغة العربية، لدرجة مذهشة في ذلك الوقت، فأمره بترجمة مايقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين، و كذلك مراجعة ما ترجمه غيره⁽⁵⁰⁾، وعلي ما يبدو انه كان ببيت الحكمه قسم خاص بالترجمة، وان حنين بن اسحق كان ضمن من تولوا امره. إن اهتمام حنين بالكتب الطبية وترجمتها أمر طبيعي طالما أنه كان طبيباً ماهراً في عمله، فكان اهتمامه بكتب ابقراط وجالينوس بحيث اصبح لا يوجد منها كتاب الا هو ترجمة حنين او تصحيحه الا ما لم يكن يري فيه فائدة ولا يرغب فيه⁽⁵¹⁾، ويذكر عن حنين انه كان يكتب علي ورق سميك حتي يزيد وزن الكتاب، لاجل انه كان يعطي مايقابل وزن الكتاب دراھم⁽⁵²⁾، غير أن هذا العطاء والدفع بسخاء للترجمة تبدل وقد تحدث عن ذلك اسحق شاكيًا، وصرت انقل لهم الكتب علي الرسم بغير عوض ولاجزاء بعد أن كنت اذا نقلت لأحدهم كتاباً أخذت منه وزنه دراھم⁽⁵³⁾.

أن ماترجمه حنين من كتب جالينوس الي السريانية جاوز المائة كتاب ومانقل الي العربية تسعة وثلاثون كتابا وهي في الطب والفلسفه (54) ، ويتضح من قائمة ابن النديم بما ترجم من كتب جالينوس وشروحه علي بعض كتب ابقراط ان حنين ترجم معظم الكتب الستة عشر التي يدرسها طلاب الطب علي التوالي من كتب جالينوس فقد كان منها الكتب الآتية :

- كتاب الفرق
- كتاب الصناعة
- كتاب في النبض
- كتاب في التأتي لشفاء الأمراض
- كتاب المقالات الخمس في التشريح
- كتاب الاستطقصات
- كتاب المزاج
- كتاب القوي الطبيعية
- كتاب العللوالاعراض
- كتاب الحميات
- كتاب البحران
- كتاب ايام البحران⁽⁵⁵⁾ .

ويضيف ابن القفطي كتاب تعرف علي علل الاعضاء الباطنة الذي اعتبره ابن النديم من ترجمة حبش.

ترجم حنين مما فسر جالينوس من كتب ابقراط الكتب التالية :

كتاب عهد ابقراط نقله الي السريانية واطاف اليه.

كتاب الفصول عن طريق المسألة والجواب سبع مقالات الي السريانية، ونقل منه الي العربية المقالات الاربع الأول لمحمد بن موسي.

- كتاب تقدمه المعرفة نقل النص الي العربية عن طريق المسألة والجواب.
- كتاب الكسر ترجمه الي العربية لمحمد بن موسي.
- كتاب القاطيطريون ترجمه الي العربية لمحمد بن موسي
- كتاب الماء، ترجم النص الي العربية عن طريق المسألة والجواب.
- كتاب طبيعة الانسان ترجم الي العربية⁽⁵⁶⁾ .

ويذكر ابن ابي اصيبعة أن كتاب الكسر ورد فيه كتاب جراحات الراس عن طريق المسألة والجواب، كما يضيف ابن ابي اصيبعة الي الكتب السابقة كتاب ثمار تفسير جالينوس لكتاب ابقراط في تدبير الامراض الحادة عن طريق المسألة الجواب⁽⁵⁷⁾. فيما يذكر ابن النديم ان الذي ترجمه هو عيسي بن يحيي.

أما كتب جالينوس الأخرى التي ترجمها حنين إلى السريانية والعربية فهي:

- كتاب الصوت نقله للوزير محمد بن عبد الملك الزيت.
- كتاب أفضل الهيئات نقله إلى السريانية والعبرية
- كتاب سوء المزاج كتاب الأدوية المفردة
- كتاب المولود لسبعة أشهر
- كتاب رداءة التنفس نقله البيولده
- كتاب الذبول عن طريق المسألة والجواب
- كتاب تدبير الملطف
- كتاب قوي الاغذية
- كتاب تدبير ابقرات للأمراض الحادة.
- كتاب في ان الطبيب الفاضل فيلسوف
- كتاب في كتب ابقرات الصحيحة وغير الصحيحة
- كتاب محنة الطبيب .
- كتاب في ان المحرك الاول لايتحرك .
- كتاب في الحث علي تعلم الطب عن طريق المسألة والجواب .
- كتاب السبع عشرة مقالة الموجودة في كتاب جالينوس ابذيما لابقرات عن طريق المسألة والجواب .
- كتاب حل بعض شكوك جاسيوس الاسكندراني علي كتاب الاعضاء الآلة .
- مقالة في اصناف الغلظ الخارج عن الطبيعة عن طريق المسألة والجواب⁽⁵⁸⁾ .

ترجم حنين بن أسحق من كتب ارسطو مايلي :

- كتاب قاطيغورياس (المقولات) إلى اللغة العربية.
- كتاب باريارميناس أوباريمينياس (العبارة) إلى اللغة السريانية.
- قسم من كتاب انولوطيقا الأول (التحليل) إلى اللغة السريانية . وبعض الأقسام من كتاب انولوطيقا الثاني إلى اللغة السريانية.
- كتاب الكون والفساد.
- كتاب النفس إلى اللغة السريانية .
- كتاب الأخلاق إلى اللغة السريانية⁽⁵⁹⁾
- كما ترجم كتاب المتراذفات لأوريباسيوس المسمي السبعين مقالته والكتب السبعة لبوليس الاجنيطي ، وكتاب مادة الطب لديوسقريدي⁽⁶⁰⁾ .

أهمية حركة الترجمة :

لقد كانت لحركة الترجمة أهمية كبيرة في مسيرة الحضارة العربية الإسلامية ، فهي بدءا ساعدت العلماء والدارسين علي التعرف علي ثقافات الامم السابقة وعلومها . في حقول الفلسفة

والطب والرياضيات والفلك وغيرها . وأن يلموا وينهلوا منها فكان أن تفتحت عقولهم واتسع افقهم، بما يناسب المستوى الحضاري الذي وصلوا اليه ، وقد استفادوا من الترجمة كثيرا وفي مختلف العلوم وبخاصة في الطب والفلسفة وعلم الفلك فقد استفاد الاطباء مما اطلعوا عليه من كتب التشريح العديدة مما ترجم لابقراط وجالينوس وغيرهما ، لان تعاليم الاسلام لاتيح التمثيل بالانسان حيا ^{٦١} كان او ميتاً وما كان للمسلمين ان يعرفو كثير عن علم التشريح لولا تلك الترجمات التي جاءت اليهم ووضحت لهم مبهمات هذا العلم وان أطلاع المسلمين وهضمهم للمصنفات الطبية ، ظهرت في مؤلفاتهم التي تعكس جوانب متعددة من الطب اليوناني ، ذلك ان مصنفات يوحنا بن ماسوية وحنين بن اسحق وغيرهم كانت متأثرة لدرجة بعيدة بما جاء في كتب جالينوس. وانتفع رجال الدين وبخاصة علماء الكلام بكتب الفلسفة والمنطق والجدل ، وقد ظهرت آثار ذلك علي عدد غير قليل منهم ، وقد كان علماء المعتزلة أكثر من استفاد من التراث اليوناني في هذا المجال ولعلمهم قد تأثروا به في نشأتهم نفسها ، وقد صاروا اقدر علي الجدل والمناظرة من غيرهم ، ان التأثير لم يكن علي المعتزلة وحدهم بل تعداهم الي عدد من رجال المذاهب الاسلامية، وقد برز الفيلسوف الكندي الذي كان يحذو حذوا ارسطو في منهجه الفلسفي وفي تصانيفه الفلسفية⁽⁶¹⁾. ومن النتائج الاخري الجديرة بالملاحظة لحركة الترجمة ، ظهور حركه التأليف في بعض فنون المعرفة ، فقد بدأ المترجمون انفسهم يصنفون الرسائل والكتب ليستعملها الطلاب ، وهي في شكل ملخصات في شتي انواع العلوم وبخاصة في الطب ، ثم ما لبثت هذه الحركة ان توسعت وتعمقت بين العلماء العرب والمسلمين الذين اخذوا يكتبون علي أساس متين من العلم والدراية ، فكان ان ظهرت في الطب والتاريخ والفقه ، واللغة مثلاً ، كتب كثيرة بعدة أجزاء بعضها اشبه بالموسوعات كما كان المؤلف الواحد يصنف العشرات من الكتب في مختلف المعارف ، مؤكداً بذلك معرفته الواسعة ، فالكندي مثلاً ، صنف ما يزيد عن 250 كتاب في الفلسفة والجدل والمنطق والرياضيات ، والفلك والطب والسياسة وغيرها . مدلا بذلك علي سعة أطلاعه وعمق معرفته ، أما محمد بن زكريا الرازي الذي ظهر في فترة مابعد زمن هذه الدراسة . والذي عرف بعميد أطباء فقد كانت فائدته من حركة الترجمة عظيمة فقد صنف ما يزيد علي 230 كتاب في الطب والصيدلة والكيمياء والفلسفة والرياضيات والفلك وأحكام النجوم وغيرها . مما يؤكد أمكانيته العقلية الجبارة ، كما صنف ثابت بن قرة الرياضي الفيلسوف ما يزيد علي السبعين كتاباً في مختلف ضروب المعرفة. وقد امتدت حركة التأليف لتناول موضوعات خاصة بالمسلمين، مثل العلوم القرآنية من تفسير وقرآيات ، وعلوم الحديث والفقه، وعلم الكلام، اضافة الي ما صنف في التاريخ والجغرافيا، والاجتماع، اضافة الي النهضة القوية في مجال اللغة والشعر والادب، هذا التراث لم يصلنا منه الا النذر اليسير، اذ لم يبق من الكثير من الكتب غير عناوينها واسماء مؤلفيها وذلك بفضل محمد بن اسحق المعروف بأبن النديم المتوفي 380هـ في كتابه الفهرست وذلك بسبب احراق التتار لبغداد عند غزوهم لها في 1258م/ 565هـ.وهو الغزو الذي اثر سلباً علي الحضارة الاسلامية ومقتنياتها . ومما يدل علي تطور علم الفلك في عهد المأمون ما حدث من محاولة قياس محيط الارض اذ ورد في كتاب المجسطي ان

محيط الارض ثمانية الف فرسخ اي اربعة وعشرون الف ميل، وقد عهد المأمون الي جماعة من العلماء منهم اولاد موسي بن شاكر ومعهم الخوارزمي، وجماعة ممن يثق المأمون باقوالهم ويركن الي معرفتهم بهذه الصناعة، فخرجوا الي صحراء سنجار وقاموا بالعملية كما قاموا بها للمرة الثانية في ارض الكوفة فتوافقت الحسابات مع بعضها ومع ماحرره القدماء، فعلم المأمون صحة ماحرره القدماء⁽⁶²⁾. ويجدر هنا أن نذكر الاسهامات الكبيرة التي قام بها الخوارزمي في تطور العلوم التطبيقية كالجبر والفلك، وكان الخوارزمي أول من استخدم كلمة اصم للدلالة علي العدد الذي ليس له جذر، وانتقل معني هذه الكلمة الي الغرب. كذلك الف كتاب الجبر والمقابلة الذي يعتبر مصدراً اساسياً اعتمد عليه الكثيرون⁽⁶³⁾، كما ان المأمون ولاه بيت الحكمة وعهد اليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها وأمره باختصار كتاب المجسطي فاخصره وسماه السندهند، كما كانت للخوارزمي معرفه واسعة بالجغرافية، وقد كان اتجاهه في البحث مستقلاً لم يقلد فيه اليونان.

إن عهد المأمون يمثل بداية ظهور ظاهرة هامة في تطور علم الفلك الاسلامي، الا وهي ظهور الازياج الاسلامية العربية حيث الف يحيي بن ابي منصور زياحاً فلكياً اصلى به أخطأ بزيح بطليموس، والازياج هي صناعة حسابيه علي قوانين عديده فيما يخص كل كوكب من حركته وهيئته ووصفه، تعرف به مواضع الكواكب في افلاكها، ولهذه الصناعة قوانين كالمقدمات والاصول لها في معرفة الشهور والايام والتواريخ الماضية واصول مقررة في معرفة الاوج والحضيض والميول واصناف الحركات واستخراج بعضها من بعضيضعونها في جداول مرتبه تسهلاً علي المتعلمين وتسمى الازياج⁽⁶⁴⁾.

إن ما تضمنه الفهرست لابن النديم اضافة الي عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة، وطبقات الاطباء والحكماء لابن جليل، وكتاب تاريخ الحكماء لابن الفقطي من عناوين الكتب وكثرة عدد المؤلفين والمترجمين لهو دليل واضح علي ذلك النشاط العلمي الواسع الذي شهدته الدولة العباسية، مما جعله بحق عهد النهضة العلمية العربية الاسلامية، اذ ثبتت من خلاله أسس العلوم الدينية واللغوية والادبية والفلسفية، وعلوم الرياضة، والطبيعة والتاريخ والجغرافيا، وتقدمت الدراسات فيها تقدماً كبيراً علي ايدي رجال افذاذ وعلماء موهوبين دفعوا بجهودهم وابداعاتهم مسيرة الحضارة الانسانية الي الامام، ومما يجدر ذكره هنا أن مانقله العرب والمسلمون من كتب ارسطو وافلاطون وابقراط وجالينوس، وغيرهم من حكماء اليونان حفظ تلك الكتب من الضياع خاصة بعد ان فقدت اصولها اليونانية⁽⁶⁵⁾. ومن آثار حركة الترجمة الطيبة التطور الكبير الذي حدث في الطب الاسلامي وقد جاء تطور الطب في العصر العباسي الأول نتيجة تلبية حاجات المجتمع العباسي المتمدن، وقد ارست الترجمة الارضية القوية لهذا التطور، ثم اكتملت الناحية التطبيقية بانشاء البيمارستانات، وقد كان المسلمون يطلقون المارستان او البيمارستان علي مكان الاستشفاء، وهو مانسميه اليوم المستشفى، وكانت المارستانات تشمل مدراس الطب والمستشفيات معا، لان الطب كان يُعَلَّم فيها، وقد أخذ العرب نظام المارستان عن الفرس، وقد تم انشاؤها علي غرار مارستان جنديسابور. وأول من أنشأ المارستان في الاسلام الخليفة الوليد بن

عبد الملك الأموي بدمشق سنة 88هـ اذ جعل في المارستان الأطباء وعزل المجزومين واجري عليهم الارزاق.

أما في العصر العباسي فقد كان الخليفة المنصور أول من استقدم الأطباء من مارستان جنديسابور ، وانشأ دارا لليمان والايام والقواعد من النساء ثم جاء الخليفة الرشيد فأنشأ عدة مارستانات، وكان أول ذلك حين أمر طبيبه جبرائيل بن بختيشوع ان ينشئ مارستانا في بغداد وجعل علي راسة طبيباً اسمه ماسوية وولوا عليه طبيباً هندياً اسمه ابن دهن وهو ممن ترجموا من اللغة الهندية الي اللغة العربية مباشرة ، ولما اشتهر مارستان بغداد قلدتها المدن الاخرى (66) .

دور الترجمة في نقل المعارف العربية الي اوربا :

لقد لعب رهبان الدير الاسبانيون الذين احتكوا بالعرب في خلال فترة حكم المسلمين هناك ، حيث تعلموا اللغة العربية واصبحوا قادرين علي ترجمة المؤلفات العربية خاصة في مجال علم الرياضيات والفلك وغيرها ، وظهرت مدارس الترجمة بعد ذلك ومن اهمها المدراس التي تم انشاؤها في طليطلة بعد سيطرة المسيحيين عليها، وكان هدفهم أن يطلعوا بعمق على كل كتب الحكمة العربية أو المعرفة الإسلامية المتراكمة في مكتبات طليطلة المليئة بالمؤلفات العربية الاسلامية.

يقول المستشرق الهولندي المعروف دوزي في كتابه تاريخ المسلمين في إسبانيا، ان الشيء الذي يثير الإعجاب والدهشة عندما ندرس العهد المجيد للخليفة عبد الرحمن الثالث هو ذكاؤه الكوني واطلاعه الواسع الذي لا يفوته شيء تقريباً، وقد بلغ تسامحه إلى حد أنه راح يستشير رجالاً لا ينتمون إلى دينه، وأقام حضارة حقيقية في اسبانيا.

بهذا المعنى فإنه يشبه حكام العصور الحديثة لا حكام العصور الوسطى بدءاً من القرن الثاني عشر راح العلماء الأوروبيون والاسبان يتجمعون في مدارس الترجمة الموجودة في طليطلة وأراغونيا، وتشكلت فرق عديدة للترجمة، وكانوا يعملون في الترجمة على النحو التالي: من يعرف العربية بشكل أفضل كان يقرأ بصوت عال ويترجم مباشرة ما يقرأه إلى اللغة اللاتينية، وكان الناسخ يكتب كل ذلك عنه بشكل فوري.

كان من بين المترجمين الإنجليز والإيطاليون والفرنسيون والصقليون وآخرون غيرهم ،كلهم راحوا ينشرون المفاهيم الثقافية الإسلامية ويتعرفون على المنطق والفلسفة والعلوم العربية. ولكن لا ينبغي أن ننسى أهمية الترجمة العلمية فالواقع أن اهتمام علماء أوروبا تركز آنذاك على ترجمة كتب الرياضيات والعلوم العربية.

فالغرب تعرّف على الأرقام وبشكل خاص على رقم الصفر عن طريق الحضارة الإسلامية، كان ذلك عن طريق ترجمة كتب الخوارزمي، ثم ترجموا أعمال ثابت بن قرة، وهو العالم العربي المختص بهندسة اقليدس وفيثاغورس وأرخميدس وكذلك ترجموا كتب علم الفلك والطب العربية. أما في مجال علم البصريات فقد ترجموا أعمال العالم العربي الكبير الحسن بن الهيثم، وعرف الأوروبيون عندئذ مدى اتساع العلم العربي، وكيف أن الإسلام شجع على العلم والدراسات العقلية ودفع بالإنسان إلى تنمية مواهبه ومداركه.

أما فيما يخص التقنيات الزراعية فقد استفاد الأوروبيون من علوم العرب وخبرتهم في هذا المجال فقد تعلّموا عنهم فن عمل القنوات المائية والنواير وطواحين الماء وكيفية السيطرة على مياه الأنهار واستغلالها من أجل الزراعة، وهكذا تم تحديث الزراعة المتوسطة وكثرت حقول القمح والزيتون والكرمة، ونقل أنواع من المحاصيل الزراعية إلى أوروبا، كالنخيل، والبرتقال، والمشمش، الخ... وتحولت إسبانيا إلى عروس أوروبا وازدهرت كل الازدهار بسبب الاستفادة من مناهج العرب وعلومهم وتقنياتهم. ثم انتقلت هذه المناهج والتقنيات العقلانية من خلال إسبانيا إلى مختلف بلدان أوروبا والواقع أن الإسلام كدين عقلاي يدعو الإنسان إلى تنمية مداركه ومواهبه هو الذي دفع إلى كل هذا الازدهار الحضاري. فالفلسفة العربية-الإسلامية التي توفّق بين العلم والإيمان أو بين العقل والنقل أو بين الدنيا والآخرة استطاعت أن تحتضن واحدة من أجمل الحضارات التي عرفها التاريخ البشري. فالإنسان في الحضارة الإسلامية ليس مادة فقط ولا روحاً فقط، وإنما هو مادة وروح في آن معاً. من هنا الطابع الوسطي أو الاعتدالي للحضارة الإسلامية التي تكره الشطط والتطرف في أي اتجاه كان، هكذا انتقل فكر ابن رشد، والفارابي، وابن سينا، والغزالي وغيرهم إلى اللغة اللاتينية التي كانت لغة العلم والجامعات في كل أنحاء أوروبا آنذاك ومن المعلوم أن فلسفتنا هي فلسفة وسطية توفق بين العقل والإيمان ولا ترفض أحدهما بحجة التمسك بالآخر.

استفاد فيلسوف المسيحية الأوروبية آنذاك توما الأكويني من فلسفتنا واستخدمها لكي يبلور عقيدة جديدة للمسيحيين توفق بين العلم والإيمان أيضاً وسيطرت هذه العقيدة التومائية على الجامعات الأوروبية طيلة العصور الوسطى. بل ولا تزال تشكل أحد تيارات الفكر الأوروبي حتى هذه اللحظة، هكذا كان المسلمون آنذاك أناسا ينقلون الحضارة والمنفعة إلى الآخرين.

الخاتمة:

إن الأسس والأهداف التي قامت من أجلها حركة الترجمة، تتمثل في إيجاد حلول للمشاكل والصعوبات علي مختلف المستويات، وبحثا عن أن تكون للمسلمين مكانه بين الأمم، من هنا برزت أهمية حركة الترجمة لمعالجة ما يمكن معالجته، ساعد علي ذلك الأموال الطائلة التي تراكمت للدولة، فلم يعد يصعب عليها الاتفاق علي هذه العملية هناك مواصفات ومميزات ضرورية يجب ان تتوفر في المترجم الجيد، تتمثل في ان يكون ذو معرفة باللغات التي يريد الترجمة منها وان يكون واسع الثقافة والمعرفة، ويتمتع بالروح العلمية مع الصبر والدقة والتأني في العمل، بالضافة الي القبول والعلاقات الواسعة.

إن حركة الترجمة هي ارتباط بين الداخل والخارج، ويتمثل اثرها الداخلي في ان العرب والمسلمين استفادوا منها في الصراع الذي نشأ بين أهل السنة والمعتزلة وبين السنة والشيعة من جهة اخري، فاستفادوا من كتب المنطق من التراث اليوناني، خاصة مايتعلق منه بعلم الكلام وقواعد الجدل واصوله. ومن آثار حركة الترجمة الطبية التطور الكبير الذي حدث في الطب الاسلامي وقد جاء تطور الطب في العصر العباسي الأول نتيجة تلبية حاجات المجتمع العباسي المتمدن، وقد ارسى الترجمة الارضية القوية لهذا التطور، ثم اكتملت الناحية التطبيقية بانشاء

البيمارستانات، وقد كان المسلمون يطلقون المارستان او البيمارستان علي مكان الاستشفاء، وهو مانسميه اليوم المستشفى .

أما الاثر العالمي لحركة الترجمة فيتمثل في ان الغرب تعرّف على الأرقام وبشكل خاص على رقم الصفر عن طريق الحضارة الإسلامية، كان ذلك عن طريق ترجمة كتب الخوارزمي، ثم ترجموا أعمال ثابت بن قرة، وهو العالم العربي المختص بهندسة اقليدس وفيثاغورس وأرخميدس وكذلك ترجموا كتب علم الفلك والطب العربية. أما في مجال علم البصريات فقد ترجموا أعمال العالم العربي الكبير الحسن بن الهيثم، وعرف الأوروبيون عندئذ مدى اتساع العلم العربي، وكيف أن الإسلام شجع على العلم والدراسات العقلية ودفع بالإنسان إلى تنمية مواهبه ومداركه.

أما فيما يخص التقنيات الزراعية فقد استفاد الأوروبيون من علوم العرب وخبرتهم في هذا المجال فقد تعلّموا عنهم فن عمل القنوات المائية والنواعير وطواحين الماء وكيفية السيطرة على مياه الأنهار واستغلالها من أجل الزراعة، وتحولت إسبانيا إلى عروس أوروبا وازدهرت كل الازدهار بسبب الاستفادة من مناهج العرب وعلومهم وتقنياتهم. ثم انتقلت هذه المناهج والتقنيات العقلانية من خلال اسبانيا إلى مختلف بلدان أوروبا استفاد فيلسوف المسيحية الأوروبية آنذاك توما الأكويني من فلسفتنا واستخدمها لكي يبيلور عقيدة جديدة للمسيحيين توفق بين العلم والإيمان أيضاً وسيطرت هذه العقيدة التومائية على الجامعات الأوروبية طيلة العصور الوسطى. بل ولا تزال تشكل أحد تيارات الفكر الأوروبي حتى هذه اللحظة، هكذا كان المسلمون انذاك أناسا ينقلون الحضارة والمنفعة الى الآخرين .

وان كان الاثر الداخلي لحركة الترجمة قد نتج عنه معالجة مشكلات الدولة الآتية ، فان الاثر الخارجي قد تجاوز ذلك بكثير ، حيث انه اسس لحركة نهضة وتطور استمرت في اوربا الي يومنا هذا .

الهوامش:

- (1) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والاجتماعي والثقافي ، القاهرة 1959م ، ج 3 ، ص 346 .
- (2) احمد امين : ضحي الاسلام ، القاهرة 1952م ، ص 256 .
- (3) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج 3 ، ص 345 .
- (4) نادية حسني : السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الاول (دراسة تحليلية لعهد الواثق بالله)، المكتبة الفيصلية ، السعودية 1984م ، ص 144 .
- (5) احمد عبد الباقي : معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1991 ، ص 267 .
- (6) اليعقوبي : كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن 1860 ، 238 .
- (7) المصدر نفسه ، ص 162 .
- (8) بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، دار المعارف ، مصر ، 1961 ، ص 21 .
- (9) ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ليبزج 1903 ، ص 255 .
- (10) المصدر نفسه ، ص 380 .
- (11) المصدر نفسه ، ص 64 .
- (12) صاعد الاندلسي : طبقات الامم ، تحقيق حياة بوعلوان ، دار الطليعة ، بيروت 1985 ، ص 57 .
- (13) عبدالامير المؤمن : المرصد الاسلامي الفلكية نقلة نوعية في تاريخ الفلك ، مجلة افاق الثقافة والتراث ، ادارة البحث العلمي بمركز جمعة للثقافة والتراث ، الامارات العربية المتحدة ، دبي ، العدد 12 ، 1996 ، ص 22 .
- (14) المرجع نفسه: ص 23 .
- (15) نفسه: ص 23 .
- (16) صاعد الاندلسي ، طبقات الامم ، تحقيق حياة بوعلوان ، دار الطليعة ، بيروت 1985م ، ص 32-33 .
- (17) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات اطباء ، تحقيق نزار رضا ، مكتبة الحياة ، بيروت (د.ت.) ، ص 284 .
- (18) ارنولد ، تراث الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ، القاهرة ، 1947 ، ص 569 .
- (19) ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ص 64 .
- (20) المصدر نفسه ، ص 241 - 242 .
- (21) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات اطباء ، ص 285 .
- (22) ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ص 242 .
- (23) المصدر نفسه ، ص 98 - 184 .
- (24) ابن جلجل : طبقات اطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، القاهرة ، 1955 ، ص 67 .

- (25) ارنولد : تراث الاسلام ، ص 532 .
- (26) ابن جليل : طبقات الاطباء والحكماء ، ص 67.
- (27) ابن النديم : الفهرست ، تحقيق مجتبي منوفي ، مطبعة مارفي ، ايران 1393 هـ / 1973 م ، ص 365.
- (28) ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ص 41 .
- (29) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء ، ص 282 .
- (30) ابن النديم : الفهرست ، تحقيق الاستاذ مجتبي منوفي ، مطبعة مارفي ، ايران 1973 م ، ص 303 - 304 .
- (31) الخضري : تاريخ الامم الاسلامية ، الدولة العباسية ، ط 3 ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ، (د.ت) ، ج 2 ، ص 216 .
- (32) نادية حسني : السلم في العلاقات العباسية البيزنطية ، ص 147 .
- (33) فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ، دار الكتاب العربي ، القاهرة 1966 م ، ج 1 ، ص 17 .
- (34) ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ص 130 .
- (35) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص 284 .
- (36) ابن النديم : الفهرست ، ص 304 .
- (37) ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ص 61- 62 .
- (38) المصدر نفسه ، ص 95 .
- (39) المصدر نفسه ، ص 94 .
- (40) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص 283 .
- (41) حنين بن اسحق العبادي ويكنى ابا زيد ، والعباد نصاري الحيرة وكان فاضلاً في صناعة الطب فصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية ، اهتم بجمع الكتب القديمة ، ودخل بلاد الروم ، توفي في 260 هـ ، ابن النديم : الفهرست ، ص 352 .
- (42) ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ص 173 .
- (43) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص 259 .
- (44) ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ص 174 .
- (45) المصدر نفسه والصفحة .
- (46) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص 258 .
- (47) ابن النديم : الفهرست ، ص 352 .
- (48) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص 260 .
- (49) ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ص 157 .
- (50) ابن النديم : الفهرست ، ص 353 .

- (51) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص 262 .
(52) المصدر نفسه ، 271 .
(53) نفسه ، ص 270 .
(54) ارنولد : تراث الاسلام ، ص 454 .
(55) ابن النديم : الفهرست ، ص 348 .
(56) المصدر نفسه ، 347 .
(57) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص 272 .
(58) ابن النديم : الفهرست ، ص 347 - 350 .
(59) المصدر نفسه ، 361 - 366 .
(60) ارنولد : تراث الاسلام ، ص 455 .
(61) احمد عبد الباقي ، الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1991م ، ص 510 .
(62) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، 1968م ، ج 5 ، ص 161 - 163 .
(63) طوقان : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، دار القلم ، القاهرة ، 1963 ، ص 159 - 160 .
(64) ابن خلدون : المقدمة ، دار الفكر ، (د.ت) ، ص 488- 489 .
(65) ارنولد : تراث الاسلام ، ص 456 - 497 .
(66) محمد الصادق عفيفي : تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1976 - 1977م ، ص 183 - 184 .

الحركة السنوسية ودورها في محاربة الاستعمار الفرنسي في السودان الأوسط (تشاد)

جامعة السودان المفتوحة

أ.د. محمد أبو محمد إمام

قسم التاريخ - مدرسة الدكتوراه - جامعة أنجمينا

أ. عبد العزيز أبكر آدم

المستخلص:

تعود الصلات الليبية التشادية (السودان الأوسط) إلى عصور ضاربة في القدم أشار إليها المؤرخون القدماء، مثل المؤرخ اليوناني (هيردوت) وكذلك مؤرخي الرومان. وعلى الرغم من أن الصحراء تشكل حاجزاً طبيعياً بين المنطقتين إلا أن التواصل بينهما لم ينقطع بسبب هذه الصحراء، وازدادت هذه العلاقات قوة ومتانة بعد انتشار الإسلام في الشمال الأفريقي، وفي أفريقيا جنوب الصحراء، فقد اجتازت القوافل التجارية الصحراء تحمل البضائع والسلع إلى حوض بحيرة تشاد مصحوبة بالثقافة الإسلامية واللغة العربية. تتناول هذه الدراسة دور الحركة السنوسية في محاربة الاستعمار الفرنسي في تشاد في العقد الأول من القرن العشرين، وتستخدم الدراسة المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل. كانت كثير من القبائل الليبية قد هاجرت واستقرت في الأراضي التشادية قبل دخول الاستعمار الفرنسي في تشاد وتحديداً في منطقة كانم، وجاءت هجرات هذه القبائل الليبية لشمال الأراضي التشادية نتيجة لسوء الإدارة العثمانية وبطشها بالقبائل الليبية في جبابية الضرائب. وكان من أشهر القبائل المهاجرة أولاد سليمان، وورفلة، والمغارية، والقذاذفة وقد وجدوا ملاذاً آمناً في منطقة شمال التشاد وتداخلوا مع القبائل التشادية هناك وصاروا جزءاً لا يتجزأ من أهل البلاد. ولما نشأت الحركة السنوسية وأنشأت زواياها في الجنوب ثم انتقلت إلى الكفرة وبعد وفاة مؤسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي، نقل خلفه محمد المهدي مقر الدعوة إلى نقطة قرو داخل الأراضي التشادية، وقد وجدت الدعوة سنداً كبيراً من هذه القبائل الليبية ومن أهل البلاد وأنشئت الزوايا السنوسية على امتداد الصحراء. ولما تقدم الاستعمار الفرنسي نحو تشاد ووقفت السنوسية ضد توغلها في الأراضي التشادية، وقاد رجالها حروباً طاحنة بالتعاون مع المقاومة التشادية وخاضوا معارك عديدة في أنقوري، وبئر علالي وغيرها من المناطق واستشهد عدد كبير من رجال المقاومة السنوسية إلى جانب رجال المقاومة التشادية التي لم تجد بداً من الاستسلام أمام الغزو الفرنسي نظراً لعدم التكافؤ بين الطرفين في العدة والعتاد. خلصت الدراسة إلى أن الحركة السنوسية استطاعت أن تربط بين شعوب أفريقيا جنوب الصحراء وشمالها، وقطعت الحواجز الطبيعية بتعمير الصحراء بزواياها، كما أنها وحدت جهود المقاومة الوطنية التشادية للوقوف في وجه المستعمر الفرنسي ودعمت المقاومة الوطنية بالسلاح والرجال.

الكلمات المفتاحية: تشاد، السنوسية، الاستعمار

The Role of Senussi Movement in Combating French Colonialism in Central Sudan (Chad)

Mohamed Abo Mohamed Emam – Open University of Sudan

Abdel – aziz Abakar Adam

Abstract:

The Libyan-Chadian relationships go back to ancient ages referred by ancient historians such as the Greek historians(Herdots) as well as the Roman historians. Although desert was a natural barrier between the two areas, but the connection between them did not stop.The connections between the two region's became stronger and more durable after the spread of Islam in North Africa and Sub-Sahara Africa. Trade caravans crossed the Saharacarrying goods and merchandise to the lake Chad basin, accompanied by Islamic culture and Arabic Language.This study deals with the role of the Senussian movement in facing French invation to Chad during the first decade of the 20th Century.The study uses the historical method which based on description and analysis.Before the French colonization entered Chad, many Libyan tribes migrated to Chad and settled in the Chadian lands, especially in Kanem region. The emigration of these Libyan tribes came due to the Ottoman mismanagement rule in Libya, and it's brutality in collecting taxes . The Libyan tribes interfered with Chadian tribes, and became an integral parts of the citizens.When the senussi movement arose in Libya then moved its headquarters from Alkufra to Quro in Northern Chad, they found great support from these emigrating tribes alongside the Chadian citizens, and they all stood against the French invasion in Chadianland, and fought many battles with the French armies. A large number of Senussian were martyred in defense of the Chadian lands besides the citizens.The study concluded that the Senussi movement had connected the peoples of Sub-sahara Africa and North Africa, it also removed the barriers of the desert by establishing of what was known as Alzawaya, in addition to unifying the efforts of the Chadian national resistance to face the French invaders,and supporting them with arms and men.

Keywords: Chad, Senussi, colonialism

المقدمة:

لا شك أن الصلات الليبية مع بلاد السودان الأوسط (تشاد) صلات قديمة تعود إلى عصور تاريخية عميقة الجذور، ولم تقف الصحراء عائقاً أمام التواصل بين البلدين. ولما جاء الإسلام وانتشر في الشمال الأفريقي، انتقلت الدعوة الإسلامية أيضاً إلى أفريقيا جنوب الصحراء، وإليحوض بحيرة تشاد كما ازدادت العلاقات متانة ورسوخاً واجتازت القوافل التجارية الصحراء تحمل السلع والبضائع جيئةً وذهاباً وصحب هذه القوافل العلماء والدعاة يعلمون الناس ويدعونهم إلى دين الله، ويحفظونهم القرآن، وينشرون الخير بينهم.

كانت هناك بعض القبائل الليبية التي هاجرت إلى منطقة شمال تشاد واستقرت في منطقة كانم، وانصهرت مع القبائل التشادية التي تقطن في المنطقة، وصارت جزءاً أصيلاً من أهل البلاد. وكانت هجرة هذه القبائل نتيجة للضغوط التي مارستها السلطات العثمانية التي كانت تحكم ليبيا في عهد الحكم القرمانلي، إذ فُرضت ضرائب باهظة على هذه القبائل مما جعلها تهاجر إلى شمال تشاد هرباً من البطش بها، وقد وجدت قبولاً وترحاباً من أهل تشاد، وطاب لهم المقام هناك نظراً للتشابه الكبير بين بيئة هذه القبائل، والبيئة التي هاجروا إليها. ولما نشأت الدعوة السنوسية، وانتقلت في مرحلة من مراحلها من الكفرة إلى منطقة قرو في شمال تشاد وجدت سنداً ووعناً كبيراً من هذه القبائل الليبية، وكانت خير معين للسنوسية في نشر الدعوة في هذه المنطقة حيث انتشرت زواياها في الصحاري والواحات في شمال تشاد. وعندما بدأ الزحف الاستعماري الفرنسي نحو الأراضي التشادية وقفت الحركة السنوسية سداً منيعاً أمامها وقاومت التوغل الفرنسي في البلاد بكل ما أوتيت من قوة جنباً إلى جنب مع المقاومة الوطنية التشادية.

أهداف الدراسة:

- تهدف هذه الدراسة إلى إبراز العلاقات التاريخية بين الممالك التشادية مع القبائل الليبية.
- إلقاء الضوء على دور المقاومة الوطنية في مواجهة الاستعمار الفرنسي بالتعاون مع الحركة السنوسية.
- توضيح مجالات التعاون في المحاور (السياسية والاقتصادية والثقافة والاجتماعية) بين المقاومة الوطنية والحركة السنوسية أثناء مقاومة المستعمر الفرنسي.
- إبراز دور منطقة الجنوب الليبي في المقاومة الوطنية للفرنسيين في تشاد أثناء الاستعمار
- إظهار دور الشخصيات الوطنية والإقليمية التي أبليت بلاء حسناً في الدفاع عن مكتسبات الوطن والأرض والعرض والدين وبذل كل غال ونفيس في سبيل تحقيق ذلك.

الصلات التاريخية بين حوض بحيرة تشاد وليبيا:

إذا أردنا أن نتحدث عن الصلات التاريخية بين تشاد وليبيا فليس من السهل إعطاء صورة مفصلة عن هذه الصلات بين هاتين المنطقتين خلال مراحلهما السابقة للاستعمار الأوروبي للمنطقة وذلك لسببين رئيسيين أحدهما جغرافي والآخر تاريخي:

ففيما يتعلق بالجانب الجغرافي فإن الصحراء الكبرى كما هو معلوم قد قسمت أفريقيا منذ العصور القديمة إلى قسمين رئيسيين هما أفريقيا شمال الصحراء وتعرف ببلاد البيضان وأفريقيا جنوب الصحراء وتعرف ببلاد السودان. والحقيقة التاريخية التي يجب الإشارة إليها هنا هي أن أفريقيا بلاد البيضان من الناحية الجغرافية تكاد تكون منطقة واحدة وكذا الأمر بالنسبة لإفريقيا بلاد السودان فهذه الحقيقة حسب الاعتقاد تعكس على المدى البعيد صعوبة إعطاء صورة واضحة وجليّة عن الصلات التاريخية بين تشاد وليبيا، فهاتان المنطقتان اللتان لم تتشكلا بحدودهما الحالية إلا في عهد الاستعمار الأوروبي للمنطقة⁽¹⁾.

أما فيما يتعلق بالجانب التاريخي فإن منطقة ليبيا الحالية كانت تقع ضمن منطقة أفريقيا بلاد البيضان ولها تاريخها المعروف منذ العصور القديمة عند الأمم السابقة كالفينيقيين اليونانيين والرومانيين والمصريين وذلك أثناء سيطرتهم تبعاً على المنطقة وعندما جاء الإسلام سجل الكتاب المسلمون تاريخ هذه المنطقة في العهد الإسلامي بصورة تكاد تكون مفصلة⁽²⁾. وكما هو معلوم فإن منطقة حوض بحيرة تشاد على النقيض من ذلك، تقع في منطقة أفريقيا بلاد السودان، فإن تاريخها يعتريه بعض الغموض قبل الإسلام لأنه لم يعثر على وثائق مكتوبة يمكن الاعتماد عليها، باستثناء بعض المعلومات المتناثرة في الكتب هنا وهناك، وعلى الرغم من ذلك فسوف نحاول إلقاء الضوء على تلك الصلات التي ربطت طرفي القارة ببعضها البعض.

الصلات التاريخية بين منطقة حوض بحيرة تشاد وليبيا قديماً:

إن المتتبع للأحداث التاريخية قديماً قد يجد بلا شك عمق الصلات التاريخية بين سكان القارة وبالذات أفريقيا جنوب الصحراء وشمالها، فهي قديمة قدم الإنسان الذي عمر هذه المنطقة رغم صعابها وجفافها، وأن ما يقال عن الصحراء بأنها شكلت حاجزاً طبيعياً قسم أفريقيا إلى نصفين هو أمر صحيح جغرافياً لكنه لم يكن حائلاً طبيعياً يحد من تواصل الإنسان في المنطقة إذا كان الأمر كذلك فليس هناك ما يدعو إلى التحفظ من القول بأن الصلات التاريخية التي ربطت بين المنطقتين صلات قديمة والدليل على ذلك كتب الأقدمين⁽³⁾ أمثال المؤرخ اليوناني هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وزار ليبيا في تلك الفترة، ويعتبر أول من كتب عن تاريخ ليبيا القديم وعلاقاتها بالمناطق المجاورة - بوركينا فاسو وتبستي - والتي تقع الآن ضمن الأراضي التشادية حيث قال أن الليبيين يغزون الأثيوبيين⁽⁴⁾ وهم القوم الذين يسكنون تبستي⁽⁵⁾. وتلك إشارة واضحة إلى تفاعل المنطقتين منذ القدم على وجه العموم وتشاد وليبيا على وجه الخصوص. أما فيما يتعلق بالرومان فيمثلهم المؤرخ استرابو الذي عاش ما بين 66 ق. م - 24 م ويعتبر أول الكتاب الرومان الذين تحدثوا عن دولة الجرامنت فقد سجل ذلك في كتابه المسمى بالجغرافيا، حيث أشار إلى دولة الجرامنيت وسكانها ومناطق توزيعها وعلاقتها مع المناطق المجاورة لها، و يقول: سكان الجرامنيت يوجدون جنوب فزان وشمال الأثيوبيين⁽⁶⁾.

لا شك أن هذه المعلومات تعطينا مؤشراً لوجود الصلات التاريخية بين المنطقتين منذ العصور القديمة ليس هذا فحسب، بل هناك أبحاث لعلماء كشفت العديد من الرسومات التي

ترجع إلى عصر ما قبل الميلاد منحوتة في جبال أنيدي تبستي وكانت متشابهة مع آثار منطقة بلاد البيضاء⁽⁷⁾.

الصلات التاريخية بين تشاد وليبيا في العصر الإسلامي:

إذا أردنا أن نتحدث عن الصلات التاريخية بين تشاد وليبيا في عصر ما بعد الدعوة إلى الإسلام فيتحتّم علينا أن نتحدث عن كيفية دخول الإسلام في منطقة السودان الأوسط وخاصة حوض بحيرة تشاد حيث سلك الفاتحون نفس الطرق التي سلكها الأقدمون للتوغل عبر الصحراء إلى مجاهل أفريقيا. أن الإسلام دخل هذه المنطقة في زمن مبكر جدا في القرن الأول الهجري السابع الميلادي وبالتحديد عام ٤٦هـ / ٦٦٦م مقلّبا من إقليم فزان الذي افتتحه المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على يد القائد عقبة بن نافع الفهري ويحتل إقليم فزان وكوار مكانة هامة بالنسبة لتاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، فهما يكونان الطريق الأوسط الذي كان الناس يعبرون بواسطته الصحراء الكبرى⁽⁸⁾. والحقيقة أن السودان الأوسط كاد يكون في الماضي السحيق إقليما واحداً قامت عليه حضارات ذات شأن عظيم، كان يربط بينها شريان من الطرق البرية، وعن طريق درب الأربعين وكوار وفزان جاء الإسلام إلى السودان الأوسط وكانت القوافل تشرع من القيروان إلى طرابلس ومنها إلى مرزق، ثم إلى البلاء عاصمة إقليم كوار، ومنها إلى انجيمي عاصمة مملكة كانم، وعندها يلتقي بالطريق الشرقي الهابط من سيناء بمصر ووادي النيل ثم طريق الأربعين المار بدافور ووادي، كما أن سلاطين مملكة وداي احتفظوا بعلاقات سياسية واقتصادية قوية مع مناطق ليبيا منذ القدم⁽⁹⁾. ازدادت هذه الصلات أهمية خاصة في الجانب التجاري منها في عهد الحكم القرمنلي علي ليبيا (١٧١١-١٨٣٥م) ويبدو أن طريق وداي بنغازي قام بدور حيوي وفعال في تجارة القوافل منذ اكتشافه، وازدادت أهميته بعد أن تنامت قوة وداي في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي ويذكر أن مملكة وداي قد صدرت إلى بنغازي عام ١٨٥٠م حوالي (١٥٠٠) من الرقيق و(٤١٠٠) كيلوغرام من العاج، وبيعت هذه السلع بما يعادل ٣٠٠ ألف فرنك فرنسي، واستوردت في نفس الوقت الأقمشة القطنية والحريية، والأسلحة النارية، والسكر، والشاي، بما يعادل القيمة نفسها⁽¹⁰⁾. ويعتبر القرن التاسع عشر مرحلة مهمة في تاريخ التواصل السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي يربط بين تشاد وليبيا وقد ظهر الليبيون ولأول مرة على مسرح الأحداث في حوض بحيرة تشاد، عندما تولى الشيخ محمد الأمين الكامي السلطة في كانم عام ١٨٠٦م وقد تمثل ذلك في الحملات العسكرية التي سبها يوسف باشا لنصرة الشيخ محمد الأمين الكامي في حربه ضد الفولانيين، وكانت أهم هذه الحملات حملة محمد المكي حاكم فزان ١٨١٧م، وحملة مصطفى الأحمر ١٨٢١م، وحملة عبدالجليل غيث⁽¹¹⁾. وهناك أحداث أخرى أدت إلى توالي الهجرات الليبية إلى حوض بحيرة تشاد، والاختلاط والتواصل مع التشاديين وهو الضغط العثماني، والتدفق الأوروبي واختلاف العشائر فيما بينها وقد برزت أهمية هذه المنطقة بالنسبة للأوروبيين باكتشاف الثروات التي وجدت في أفريقيا جنوب الصحراء وشمالها. هذه الأحداث وغيرها جعلت تشاد وليبيا على تواصل مستمر بين شعوبها عبر عصورها المختلفة⁽¹²⁾.

أ/ الصلات التجارية والاقتصادية بين تشاد وليبيا قبل الاستعمار:

إن المتتبع للصلات التاريخية بين منطقة حوض بحيرة تشاد وليبيا يلاحظ أن العلاقات الاقتصادية والتجارية كانت عنصراً مهماً للتواصل بين شعوب هذه المنطقة، وقد شمل هذا التبادل الاقتصادي مواد أولية للبلدين، أو البلاد المجاورة. ويتمثل هذا النشاط في القوافل التجارية التي كانت تسيير بين المنطقتين، وقد كان لها دور مهم في تطوير العلاقات بين الشعبين، فكانت تصدر الكثير من السلع التجارية التي تأتي من الدول الأوروبية انطلاقاً من طرابلس، ودرنة، وبنغازي، والكفرة، وجالو، مثل: الملابس، والأقمشة، والأصباغ، وأدوات الزينة، والأسلحة، والسكر، والشاي، والبن، والإبر، والخرز، والقصور، والورق، والسبح، والأواني الزجاجية، والعمود، والأحذية، والأواني النحاسية، والشالات، والسروج، والنحاس الأصفر، والخناجر، ويصدر إليها من الدول الأفريقية العاج، والإبل، وريش النعام، والجلود المدبوغة، بالإضافة إلى الرقيق. وتستخدم الجمال في نقل هذه البضائع والأفراد إلى مجاهل أفريقيا، وذلك لتحملها لصعاب الطرق الصحراوية القاسية وأهم هذه الطرق:

1. طرابلس-سوكنة-مرزق- تاجوراء - بلما- بحيرة تشاد: ويعرف بطريق برنو.
2. طرابلس - غدامس - غات - زندر - كانو: ويعرف بطريق وسط السودان.
3. بنغازي - جالو - أوجلة - الكفرة - أبشة بلاد السارا ويعرف بطريق وداي⁽¹³⁾.
4. وهناك طريق آخر اكتشف في وداي في عهد السلطان صابون ينطلق من وداي درنة

فزان

وقد تحدث عن هذا الطريق الشيخ ابن عمر التونسي عند مجيئه إلى وداي وقد أرسل السلطان صابون عن طريقه قافلة إلى ليبيا بقيادة الشريف الفاسي وقد صحبه في هذه الرحلة محمد بن عمر التونسي⁽¹⁴⁾.

وقد ظل طريق بنغازي - وداي ذا فعالية تجارية حتى نهاية القرن التاسع عشر فقد ورد في تقارير القنصلية الإنجليزية ببنغازي أنه قد تحركت بين عام ١٨٩٦ - ١٨٩٧م سبعة عشرة قافلة من بنغازي إلى وداي، خمسة عشر منها يملكها تجار من بنغازي، وأن عدد الجمال في القوافل يبلغ (٥٨٢) جملاً أما القافلتان المتبقيتان فمملوكتان لقبيلتي الزوية والمجابهة بحيث يملك المجابهة في هاتين القافلتين (٥٥٠) جملاً والزوية يملكون (١٠٠) جملاً وهذا يدل على الحجم الكبير للتبادل التجاري بين المنطقتين في ذلك الوقت⁽¹⁵⁾. وقد استفاد سكان هذه المناطق من هذه القوافل التي تمر بهذه الطرق فائدة كبيرة، وكذلك الممالك والسلطنات التي كانت تصدر وتستورد السلع وقد اهتم السلاطين اهتماماً خاصاً بهذه القوافل، ودلت المراسلات المتبادلة بين سلاطين برنو ووداي وبعض زعماء القبائل الليبية التي تقوم بالتجارة، على أهمية هذه الطرق، والمحافظة عليها، ويظهر ذلك في الرسالة التي كتبها السلطان محمد شريف (١٨٣٥ - ١٨٥٨م) سلطان وداي إلى الشيخ يونس، وهو من كبار زعماء المجابهة والتي يقول فيها: «أتنا من طرف سيادتكم قافلة فرحنا بها غاية الفرح وسرنا بها غاية السرور وظهر لكم منا المحبة والطريق بيننا وبينكم سهل كما تحب وترضى»⁽¹⁶⁾. ويذكر الحنديري بأن أولاد سليمان قد سيطروا منذ منتصف القرن التاسع عشر على

طريق طرابلس برنو وذلك نتيجة لتحالفهم مع سلاطين برنو بهدف تأمين الطرق وخاصة طريق الملح مع كوار، ودخلوا في معارك دامية مع الطوارق خلال فترة حكم الشيخ عمر بن محمد الأمين الكانمي (١٨٣٥ - ١٨٨٠م)^(١٧). وقد وصل التعاون بين المجابرة وسلاطين وداي من أجل تأمين طرق التجارة المتبادلة بينهم إلى التحالف وإبرام العهود، والدليل على ذلك الوثيقة التي عثر عليها في يناير ١٩٨١م في أبشة مختومة بختم السلطان علي السليك ابن السلطان دود مرة، والمؤرخة بتاريخ جمادى الآخر ١٢٧٩هـ وجاء فيها الآتي:

«أما بعد ليعلم الواقف على هذه الورقة أن السلطان علي بن السلطان محمد صالح بن السلطان يوسف بن السلطان شريف العباسي قد أطلع على ورقة المجابرة الذين بجالو وليبية وحاصل فيها اتصالات وموادات ومعاهدات مع آباءنا وأجدادنا السابقين لكوننا نفس وشيء واحد بحسب الأخوة الإسلامية ويؤكد ذلك معاهدة الآباء سابقاً لقوله عليه الصلاة والسلام عهود الآباء ترثه الأبناء وإننا محافظين علي تلك العهود وبرؤية تلك الورقة التي كتبها لهم جدنا السلطان الشريف العباسي علمنا أكيد نحن وإياهم على حالة واحدة وورقة جدنا كاتبها للشيخ يونس وجميع كبراء المجابرة الذين بجالوا سابقاً وإننا اليوم في أثرهم بيد أن الورقة تغيرت وإن شاء الله نحن مع ذلك محافظين لعهود الآباء والأجداد ومطلوب منكم أن تعلموا جميع المجابرة بذلك الحال لنكن نحن وإياهم على بصيرة الذين مضوا قبلنا وحفظنا الله وإياهم من كل مكروه وبالجملة منذ أن رأينا الورقة منكم صرنا منشرحين الصدور هذا ما لزم إعلامكم به والسلام، ختم السلطان علي السليك^(١٨).

هذه الرسالة تدل على مدى الود والاحترام المتبادل بين السلاطين ومشايخ القبائل الليبية المهاجرة إلى منطقة حوض بحيرة تشاد واحترام العهود أو لمواثيق بين الأبناء والأجداد مما مهد للقبائل الليبية للهجرة إلى تشاد عندما تتعرض للضغط في أي مرحلة من المراحل.

ب/ الصلات التجارية والاقتصادية بين حوض بحيرة تشاد وليبيا بعد الاستعمار:

استمرت القوافل التجارية في الربط بين شعوب هذه المنطقة حتى بعد مجيء الاستعمار الأوروبي وسيطرته على بعض الدول، وبالتالي تأثرت هذه التجارة، وبالذات أثناء الصراع العثماني الفرنسي في الصحراء الكبرى (١٨٥٨-١٩١١م)، ومحاولة كل منهما الاستفادة من هذه الطرق فكانت فرنسا تحاول جاهدة تغيير وجهة التجارة إلى الجزائر بدلاً من ليبيا، فبدأت بالضغط على التجار الليبيين فرض الضرائب الجمركية عليهم، والتسهيل للتجار التونسيين بإعفائهم من الضرائب، فرجع التجار الليبيون شكوى إلى الدولة العثمانية^(١٩). وفي الفترة ما بين عامي ١٨٩٣ - ١٨٩٤م توقفت التجارة مؤقتاً بعد غزو رابح لمملكة باقرمي وبرنو كما شهدت هذه الفترة مراقبة شديدة من قبل الاستخبارات الأوروبية لهذه الطرق بغرض تطويق الحركات الإسلامية في هذه المنطقة - المهديّة في السودان، والسنوسية في ليبيا وتشاد ورابح في أوبانقي شاري، بالإضافة إلى الممالك التشادية التي تسعى فرنسا للاستيلاء على أراضيها.

الهجرات الليبية إلى حوض بحيرة تشاد:

مراحل هجرة القبائل الليبية إلى حوض بحير تشاد:

هناك ترابط قوي بين الشعبين التشادي والليبي، كرابطة الجوار والدين والعرق والتاريخ المشترك والهجرات الليبية إلى حوض بحيرة تشاد ناتجة عن العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت بين الشعبين في العصور المتعاقبة وهناك العديد من المصادر التي تتحدث عن الهجرات الليبية إلى حوض بحيرة تشاد ومقدارها وكيفيتها، وتم تقسيم هذه الهجرات إلى ثلاثة مراحل رئيسية حدثت في فترات متقاربة، ولكل هجرة أسبابها ودوافعها التي دفعت أصحابها إلى الهجرة⁽²⁰⁾. وقد توفرت في تلك الفترة (١٨٤٠-١٩٣٠) عوامل طاردة في ليبيا، وأخرى جاذبة في تشاد نتج عنها هجرة العديد من القبائل والعشائر الليبية إلى حوض بحيرة تشاد وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى ١٨٤٢م:

حدثت هذه الهجرة سنة ١٨٤٢م، وشملت عدة قبائل من منطقة سرت وفزان وأغلب العشائر المهاجرة إلى تشاد كانت من قبيلة أولاد سليمان.

المرحلة الثانية ١٨٦١م:

حدثت هذه الهجرة سنة ١٨٦١م وشملت عدة بيوت من منطقة سرت وإجدابيا وأغلب المهاجرين من قبيلة المغاربة.

المرحلة الثالثة ١٩٢٨-١٩٣٠م:

حدثت هذه الهجرة في الفترة ما بين ١٩٢٨-١٩٣٠م وشملت قبائل مختلفة من سرت وورفلة وفزان بالإضافة إلى الجنوب الشرقي من ليبيا اثر الضغط الإيطالي لها⁽²¹⁾.

الأسباب التي أدت إلى الهجرات الليبية إلى تشاد:

من العوامل التي أدت إلى الهجرات الليبية المتلاحقة إلى حوض بحيرة تشاد سوء الحياة الاقتصادية خلال أواخر العهد القرمانلي (١٧١١-١٨٣٥م)، والضرائب التي كانت تفرضها الإدارة العثمانية على القبائل الليبية والتعسف الذي يمارسه جباة الضرائب عليها في هذه الفترة (١٨٣٥-١٩١١م)، وقد رفضت بعض القبائل هذه المعاملة القاسية فامتنعت عن دفع الضرائب الأمر الذي اعتبرته الإدارة العثمانية عصياناً لها فجردت حملات ضد هذه القبائل، فلم يكن أمامها إلا الهجرة إلى منطقة حوض بحيرة تشاد القريبة منها والمتشابهة في مناخها واستضافة أهلها لهم. وتذكر بعض الروايات الشفهية أنه بعد مقتل عبد الجليل غيث شيخ قبيلة أولاد سليمان على يد حملة البلعزي اجتمعت عشائر أولاد سليمان للتشاور في أمر القبيلة، واستقر بهم الرأي إلى الهجرة إما إلى مصر أو إلى حوض بحيرة تشاد، ففضل غالبيتهم الهجرة إلى حوض بحيرة تشاد، وكان على رأس المؤيدين الهجرة إلى تشاد الشيخ عبد الجليل فكان يوصيهم بالهجرة إلى كانم. فهي بالإضافة إلى كونها بلد مسلم، وبه الكثير من الخيرات، كانت تربطها علاقات قوية بليبيا⁽²²⁾.

كذلك فإن منطقة حوض بحيرة تشاد في تلك الفترة لم تكن منطقة مجهولة بالنسبة لليبيين، فقد كانت هناك اتصالات وعلاقات اقتصادية واجتماعية وسياسية بين الشعبين. ولعل أبرزها تلك

الحملة التي كان الوالي العثماني يوسف باشا القرمانلي يجردها بين الحين والآخر لنجدة محمد الأمين الكامي الذي كان في تلك الفترة يقود حرباً ضد قبائل الفولاني ومملكة باقرمي وقد بعث يوسف حملته الأولى إلى كانم بقيادة محمد المكنى وإلي فزان (١٨١٧م). وقد عاد المكنى بغنائم عديدة وهدايا مبعوثة من محمد الأمين الكامي إلى يوسف باشا⁽²³⁾. وفي سنة ١٨٢١م بعث يوسف باشا القرمانلي بحملة أخرى بقيادة الأحمر الذي ساعد الكامي على سلطان باقرمي حيث دخل ماسينيا عاصمة مملكة باقرمي، إلا أن عبد الجليل عمل على توطيد علاقاته مع حاكم ماو عاصمة كانم المدعو مليقانا، وعمل على تنمية التجارة مع كانم وكانت تدر له أرباحاً هائلة مما شجعه على الاستقلال بفزان، الأمر الذي أدخله في حرب مع الأتراك.

هذه الأسباب وغيرها هي التي شجعت عبد الجليل بأن يوصي اتباعه بالهجرة إلى كانم داخل الأراضي التشادية⁽²⁴⁾. ومن الأسباب التي جعلت القبائل الليبية تهاجر إلى حوض بحيرة تشاد التشابه بين البيئتين، إذ يوجد تشابه بين منطقتي سرت والكفرة، ومناطق انيدي تبستي وكانم حيث تتكون من صحارى، وبعض الكثبان الرملية، والأودية الجافة، والمنخفضات والينابيع، كما أن هناك تشابه واضح في كمية الأمطار التي تسقط بين المنطقتين⁽²⁵⁾. ومن العوامل التي ساعدت القبائل الليبية في التوغل نحو حوض بحيرة تشاد الصراعات التي كانت تدور بين الممالك والقبائل في الداخل، مما يدفعهم للوقوف والتحالف مع أحدهما ضد الآخر من أجل كسب الغنائم. وقد استطاع أولاد سليمان بهذا التحالف أن يشنوا بعض الحملات على الطوارق والداوازا الكامبو وغنموا غنائم متنوعة من الأبل، والبقر، علاوة على اكتسابهم مكانة بين السكان وسيطرتهم على طرق التجارة، وكانت لهم مكانة خاصة بين السكان، في كانم سنة ١٨٥٠م⁽²⁶⁾.

القبائل الليبية المهاجرة إلى تشاد وأماكن تركزها:

كانت أخبار المهاجرين الأوائل الذين استقر بهم المقام، وطاب لهم العيش في كانم تأتي إلى أهلهم ومعارفهم، مما شجعهم على اللحاق بهم نتيجة لضغوط الولاة العثمانيين عليهم في مسألة جباية الضرائب التي تفرض عليهم، فقد هاجرت عام ١٨٦١م مجموعة من قبيلة المغاربة إلى شمال حوض بحيرة تشاد، وقد لقب أفراد هذه القبيلة بأصحاب العباءات السوداء تمييزاً لهم عن باقي المجموعات والقبائل التي هاجرت قبلهم، وربما كان بعضهم يرتدي هذا اللون من العباءات، وقد استقرت هذه المجموعات أيضاً في نفس المنطقة التي سكنت فيها القبائل الليبية شمال تشاد، وامتزجوا مع بعض القبائل المحلية مثل الداوازا. وفي سنة ١٨٧٣م قامت مجموعة أخرى من قبائل القذاذفة وورفلة تقدر بحوالي (٣٠٠) رجل بالهجرة إلى حوض بحيرة تشاد واستقرت أيضاً في منطقة كانم، والملاحظ أن تدفق القبائل الليبية المختلفة واستقرارهم في كانم أدى إلى توحدهم وصاروا قوة فيما بعد⁽²⁷⁾. وقد أُجبرَ بعض السلاطين للتحالف معهم، فقد لجأ الشيخ محمد الأمين الكامي (١٨٣٥- ١٨٨٠م) إلى عقد تحالف معهم ضد تقدم سلطان دار وداي نحو برنو. وفي المقابل يقوم الشيخ بتزويد هذه القبائل بالسلاح والغلال، حتى يحطم سلطان وداي وبسبب هذا التحالف بين الشيخ عمر والقبائل الليبية بدأ سلطان وداي يغدق الهدايا على زعماء تلك القبائل ولكنه لم يوفق في ذلك

(28) وهكذا ظلت القبائل الليبية في شمال تشاد حتى الغزو الفرنسي لمنطقة حوض بحيرة تشاد ١٨٩٩م، ومحاولة احتلال كانم بعد مقتل رابح في ٢٠ أبريل ١٩٠٠م، ولما تقدمت فرنسا نحو تشاد وقفت القبائل الليبية (أولاد سليمان، القذاذفة، المغاربة، ورفلة، والشريدات، اللهيوات وغيرهم) مع المقاومة الوطنية التشادية ضد الغزو الفرنسي، مما جعل تقدم الفرنسيين نحو الشمال بطيئاً على الرغم من الإمكانيات العسكرية الكبيرة والقوى البشرية المدربة، بالإضافة إلى بعض القوى المحلية المتحالفة معهم أمثال السلطان قورانق، وسلطان زندر، وجرت هناك معارك غير متكافئة في تلك الفترة (29).

التعريف بالحركة السنوسية وانتشارها:

نبذة عن مؤسس الحركة السنوسية:

هو محمد بن علي بن السنوسي بن العربي بن محمد بن عبد القادر بن شهيدة بن حم بن يوسف بن عبد الله بن خطاب بن علي بن يحيى بن راشد بن محمد المرابط بن منداس بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن إدريس بن سعيد بن يعقوب بن داوود بن حمزة بن علي بن عمران بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي (30).

ولد صبيحة الأثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول ١٢٠٢ هـ الموافق ١٢٢ ١٧٨٧/١٢م لذلك سماه والده محمداً تيمناً باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت ولادته بضاحية ميثا الواقعة على ضفة وادي شلف بمنطقة الواسطة التابعة لمنطقة مستغانم بالجزائر، توفي والده بعد سنتين من ولادته فتولت عمته فاطمة تربيته فنشأ عندها نشأة صالحة، وكانت هي من فضليات أهل زمانها ومتبحرة في العلوم، ومنقطعة للتدريس والوعظ والإرشاد، حتى كان يحضر دروسها الرجال (31).

فشب في طلب العلوم عند مشيخة بلدته مستغانم فمكث فيها سنتين أتم خلالها حفظ القرآن برواياته السبع ودرس الكثير من كتب الفقه والسيرة والعقيدة، بالإضافة إلى كتب اللغة العربية (32).

خرج في أوائل ١٢٢١ هـ من مستغانم إلى بلدة مأذونة التي مكث فيها سنة كاملة لطلب العلم، فتتلمذ على مجموعة من مشايخها وهم: محمد بن علي بن أبي طالب، وأبو رأس المعسكري، وأبو المهمل أبو زوينة، بعد ذلك رحل إلى مدينة تلمسان وأقام بها قرابة السنة، حيث تتلمذ على كبار شيوخها متفرغاً في تحصيل العلم والمعرفة (33).

ثم قصد بعدها مدينة فاس في المغرب ومكث فيها سبع سنوات من أجل التحصيل العلمي وتبحر في الطرق الصوفية بالإضافة إلى الفقه والعقيدة، وتحصل على إجازات من علماء راسخين في العلم، وأصبح مدرساً بالجامع الكبير بمدينة فاس حتى نال منصب المشيخة الكبرى بها (34).

كان محمد بن علي منذ صغره يميل إلى الانزواء والانفراد، ويمضي وقتاً طويلاً في التفكير العميق، ويتألم من حال الأمة وما وصلت إليه من الضعف والهوان والضياع، وكان يبحث عن

أسباب الهبوط، وعوامل النهوض، كما يبحث عن طريقة لتوحيد صفوف الأمة وإحياء الملة، وحدث ذات مرة أن وجده بعض العلماء جالساً فوق كثيب من الرمال تظهر على صفحات وجهه المشرق علامات التفكير العميق، فلما سألوه عن السبب في ذلك أجاب بأنه يفكر في حال العالم الإسلامي الذي لا يعدو عن كونه قطيعاً من الغنم لا راعي له، على الرغم من وجود سلاطينه وأمرائه ومشايخ طرقه وعلمائه⁽³⁵⁾.

فمع أن هناك عدداً كبيراً من المرشدين، وعلماء الدين الموجودين في كل مكان، فإن العالم لا يزال مفتقراً أشد الافتقار إلى مرشد حقيقي يكون هدفه سوق العالم الإسلامي أجمع إلى غاية واحدة نحو غرض واحد، والسبب في هذا انعدام الغيرة الدينية لدى العلماء والشيوخ، وانصرافهم إلى الخلافات القائمة بينهم التي فرقتهم شيعاً وجماعات، فأصبحوا لا يعنون بنشر العلم والمعرفة، ولا يعملون بأوامر الدين الحنيف، وهو دين توحيد أساسه الاتحاد وجمع الكلمة. زد علي هذا أن على هؤلاء العلماء والشيوخ واجب عظيم في حق الملة الإسلامية، لأن الشعوب المجاورة في السودان والصحراء من أفريقيا الغربية لا يزال الكثير من شعوبها تعبد الأوثان، ومع هذا فإنهم بدلاً من وعظ هذه الشعوب الوثنية وإرشادهم إلى الدين القويم، مازالوا يفضلون القبوع في كل مسجد من مساجد المعمورة غير عاملين بعلمهم، لا هم لهم إلا راحة أجسامهم، حريصين على لذاتهم، غير قائمين بواجبات مراكزهم، لا ضمائر لهم تؤنبهم على إهمالهم إرشاد هؤلاء المساكين الوثنيين⁽³⁶⁾.

ومع ذلك فقد بلغ من القوافل الواصلة إلى بلده مستغانم أن الإسلام مغلوب على أمره في كل محل، وأن المقاطعات والخطط المعمورة تذهب من أيدي المسلمين في كل وقت وبسرعة البرق، فالإسلام في حالة تدهور مخيف ثم ختم كلامه بقوله (هذا ما أفكر فيه فلما سألوه: وماذا يجب على المسلمين فعله لتلافي ما ذكرت أجاب: سأجتهد سأجتهد)⁽³⁷⁾.

لقد كان تفكيره في حال الأمة مبكراً جداً، وأخذ يبحث عن العلل والأسباب التي أدت إلى هذا التدهور والانحطاط والضعف في كيان الأمة، وذكر أن من أسباب هذه الحال فقدان القيادة الرشيدة وغياب العلماء الربانيين، وانعدام الغيرة على الدين، والانشغال بالخلافات الهامشية التي فرقتهم شيعاً وجماعات، والتفريط في حق دعوة الناس إلى الإسلام، فلذلك اهتم بالبحث عن أسباب النهوض، فرأى أن بدايتها الإيمان العميق بمبادئ وقيم الدين الحنيف كما قال تعالى: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) صدق الله العظيم الأعراف الآية (٩٦). وعندما رأى الناس صلاحه وتقواه وفهمه الدقيق لعلوم الدين واهتمامه بأمر وحدة المسلمين اجتمعوا حوله فدب الخوف في حكومة السلطان سليمان من نفوذ ابن السنوسي ومكانته في قلوب الرعية، فرأت في أفكاره الناقدة لولاة الأمر تهديداً لمكانة السلطان، فبدأت بوضع العراقيل له وأحس بعدم جدوى وجوده في فاس، فرحل عنها بعد أن تشبع من أصول الدعوة وعزم على محاربة الأوهام والخزعبلات التي أبعدت الإسلام عن حقيقته، كما أن تجربته مع السلطان سليمان أكسبته خبرة في التعامل مع الحكام في المستقبل، كما لاحظ أثناء تواجده بالمغرب بداية التغلغل الأوروبي وتأثيره على المدن المغربية، وشعر بالخطر الذي بدأ يهدد البلاد الإسلامية من الدول

الأوروبية المسيحية، فقد سمع عن النكبات التي حلت بالمسلمين في الأندلس، واحتلال الكثير من المدن في الشمال الإفريقي في القرنين الأخيرين من قبل الإسبان، وما تزال صدى أعمالهم الشنيعة تتناقل من جيل إلى جيل، -القتل والسلب والسبي وتحويل المساجد إلى كنائس- كل هذه الأشياء أثقلت أفكاره وجعلته يفكر ملياً في تغيير حال الأمة إلى الأحسن⁽³⁸⁾. وقد تأثر بالطرق الصوفية التي تعمق في دراستها، وساعدته الظروف حيث كانت فاس مركزاً نشطاً للطرق الصوفية آنذاك، وتأثر أيضاً بالحركات الإصلاحية التي كانت تقف في وجه الحكام ضد انحرافاتهم⁽³⁹⁾. ومن الأسباب التي جعلته يغادر مدينة فاس بالإضافة إلى الأسباب السابقة رغبته الملحة لحج بيت الله الحرام، وزيارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك غادر المغرب العربي برفقة قافلة ذاهبة إلى المشرق⁽⁴⁰⁾.

رحلته إلى المشرق ودخوله الأراضي المصرية:

كان التفكير عند ابن السنوسي للسفر إلى مكة طبيعياً فهو من ناحية لا بد أن يؤدي فريضة الحج، وتعلق قلبه بحج بيت الله الحرام، وحلم بالعيش في الأراضي المقدسة، وذلك للقاء كبار علماء المشرق بعد أن اغترف العلم من علماء المغرب لأن مكة تجمع كل علماء العالم الإسلامي، كما فكر في لقاء شعوب كل العالم لجس نبض حال الأمة لأنها ملتقي المسلمين لأداء فريضة الحج⁽⁴¹⁾. وقد قيل أن ابن السنوسي قبل سفره إلى المشرق رجع إلى بلده مستغانم وفيها قام بإتمام أول زواج له بإحدى بنات عمومته، فرحل بزوجه جنوب شرق قسنطينة فبني زاوية ومارس فيها الوعظ والإرشاد وقرر بعد ذلك الارتحال إلى مكة فلم ترغب زوجته مرافقته فطلقها بسبب ربما يتأخر عليها فلا يريد أن يظلمها، فأنجب منها طفلاً ولكنه توفي وهو صغير ثم ماتت أمه بعده⁽⁴²⁾.

غادر ابن السنوسي الجزائر، ودخل تونس وقابس، واستقر بجامعة الزيتونة حيث استفاد من شيوخها وأفاد طلابها، ثم واصل سيره ودخل طرابلس الغرب، وكان ذلك في عهد يوسف القرمانلي⁽⁴³⁾.

الذي كان مستقلاً عن الدولة العثمانية فأكرم نزل ومكث في طرابلس وضواحيها مدة من الزمن للوعظ والإرشاد، ولم يترك مسجداً معروفاً بها إلا وألقى فيه دروساً وتعلق به آل المنتصر، وأصبحوا النابئين له في طرابلس وسافر إلى زليطن لنشر الدعوة ووعظ وأرشد الناس واستطاع أن يكسب الكثير من الأنصار لدعوته في كل من مصراته وزليطن وطرابلس⁽⁴⁴⁾.

ومن أشهر الأسر التي أصبحت ركائز للحركة السنوسية فيما بعد آل المحجوب، وآل الأشهب، وآل الدردني، وآل عمران بن بركة، وآل يوسف، وآل بن فرج الله، وآل المقرحي، وآل الثني، وآل الغرياني، وآل العيساوي، وآل الغزالي، وآل الهوني، وآل الزناتي⁽⁴⁵⁾.

نستطيع تحديد تاريخ دخول ابن السنوسي طرابلس الغرب عن طريق حفيده أحمد الشريف، الذي تحدث عن اجتماع جده بأحد مريديه وهو عمران بن بركة « فكان اجتماعه به أثناء مروره عليهم قادماً من الغرب إلى المشرق سنة ثمان وثلاثين بعد المئتين والألف في بلدة زليطن بغرب طرابلس الغرب»⁽⁴⁶⁾.

استغل ابن السنوسي فرصة مروره بالساحل الإفريقي في التعرف على أحوال المسلمين في تلك المناطق، وكوّن فكرة عن أوضاعهم، وقد استفاد فيما بعد من هذا التعارف بعد عودته من الحجاز.

دخول ابن السنوسي الأراضي المصرية:

دخل ابن السنوسي القاهرة وكان يحكم مصر آنذاك محمد علي باشا وكان ذلك عام ١٢٣٩هـ الموافق ١٨٢٤م، وكانت هذه فرصة ليتعرف محمد بن السنوسي على تجربة محمد علي باشا في الحكم، وقد لاحظ ابن السنوسي عدة أمور جعلته لا يرتاح إلى نوع الحكم الذي أقامه محمد علي باشا، وازداد قناعة بخطورة حكم محمد علي باشا علي الأمة، لأن سياسته كانت تخدم أعداء الإسلام وهيأت سياسته المنطقة بأكملها لمرحلة استعمارية، وقد استطاع أعداء الإسلام تحقيق أهدافهم بواسطة محمد علي باشا بعدة طرق منها:

- تحطيم الدولة السعودية الأولى التي كانت خنجراً مسموماً في ظهر الأطماع البريطانية في دول الخليج خصوصاً والعالم العربي علي وجه العموم.
- فتح الأبواب أمام الدول الغربية لإقامة مؤسسات معادية للإسلام والمسلمين في دول المشرق مثل الماسونية، وإرساليات التبشير وأديرة وكنائس، ومدارس نشطة في بذر التيارات القومية المعادية للمسلمين.
- فتح المجال للشركات الأوروبية لتتحكم في الاقتصاد الإسلامي.
- منح امتيازات واسعة للأوروبيين⁽⁴⁷⁾.

خفق التيار الإسلامي ومضايقته العلماء ومنع المسلمين من تكوين تكتلات توحدتهم، أما الأزهر الشريف فكان في غاية الانحطاط، وضعف دور علمائه، وانتشرت الخلافات فيما بينهم، واهتمام العلماء بالمختصرات، والشرح في الحواشي، وقفل باب الاجتهاد، وطغى التعصب المذهبي. وبعد هذه التجربة القصيرة في مصر قرر مواصلة رحلته إلى مكة⁽⁴⁸⁾.

رحلته إلى مكة المكرمة وتأسيسه لأول زاوية:

دخل محمد بن السنوسي الحجاز عام ١٢٤٠هـ الموافق ١٨٢٥م بعد أن مكث سنة كاملة في مصر، وكانت لزيارته للحجاز أثراً كبيراً في قيام الحركة السنوسية وساعده في ذلك جملة من الأسباب:

- تلقيه الكثير من المعلومات عن أحوال وأخلاق المسلمين الوافدين من جميع الأقطار إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج.
- وجد الفرصة للاحتكاك بعلماء وفقهاء ومفكري الأمة وتبادل معهم الآراء حول كيفية النهوض بالأمة وإعادة مجدها.
- كانت مركزاً مهماً لنشر الدعوة ولذلك انتهاز فرصة وجوده هناك لنشر دعوته.

وجد الفرصة للتعرف عن قرب علي الكثير من الاتجاهات الفكرية المختلفة فمنهم الصوفي والسلفي وخاصة حركة محمد بن عبد الوهاب حيث عاش أتباع السلفية ودرسها دراسة واعية في

مواقفها السياسية واجتهاداتها العلمية، ومن أشهر العلماء الذين درس عندهم أبو سليمان عبد الحفيظ العجمي مفتي مكة وقاضيه، وأحمد الدجان الذي أخذ عنه عدداً من الطرق الصوفية، وأحمد بن إدريس الفاسي وهو من الشيوخ الذين درس عندهم وتأثر بهم حتى رحل معه إلى صيبا باليمن عندما تعرض لضغوطات من قبل الحكومة العثمانية وانتقادات علماء مكة فمكث معه حتى وفاته سنة ١٨٣٥م⁽⁴⁹⁾.

تأثر ابن السنوسي بشيخه أحمد بن إدريس تأثراً كبيراً، وأحبه شيخه حباً شديداً وهو أيضاً كان يحبه ويقدره ويفضله على غيره وهذه شهادة ابن إدريس لابن السنوسي «أما ولدنا السيد محمد بن السنوسي فحنن أمرناه أن يدل الخلق على الله، ويجذب الطالبين إليه، إياكم ثم إياكم ما يقطعكم عن صحبتي، فإنه النائب عنا، قد اختاره الله لذلك، وقد طلب منا مراراً أن نجعل ذلك لمن يقوم به غيره فلم نر فيه المصلحة إلا هو... ونحن ما أقمناه حتى أقامه الله، فقد قام امتثالاً لأمره فلم يكن له غرض لطلب دنيا ولا جاه»⁽⁵⁰⁾.

أول زاوية لابن السنوسي:

لقد أخذ ابن السنوسي من شيخه أحمد بن إدريس الإذن لإعطاء العهود، وتلقين الذكر، فأذن له بذلك ولم يلبث ابن السنوسي بعد ذلك طويلاً حتى بنى أول زاوية له في الحجاز وباشراً في الدعوة وإلقاء الدروس فيها قبل وفاته شيخه⁽⁵¹⁾.

ويعتبر المؤرخون زاوية أبي قبيس أول الزوايا التي أسسها ابن السنوسي بعد اعتزامه القيام بالدعوة، كوسيلة لنشر تعاليمه وأفكاره⁽⁵²⁾.

مكث ابن السنوسي في الحجاز خمسة عشر عاماً في رحلته الأولى كون خلالها الكثير من الأتباع والمريدين، مما أثار غضب وضغينة علماء مكة الذين يخالفونه وينتقدون اعتماده الخالص على الكتاب والسنة، وإقامته الحجة على أن باب الاجتهاد لم يغلق بعد، وزاد الأمر تعقيداً أن السلطات الحكومية بدأت تشعر بخطورة دعوته والتفاف الناس حوله، وكان ابن السنوسي على اتصال دائم مع تلاميذ أحمد بن إدريس في صيبا وقد تبنا أفكار السلفية، وكان العداء على أشده بين الحكومة العثمانية والأشراف بمكة، وبين أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهكذا كثرت الصعاب والعوائق ففكر في الانتقال بالدعوة إلى مكان آخر⁽⁵³⁾.

انتقال ابن السنوسي إلى المغرب وتأسيسه للزوايا في شمال ووسط أفريقيا:

هناك عدة أسباب تضافرت ودفعت بابن السنوسي لمغادرة الحجاز منها وفاة شيخه ومعلمه أحمد بن إدريس الفاسي، وعداوة علماء مكة وشيوخها لأفكاره وتوجهاته، وخوفه من توجس الدولة العثمانية من تنامي علاقته مع أبناء أحمد بن إدريس بمنطقة عسير، وهي مرتع لأتباع السلفية، ودعوة أتباعه ومريديه من أهالي المغرب وشمال أفريقيا لزيارتهم، ورغبته في مقاومة الفرنسيين الذين اجتاحتوا شمال أفريقيا وخاصة بلده الجزائر⁽⁵⁴⁾.

كل هذه الأسباب دعت له لعقد النية والتصميم على السفر، والتحق بربكه العديد من أتباعه ومريديه، وعين الشيخ عبد الله التواتي على زاوية أبي قبيس بمكة للقيام بشؤون الأتباع، وذلك في

أواخر عام ١٢٥٥م، ودخل مصر في أوائل عام ١٢٥٦م، وزار الجامع الأزهر، وألقى دروساً فيه ومكث فيه بضعة أشهر، وقد وجد معارضة من علماء الأزهر المحافظين الذين غضبوا عليه، ولم يرضوا عن طريقة تفكيره وفهمه للإسلام. تعرض ابن السنوسي إلى هجوم من قبل الشيخ عيش المالكي بسبب دعوته لفتح باب الاجتهاد⁽⁵⁵⁾.

غادر ابن السنوسي مصر واتجه نحو واحة سيوه برأ، وواصل سيره ماراً بجالو ثم أوجلة حتى وصل برقة، ونزل عند عائلة اللواتي ورافقوه إلى منتجع المغاربة، وزحف إلى مصراتة حيث قابل آل المنتصر، وزحف إليزليطن ومنها إلى طرابلس، ومنها إلى زوارة، حتى دخل حدود تونس فمكث بمدينة فاسليوجه مساعدة إلى المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري، وعندها علم برصد الفرنسيين لتحركاته فقرر أن لا يواصل سيره بل انتدب محمد بن صادق وحمله بعض الأسلحة والأموال لتوصيلها للمقاومة⁽⁵⁶⁾.

عاد ابن السنوسي إلى طرابلس عام ١٢٥٧هـ مع مجموعة من الأتباع والمريدين ونزل عند آل المنتصر، وتخوف الوالي العثماني علي عشقر من دعوته لأنه وصلته معلومات مشوهة عن ابن السنوسي ودعوته، ونوى اعتقاله إلا أن المنتصر هدأه وأتي بالشيخ إلى الوالي، وعقد مجلس علمي حول دعوته فوقف الوالي على حقيقة الدعوة فتأثر به واعتذر له وأصبح من أتباعه، فمكث في طرابلس مدة يعلم الناس ويذكرهم أمور دينهم، وحرص الوالي العثماني على الاستفادة من نفوذ ابن السنوسي في استتباب الأمن، وجمع الكلمة، لأن الحرب كانت مشتتة في جبل نفوسة بقيادة غومه المحمودي، وسيف النصر ضد العثمانيين⁽⁵⁷⁾.

تأسيسه لأول زاوية في المغرب الزاوية البيضاء:

واصل ابن السنوسي سيره إلى سرت برفقة آل المنتصر، ووجد كوكبة من زعماء القبائل في انتظاره في برقة من العواقر والمغاربة وأهل الجبل الأخضر، ثم واصل سيره إلى مكان يسمى ماسة، وتقدم منها إلى مكان يسمى دنقلة حيث وجدت الزاوية التي أسسها تلاميذه قبل مجيئه بتوجيه منه، وهي أول الزوايا التي أسسها ابن السنوسي خارج الحجاز وقد بنيت الزاوية البيضاء خارج البلدة في موقع استراتيجي، ومنها بدأ بنشر دعوته في المدن المجاورة وبدأت تتوافد إليه القبائل، وتطلب منه إنشاء زوايا لها في أماكنها، أسوة بالزاوية البيضاء، فيتوجه هو بنفسه لإنشاء الزاوية أو ينتدب شخصاً لذلك، وهكذا بدأت القبائل تتسابق في إنشاء الزوايا حتى تم تأسيس ما يزيد عن عشرين زاوية⁽⁵⁸⁾. والزوايا التي تم تأسيسها في السنوات الأربع في الجبل الأخضر وبرقة هي (البيضاء، شحات، بنغازي، درنة، مارة، أم الرزم، العرقوب، تكورة، طلميثة، الطليمون، الفائدية، المخيلي، القصور، المرج، أم ركة، أما في فزانمرزق، زويلة، هون، كوسنة، أما في طرابلس مزدة، طبقة الرمان، تونين، مصراتة، زليطن، زلة، وزوايا أخرى في تونس تسمى زوايا الجريد⁽⁵⁹⁾.

كان من الأسباب التي جعلت ابن السنوسي يختار منطقة برقة مركزاً لدعوته هو النظام القبلي المعقد، وانتشار الجهل في تلك المنطقة، وعدم سيطرة العثمانيين عليها. فاخياره يدل على معرفة جيدة بالمنطقة التي اتصفت بفرائها السياسي، وبجهلها العلمي، فاستطاع أن يزيك النفوس

ويزيل الجهل، ويحارب الظلم. وفي فترة وجيزة أصبح في تلك القبائل علماء يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وظل ابن السنوسي في هذه المنطقة خمس سنوات ينشئ الزوايا وينظمها ويرسم منهجاً لدعوته ومبادئها، ثم عاد بعد ذلك إلى مركزه الأول بالحجاز وخلف فيها عدداً من الأتباع الذين يقومون بشؤونها، وأصبح له مركزان لدعوته الأول بالحجاز والثاني ببرقة⁽⁶⁰⁾.

أسباب انتقال ابن السنوسي إلى الجغبوب:

إن اختيار بن السنوسي للجغبوب كمركز لقيادته دليل على بعد نظره ورجاحة عقله وحسن تصرفه وقد ذكر المؤرخون عدة أسباب لذلك منها:

– الاهتمام بالطرق الرئيسية للصحراء الكبرى من نواحي الجنوب والغرب والشرق –
فالجغبوب كانت نقطة التقاء بين هذه الطرق، وتكون ضماناً لأمن وسلامة القوافل التجارية.

– كان البدو في المناطق الليبية يضطرون أحياناً إلى التوغل إلى الجنوب بسبب الخلاف بين الولاة العثمانيين أو بسبب الخلاف بينهم فأراد بن السنوسي أن يكون مأوى لهمؤلاء الهاربين.

– ازدياد العداوة بين علماء القاهرة والعثمانيين بسبب أفكار ابن السنوسي فأراد الابتعاد عن الساحل والتوغل في الصحراء.

– خوفه من استيلاء الصليبيين على السواحل فاختر الابتعاد إلى الجنوب داخل الصحراء بحيث يكون بعيداً عن قبضتهم⁽⁶¹⁾.

كانت الجغبوب آنذاك مأوى للصوص وقطاع الطرق ولا تستطيع القوافل عبورها بسهولة، فلما وصل إليها ابن السنوسي سنة ١٨٥٩م بنى فيها زاويته الكبرى، فصارت مهد أمان، ومركز عبادة، فاستنبت العيون، وغرس الأشجار، ووسع البنيان، فهي مكان استراتيجي بعيد عن مراقبة الأوروبيين، وبعيد أيضاً عن قبضة العثمانيين، وهي علي خط الحج الرئيسي القادم من شمال وغرب أفريقيا عبر مصر⁽⁶²⁾.

توفي مؤسس الحركة السنوسية الشيخ محمد علي بن السنوسي بعد حياة حافلة بالعباءة والدعوة إلى الله، ففكر سلفه وزعيمها الجديد محمد المهدي الانتقال إلى الكفرة، فشرع في تنفيذ خطة الانتقال، فجمع الإبل، والأمتعة الضرورية، وجهاز الأعداء، وخبراء الطرق، وعين الإمام محمد المهدي مرافقيه في سفره، ففي ٢٢ من شوال ١٣١٢هـ اجتمع جميع سكان الجغبوب للوداع، وألقي فيهم خطبة ذكر فيها نصائح وإرشادات ثم ركب واتجه نحو الكفرة، وكان في وداعه الأحاب والمشييعين الكبار في مقدمتهم أحمد الريفي، ومحمد عابد السنوسي، وأبي يوسف مقرب، ومحمد المدني وغيرهم من كبار المشيعين لقاقلته. وكان من ضمن المرافقين للإمام محمد المهدي السنوسي في رحلته إلى الكفرة أحمد البسكري، أحمد التواتي، وأحمد الجروالي، أحمد المثني الغدامسي، ومحمد السني وغيرهم من كبار الإخوان. ولما بلغ الإمام واحة الكفرة تلقته قبيلة الزوية والمجبرة ومن

جاورهما من القبائل الصحراوية. وكان في استقباله أكثر من ثلاثة آلاف رجل وسط جو من الابتهاج، وبؤدلت الخيول وأطلق الرصاص حتى قتل يونس الرويعي رجلاً من قبيلة الزوية عن طريق الخطأ فنادي شيوخ القبائل أتباعهم، بأن لا يُترك الاحتفال من أجل موت أحدهما، وأن القاتل في مأمن إكراماً للإمام⁽⁶²⁾. وهذا يدل على احترامهم الشديد لهذا القائد العظيم رغم اهتمامهم بالثأر، كما قرر شيوخ القبائل أن يتقدموا بهدية إلى الإمام المهدي بمناسبة قدومه إليهم، والهدية هي التسامح فيما بينهم والتنازل عن حقوقهم وعن ثلث ممتلكاتهم وفقاً للحركة السنوسية من نخيل وبساتين وأراض عن طيب خاطر، وشرع الإمام في بناء زاوية التاج، فأصبحت بذلك الكفرة هي العاصمة الفعلية للحركة السنوسية، فحفرت الآبار وزرعت البساتين، وانتعشت الحياة الاقتصادية وأنت إليها الوفود من كل حذب وصوب حتى ضاقت بهم الأرض بما رحبت، فحرص الإمام علي أن تكون الكفرة ميداناً يقود منه حركة الإسلام إلى مجاهل أفريقيا جنوب الصحراء وذلك من أجل قطع الطريق أمام الفرنسيين الزاحفين نحو المنطقة، فعمل علي توطيد العلاقات بينه وبين مملكة وداي التي كانت علاقاتها جيدة مع الحركة السنوسية منذ عهد والده، حيث طلب منه سلطانها السلطان يوسف أن يوفد المهدي أحد كبار شيوخ السنوسية كمنسوب إلى أبشة فارس إلى محمد عبد الله السني فوطد نفوذ السنوسية في وداي⁽⁶³⁾. وبعد وفاة شقيقه محمد الشريف سنة ١٣١٣هـ أرسل الإمام محمد المهدي في طلب العائلة من الجغبوب إلى الكفرة وانتقلت جميع الأسرة والمريدين إلى الكفرة⁽⁶⁴⁾. ومن الكفرة كان الإمام المهدي يرسل البعثات الاستكشافية إلى الصحراء، ويحفر الآبار، ويمهد الطرق وكانت تلك الاستعدادات تجري لاكتشاف موقع جديد للحركة. وبعد أربع سنوات من مكوثه في الكفرة فكر في الانتقال إلى منطقة قورو.

انتقال الحركة السنوسية من الكفرة إلى قورو:

هناك اختلاف حول أسباب انتقال الحركة السنوسية من البيضاء إلى الجغبوب وهناك اختلاف أيضاً في دوافع انتقال الحركة من الجغبوب إلى الكفرة إلا أن الاختلاف الذي دار بين المؤرخين حول انتقال الحركة من الكفرة في جنوب شرق ليبيا إلى قورو شمال تشاد كان أوسع من ذي قبل:

– يرى بعض المؤرخين أن انتقال الحركة من الكفرة إلى قورو كان لتجنب الاحتكاك بالدولة العثمانية.

– وهناك رأي آخر يرى أن انتقال الحركة من الكفرة إلى قورو كان بدافع نشر الإسلام بين القبائل الوثنية في منطقة السودان الأوسط.

– والرأي الثالث يرى أن الدافع الحقيقي لانتقال الحركة من الكفرة إلى قورو كان بدافع التصدي للفرنسيين الذين بدأوا يسيطرون على منطقة حوض بحيرة تشاد ويهددون مصالح الحركة السنوسية والدعوة الإسلامية في الجنوب⁽⁶⁵⁾. والراجح هو الرأي الأخير بدليل أن الحركة بعد وصولها إلى منطقة قورو بدأت في إنشاء عدد من الزوايا داخل حوض بحيرة تشاد، مثل زاوية بئر علالي، وزاوية عين جلكة، ووجانقا الكبير ووجانقا الصغير. كما بعث محمد المهدي عدداً من أتباعه لمراقبة التحركات الفرنسية، مثل

إرسال محمد البراني الساعدي وبوعقيلة، وإرسال عدد من الرسل إلى زعماء الممالك لتوحيد جهودهم ضد الاستعمار الفرنسي في المنطقة. وقد أكد هذا الرأي كل من عبد الرحمن عمر الماحي في كتابه تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال والصلاحي في الثمار الزكية للحركة السنوسية. غادر الإمام محمد المهدي الكفرة في 1317هـ ورافقه عدد من أفراد أسرته وكبار الإخوان، وشيوخ الزوايا، وأعيان القبائل، وكان عدد مرافقيه من الرجال قد بلغ 1066 رجلاً واستغرقت الرحلة من الكفرة إلى قورو شهرين تقريباً، وبمجرد وصوله إلى منطقة قورو أرسل القائد محمد البراني إلى زاوية بئر علالي لنبذ الخلافات بين القبائل وتوحيد صفوفهم لمجابهة الفرنسيين.

بداية التصدي للفرنسيين بمساندة القوى المحلية:

مقاومة رجال السنوسية للفرنسيين في كانم بالتعاون مع سكان المنطقة:

واجهت القوات الفرنسية خلال توجهها نحو كانم مقاومة عنيفة، وقد شاركت في هذه المقاومة كل القوى السياسية والشعبية، حيث كانت الأوضاع في المنطقة متدهورة قبل مجيء الفرنسيين نتيجة للفراغ السياسي الذي كانت تعيشه منذ غزو رابح لها، وإسقاطه للحكم فيها، وعلى الرغم من أن كانم لا تمتلك جيشاً منظماً في تلك الفترة إلا أنها لم تستسلم للفرنسيين، ولم تكن بداية المقاومة منظمة، بل كانت كل فرقة أو منطقة تقوم بالدفاع عن نفسها بمفردها، وقد وقع أول صدام بين أهالي كانم والقوات الفرنسية في منطقة (زرك) التي لا تبعد كثيراً عن مواقع الفرنسيين حيث خرج سكانها لملاقاة الفرنسيين بالأسلحة البيضاء⁽⁶⁶⁾.

مقاومة السنوسية في الشمال الغربي لتشاد

أ- معركة أنقوري:

وقعت هذه المعركة بين أهالي منطقة أنقوري والقوات الفرنسية حيث استطاع أهالي المنطقة من خلال هذه المعركة منع الفرنسيين من دخول منطقتهم واضطرت القوات الفرنسية على إثر تلك المعركة أن تطلب المدد فجاءت نجدة فرنسية بمساندة الخليفة جراب الذي تحالف مع الفرنسيين ضد بني جلدته وعلى الرغم من الفارق في العتاد والتدريب، إلا أن أهالي أنقوري صمدوا رغم قلة عددهم وأسلحتهم البدائية. وبعد معركة دامت ثلاثة أيام تمكن الفرنسيون من احتلال المدينة وحرق أشجارها المثمرة، وطمر آبارها، وتشريد أهلها، وفي محاولة يائسة قامت القوات الفرنسية بمطاردة القوات الوطنية، وتمكنت من مقتل المجاهد خليفة حاجي حليف غيث عبد الجليل شيخ أولاد سليمان في كانم، والخصم اللدود لخليفة جراب حليف الفرنسيين ولما يئست القوات الفرنسية من قمع مقاومة عبد الجليل وأنصاره، أو التحالف معه، أوقفت عملياتها الحربية في كانم مؤقتاً وانسحبت باتجاه (قانلفي) حيث التقت بالحملات الأخرى وتحركت إلى كسري حيث التقت بقوات رابح⁽⁶⁷⁾.

لقد ظنت القوات الفرنسية بأن المعاهدات التي وقعتها مع بعض الأهالي المتحالفين معها ستكون ضماناً لنجاحهم في السيطرة على المنطقة، لكن في الحقيقة لم تكن إلا مجموعة قليلة قد

تحالفت معهم، والقوى الحقيقية للمقاومة في كانم كانت تتمثل في القبائل الليبية المتواجدة هناك بقيادة غيث بن عبد الجليل وحلفائه من القبائل التشادية يضاف إليها قوة الحركة السنوسية بقيادة البراني التي ارتكزت في منطقة قرو⁽⁶⁸⁾.

لقد أعطى انسحاب القوات الفرنسية من كانم وانشغالها بالقضاء على رابع المزيد من الوقت للمقاومة في كانم لتنظيم صفوفها، واستطاع غيث عبد الجليل أن يكون جيشاً من قبائل القذاذفة وورفلة والمغاربة والقرعان والطوارق تقدر قواته بحوالي خمسة آلاف مقاتل، بالإضافة إلى وصول قائد الحركة السنوسية البراني الساعدي مبعوثاً من قبل محمد مهدي السنوسي واستقر في منطقة قرو وذلك لقيادة زاوية بئر علالي، والسعي إلى نبذ الخلاف بين المتخاصمين في المنطقة لتوحيد كلمتهم ضد الغزاة الفرنسيين⁽⁶⁹⁾. وبعد مقتل رابع مباشرة أصدرت الأوامر للقوات الفرنسية بتنظيم الإقليم العسكري لمنطقة بحيرة تشاد، والسيطرة على بقية أجزاء البلاد، وفي نفس الشهر تم تعيين العقيد جورج ماتيه ديستاف قائداً أعلى للقوات الفرنسية، ومفوضاً للحكومة الفرنسية بالإنابة، في محميات تشاد مكان إميل جانتي، الذي غادر البلاد، فوصل ديستاف (فورت لامي) في يوليو عام 1901م، حيث قاد حرباً ضد فضل الله بن رابع الذي كان يسيطر على أجزاء كبيرة من برنو في تلك الفترة وتمكن من القضاء عليه في أكتوبر من نفس العام، وبمجرد القضاء على فضل الله بن رابع تحرك مع قواته نحو الشمال والشرق لضم ما تبقى من أراضي تشاد فقام بجولة تفقدية في بعض المدن، وفي أثناء جولته أعطى الأوامر للكابتن ميلو للقيام بجولة في كانم، من أجل معرفة الأحوال فيها، ومباغته المقاومة الوطنية والاستيلاء على زاوية بئر علالي⁽⁷⁰⁾.

تقدم النقيب ميلو بقواته باتجاه كانم في يوم 1901/11/9م واصطدم مع الحركة السنوسية في بئر علالي بقيادة غيث بن عبد الجليل وبعد معركة عنيفة قتل النقيب ميلو وعدد كبير من جنوده وانهزموا شر هزيمة، وقد وصف أحد الضباط الفرنسيين الذين اشتركوا في هذه المعركة حالة الجنود الهاربين من المعركة، وهو النقيب (بوبار) بقوله: (لقد جعل العطش الجنود الفرنسيين كالمجانين يتجاذبون في الآنية، وتركوا جثة النقيب ميلو فاخترقوا الجواد الذي يحمل الجثة ولم نجده إلا بعد شهر ونصف)⁽⁷¹⁾.

زرعت هذه الحالة الخوف والرعب في نفوس الجنود الفرنسيين، وأصيب العقيد ديستاف القائد العام للقوات الفرنسية ومفوض الحكومة بالصدمة من جراء الهزيمة المدوية، واستسلم للمرض الشديد، مما اضطره إلى العودة إلى فورت لامي، وترك القيادة للقائد تيتار، فوجد الفرنسيون أنفسهم منذ السنوات الأولى لوجودهم في تشاد في صراع مع عدو قد يكون أقل مهارة من رابع على المستوى العسكري، ولكنه عدو أكثر ضراوة على المستويين النفسي والتضحية، عدو يشعر بالعزة والطمأنينة وهو يدافع عن مبادئه وأرضه ومصالحه القومية، مما جعل المقاومة شديدة في الجبهة الشمالية والشرقية علي حد سواء⁽⁷²⁾.

ب- سقوط بئر علالي في أيدي القوات الفرنسية:

في صبيحة يوم 20 يناير 1902م عند الساعة التاسعة بدأت القوات الفرنسية هجوماً مكثفاً على زاوية بئر علالي في كانم وكانت معركة شرسة استبسلت فيها المقاومة بقيادة البراني واستمرت

المعركة زهاء ثلاث ساعات متواصلة تكبد فيها الجانبان خسائر فادحة، وبعد مقاومة عنيفة تمكن الفرنسيون من الاستيلاء على الزاوية، واستشهد الكثير من المجاهدين مما دفع زعيم الحركة أحمد الشريف إلى استبدال محمد البراني الساعدي بمحمد بوعقيلة الزوي، وتولى البراني قيادة عين جلكة في شمال تشاد، فنظم بوعقيلة الجيش لاستعادة زاوية بئر علالي، فشن هجوماً مباغتاً على الفرنسيين بتاريخ 1902/2/4م ولكن القوات الفرنسية تصدت له وأجبرت قواته على التراجع، وعادوا الهجوم في اليوم الثاني، وجرت معركة طاحنة في كلا الطرفين وبلغ عدد قتلى الحركة السنوسية ثمانين قتيلاً من بينهم قائدهم محمد بوعقيلة⁽⁷³⁾.

يذكر القائد فوكي أحد الضباط الفرنسيين المشاركين في المعركة أن عدد قتلى رجال المقاومة بلغ 150 قتيلاً، و12 من القوات الفرنسية، و 15 جريحاً. ويذهب ديستاف في تقريره عن المعركة بأن عدد القتلى من القوات المقاومة ما بين 200 300- قتيلاً⁽⁷⁴⁾.

قد يكون هذا العدد ليس صحيحاً وإنما هو على سبيل الحرب الإعلامية والنفسية ورفع تقارير إلى الجهات الرسمية بهدف إضفاء صفة الانتصار على أنفسهم. وبعد سقوط بئر علالي على يد القوات الفرنسية انسحبت قوات الحركة السنوسية بقيادة محمد البراني الساعدي إلى منطقة منقا واتخذت من المرتفعات الرملية معسكراً لها على مقربة من مواقع القوات الفرنسية⁽⁷⁵⁾. ولم تجرؤ القوات الفرنسية بعد هذه المعارك التي دارت بينها وبين قوات الحركة السنوسية في كانم على التوغل نحو الشمال فقد انحصرت في إقليم كانم مدة خمس سنوات كاملة من عام 1902-1907م. وخلال هذه المدة واصلت قوات الحركة السنوسية مع القوات والوطنية هجماتها على القوات الفرنسية في كانم، إلا أنها اعتمدت في هجماتها على العمليات الليلية السريعة الخاطفة ففي عام 1904م قامت قوات الحركة السنوسية بهجوم على القوات الفرنسية في بئر علالي، واستولوا على بعض الجمال، التي كان الفرنسيون يستخدمونها في تنقلاتهم وفي نفس العام قام عبدالله الطوير بضربات ليلية موجعة ضد القوات الفرنسية في زقي⁽⁷⁶⁾.

لقد لعبت قوات المقاومة الوطنية بالتعاون مع قوات الحركة السنوسية في كانم دوراً كبيراً في تأخير احتلال منطقة بوركوانيدي في شمال تشاد خاصة، ومنطقة حوض بحيرة تشاد عامة، كما ساهمت المقاومة في رفع معنويات القوى الوطنية في منطقة وداي وفي مختلف مناطق تشاد الأخرى.

دعم الحركة السنوسية للمقاومة في وداي:

معركة وادي كجا 4/ يناير/ 1910م:

أرادت القوات الفرنسية عزل السلطان دود مرة من أنصاره حتى لا تتمكن القوة المتحالفة ضد الاحتلال الفرنسي من التواصل فيما بينها، فتنبه السلطان دود مرة للمخطط الفرنسي بغرض عزله عن منطقة دارفور، فقام بهجوم مفاجئ على القوات الفرنسية الزاحفة نحو الشرق بالتنسيق ولمشاركة السلطان مع تاج الدين سلطان الجينية، فقام بهجوم مباغت على القوات الفرنسية الزاحفة نحو المواقع الدفاعية، وكانت القوات الفرنسية بقيادة النقيب فنشك فاصطدمت بقوات دود مرة المتحالفة مع تاج الدين بالقرب من وادي كجا في 4/ من يناير/ 1910م⁽⁷⁷⁾. وقتل في هذه

المعركة النقيب فنشك قائد العمليات العسكرية في منطقة وادي كجا والملازمين بيرا وويلاك، وباسير، والقيب برانجيومائة قناص وثمانين جندياً متعاوناً ونجا ثمانية جنود فقط من الفرنسيين والمتعاونين معهم ليصلوا إلى أبشة ويبلغوا بالهزيمة النكراء التي منيوا بها⁽⁷⁸⁾. وقد كان لهذه الهزيمة صدى هائلاً في فرنسا حتى دفعت بالبرلمان الفرنسي إلى التصويت بالموافقة على الاعتمادات المالية اللازمة لتدعيم القوات الفرنسية في حوض بحيرة تشاد، حيث فارتفع عدد أفراد القوات الفرنسية في تشاد من 1200-1800 موزعين على كتيبتين كل كتيبة مكونة من أربعة سرايا، وكان لهذه الهزيمة أثر إيجابي على المواطنين، وقوات دود مرة والسلطان تاج الدين، والحركة السنوسية، لأنها أول هزيمة كبيرة يتعرض لها الفرنسيون منذ مجيئهم إلى تشاد، ونتيجة لهذا الانتصار الذي حققته المقاومة، انضمت إليها كل من دار سلا ممثلة في شخصية السلطان بخيت، وعدد كبير من المواطنين، وقد بعث السلطان دود مرة ممثل الحركة السنوسية كمبعوث إلى السلطان علي دينار لبتوسط لهم في حل الخلافات بينهم والتعاون ضد الغزو الفرنسي لأراضيهم، فوصل محمد السني إلى الفاشر وحصل على المصالحة بين دود مرة وعلي دينار⁽⁷⁹⁾. تحت رعاية الحركة السنوسية وضمانتها فاشتركت قوات علي دينار مع قوات دود مرة وتاج الدين، وسيطرت على منطقة دار تاما إلا أن أسلحتهم كانت بدائية في مواجهة الترسانة الفرنسية، لذا تمكن النقيب شافلو والملازم حاميل من التصدي لقوات المقاومة في 7 من أبريل في وادي قريدا⁽⁸⁰⁾. وفي 8 من أبريل تمكن شافلو من إخراج دود مرة من المدرج الصخري بكبقا، الذي كان يحتمي به، فاشتدت المعارك بين الفرنسيين والمقاومة في دار المساليت، مما جعل المقدم مول يطلب من الحاكم العام الفرنسي في برازا فيلالمساعدة فتوجه الحاكم العام بنفسه إلى دار مساليت على رأس 300 جندي ومدفعين لوقف المقاومة التي اشتدت وطأتها عليهم وذلك بوقوف السلطان علي دينار، والسلطان تاج الدين، مع المقاومة التشادية يدعم لوجستي من الحركة السنوسية ومباركة من الدولة العثمانية⁽⁸¹⁾.

اتجاه الفرنسيين نحو الشمال مرة أخرى بعد استسلام دود مرة:

في أثناء مواجهة القوات الفرنسية مع المقاومة في وادي غزت القوات الفرنسية الطرف عن تواجد الحركة السنوسية في دار كوتي بقيادة محمد السني بسبب حشد كل قواتها وتركيزها على القضاء على المقاومة في وادي، وفي تلك الأثناء نجح السيد محمد السيني قائد الحركة السنوسية في دار كوتي في تشكيل جيش قوي وأخذ يهاجم القوات الفرنسية إلى جانب السلطان دود مرة والسلطان تاج الدين والسلطان علي دينار، فقرر النقيب مودي قائد حامية أنديلا الهجوم عليه في فبراير 1911م، وبعد معارك ضارية قتل محمد السيني وابنه آدم ومحمد حفيد رابع المتبقي وأربعة من رؤساء الفرق العسكرية وحوالي مئتي جندي⁽⁸²⁾.

بعد المحاولة الفاشلة التي قام بها أبو عقيلة لاستعادة بئر علالي انسحبت قوات الحركة السنوسية بقيادة محمد البراني الساعدي من كانم باتجاه بركو حيث استقرت في زاوية عين جلركة شمال غرب فايا، وشرع البراني في إعادة تنظيم المقاومة وقسمها إلى عدة زوايا.

– زاوية بسكرة بقيادة صالح بوكريم وتتكون من المجابرة والقاذفة والقرعان وأولاد سليمان والورفلة.

– زاوية عين جلجة بقيادة محمد البراني الساعدي وتتكون من المجابرة الزوية القرعان والطوارق.

– زاوية فايا مكونة من القرعان وبعض القبائل الأخرى بقيادة عبد الله الطوير.

وكانت هذه الزوايا كلها بقيادة أحمد الشريف الزعيم الجديد للحركة السنوسية، وتدار عن طريق مستشاره أحمد الريفي وبهذه الفرق استطاعت السنوسية تنظيم صفوفها، وقد اختارت أسلوب حرب العصابات لاستنزاف القوات الفرنسية، إذ رأت أن المواجهة المباشرة لا تنفع مع القوات الفرنسية التي تمتلك ترسانة قوية وبهذه الطريقة زرعت الخوف والرعب في نفوس الفرنسيين⁽⁸³⁾.

موقف الدولة العثمانية من دعم السنوسية للمقاومة في تشاد ضد الفرنسيين:

كان للدولة العثمانية علاقات مع ممالك السودان الأوسط قبل مجيء المستعمر الفرنسي، وكان لها سفير في مملكة وداي يسكن بمدينة أبشة، ويوجد حي يسمى باسمهم وهو (حي جنينة ترك أي حديقة الأتراك)، وكانت الدولة العثمانية قبل احتلال فرنسا لتونس عام 1881م قد اتخذت الإجراءات اللازمة للتوسع نحو شمال تشاد حتى تضمن التواصل مع ممالك وسط أفريقيا وتضع حداً للنفوذ الفرنسي في المنطقة، كما قام يوسف باشا القارمنلي بمحاولة دبلوماسية وعسكرية بغرض التوسع نحو منطقة السودان الأوسط بمطاردة بعض القبائل التي كانت خارج إطار سيطرته إلا أن محاولته باءت بالفشل، كما أن أحمد الشريف زعيم الحركة السنوسية قد اصطدم مع الدولة العثمانية أكثر من مرة بالذات مع الحزب التركي الجديد (تركيا الفتاة) الذي تولى الإدارة العثمانية في ليبيا في تلك الفترة، ولكن أحمد الشريف أدرك بأن الوقت قد حان لتسوية الخلافات بين الدولة العثمانية لتقف معهم في حربهم ضد فرنسا⁽⁸⁴⁾. فأرسل وفداً إلى إسطنبول ليؤكد ولاءه للسلطان العثماني كما قام بالتواصل مع المسؤولين الأتراك في ليبيا بضرورة التدخل إلى جانب الحركة السنوسية في حروبها ضد القوات الفرنسية في تشاد ومدعمهم بالمؤن والعتاد⁽⁸⁵⁾.

كانت فرنسا على علم بوقوف المسؤولين الأتراك في ليبيا خلف المقاومة في وداي عن طريق الحركة السنوسية، فأرسلت الحكومة الفرنسية رسالة احتجاج لدى الباب العالي في إسطنبول تشتكي فيها بأن الليبيين من رعايا الدولة العثمانية، أعانوا السلطان دود مرة سلطان وداي في حربه ضد الحكومة الفرنسية، وصرحت الحكومة الفرنسية بأن (417) عريباً هم الذين قاموا بالمساعدة في الهجوم على القوات الفرنسية في قرية دروتي عام 1910م، وقتلوا المقدم مول قائد قوات الحملة الفرنسية، وحاكم أراضي تشاد وقواته، وأن المهاجمين تدرّبوا في طرابلس وبنغازي وتجمعوا في الأراضي العثمانية على بعد 150 متراً عن طريق مرزق بمعرفة متصرف فزان وطلبت الحكومة الفرنسية من الباب العالي المعلومات اللازمة لمعاقبتهم، فصرح الباب العالي بأن إدخال السلاح كان ممنوعاً، وأن السلاح الذي استخدم في وداي هو سلاح فرنسي، وأن فرنسا لم تتمكن من منع تهريب سلاحها فيجب عليها البحث عن الذي هرب السلاح إلى المقاومة في وداي ومحاسبته⁽⁸⁶⁾.

الخاتمة:

أن الصلات الليبية التشادية صلات قديمة ترجع إلى عصور تاريخية سحيقة، وعلى الرغم من وجود الصحراء التي شكلت حاجزا طبيعياً بين شمال أفريقيا، وأفريقيا جنوب الصحراء إلا أنها لم تقف حائلاً يمنع التواصل بين البلدين.

ازدادت هذه العلاقات بين الإقليمين متانة ورسوخاً بعد انتشار الإسلام في الشمال الأفريقي ومنه انتقل إلى منطقة كوار في السودان الأوسط في وقت مبكر من بدء الدعوة الإسلامية، وقد اجتازت القوافل الصحراء الأفريقية جيئة وذهاباً تحمل السلع والبضائع إلى منطقة حوض بحيرة تشاد. وفي القرن التاسع عشر هاجرت بعض القبائل الليبية واستقرت في الشمال التشادي في منطقة كانم، وكانت هجرات هذه القبائل نتيجة لسوء الإدارة العثمانية التي حكمت ليبيا في ذلك الوقت واستخدامها الشدة مع هذه القبائل في جميع الضرائب وقد تداخلت هذه القبائل انصهرت مع القبائل التشادية ولما تأسست الحركة السنوسية في ليبيا وانتقلت إلى تشاد نتيجة لبعض العوامل والظروف، واتخذت من منطقة قور في الشمال التشادي مركزاً لها كانت هذه القبائل المهاجرة خير معين وسند لها في نشر الدعوة الإسلامية وانتشرت الزوايا السنوسية في منطقة الشمال التشادي تنشر الوعي الديني، وتحفر الآبار، وتقدم الخدمات للناس، وبعد مجيء الاستعمار الفرنسي إلى منطقة تشاد وقفت هذه القبائل ضد التوغل الفرنسي في البلاد وقاومته وخاضت عدة معارك ضده جنباً إلى جنب مع المواطنين التشاديين.

النتائج:

خلصت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها:

- إن انتقال الحركة السنوسية إلى الشمال التشادي لم يأت من فراغ، وإنما لمعرفتها بوجود المهاجرين الليبيين في تشاد الذين وصلوا في مراحل مختلفة حسب الظروف التي دفعتهم للهجرة، واختلاطهم بالسكان المحليين، ومن أهم القبائل التي هاجرت إلى حوض بحيرة تشاد قبيلة أولاد سليمان، والورقلة، والمغاربة، والزوية، والمجابرة، والقذافة، وغيرها من القبائل الذين استقر بهم المقام في مختلف مناطق تشاد، وعندما جاءت السنوسية في بادئ أمرها وجدت هذه القبائل واعتمدت عليها في مواجهتها للاستعمار الفرنسي.
- استطاعت الحركة السنوسية أن تربط بين شعوب أفريقيا جنوب الصحراء وشمالها، وقطعت الحواجز الطبيعية بتعمير الصحراء الواقعة بين المنطقتين بإقامتها للزوايا وتعميرها للأرض بالمزارع والعمران.
- استطاعت الحركة السنوسية توحيد جهود المقاومة الوطنية للوقوف في وجه المستعمر الفرنسي بالتنسيق بين مملكة وداي والمقاومة في كانم ومملكة دارفور وسلطنة المساليت.
- نجحت الحركة السنوسية في تأخير احتلال الفرنسيين للأراضي التشادية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.
- دعمت الحركة السنوسية المقاومة الوطنية بالسلاح وبالرجال في كل من كانم ووداي ومساعدتها لنجل رابع.

– وحدت الحركة السنوسية القبائل الليبية المتناحرة بسبب الثأر والخلافات الشخصية من أجل الوقوف في وجه المستعمر الفرنسي كما حدث بين القبائل العربية في كانم.

التوصيات:

– إجراء المزيد من الدراسات حول دور القبائل الليبية التي هاجرت إلى تشاد في التصدي للزحف الفرنسي وتوغله في الأراضي التشادية في ضوء الوثائق الفرنسية التي لم يتيسر للدراسة الحصول عليها.

– إجراء دراسة ميدانية عن الواقع المعاصر لهذه القبائل الليبية التي لا تزال حتى تاريخ اليوم تنتشر في الشمال التشادي وبعض المناطق الأخرى ومدى مساهمتها في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية في تشاد.

الهوامش:

- (1) محمد الأمين حسين رماد، دور الليبيين في مقاومة الاحتلال الفرنسي في تشاد ١٨٩٩-١٩١٣م بحث مقدم لنيل درجة دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ والحضارة، جامعة الملك فيصل عام ٢٠٠٠م غير منشور ص 9.
- (2) عبد الرحمن عمر الماحي: الدعوة الإسلامية في أفريقيا الواقع والمستقبل دار الثقافة والإعلام ١٩٩٩م ص 65.
- (3) محمد الأمين رماد مرجع سبق ذكره ص ١٢.
- (4) المرجع نفسه ص 12.
- (5) المرجع نفسه ص ١٢.
- (6) المرجع نفسه، ص 56.
- (7) عبد الرحمن عمر الماحي، الدعوة الإسلامية في أفريقيا الواقع والمستقبل، دار الثقافة والإعلام بنغازي، ١٩٩٠م ط ١ ص ٤٧.
- (8) محمد الأمين رماد مرجع سبق ذكره ص ٢٣.
- (9) عبد الرحمن عمر الماحي (تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال)، ص ١.
- (10) محمد الأمين رماد مرجع سابق ص ٢٣.
- (11) سعيد عبد الرحمن الحنديري: تطور الحياة السياسية في تشاد، ص ٢٠-٢١.
- (12) المرجع نفسه ص ٥٦.
- (13) الشيخ محمد بن عمر التونسي، رحلة إلى وداي، تحقيق عبد الباقي محمد أحمد كبير، دار مناكب، الطبعة الأولى 2001م، ص 94، ٢١٩-٢٢٣.
- (14) سعيد عبد الرحمن الحنديري، تطور الحياة السياسية، المرجع السابق ه ص ٦٠.
- (15) المرجع نفسه، ص ٦٠.
- (16) المرجع نفسه، ص 60.
- (17) المرجع نفسه ص ٦٢-٦٣.
- (18) المرجع نفسه، ص 62-63.
- (19) نفس المرجع ص ١٧-١٨.
- (20) محمد امين حسين رماد: دور الليبيين في مقاومة الاحتلال الفرنسي في تشاد (١٨٩٩-١٩١٣م)، مرجع سبق ذكره ٢٥ وما بعدها.
- (21) سعيد عبد الرحمن الحنديري: تطور الحياة السياسية في تشاد، مرجع سبق ذكره ص ١٨-١٩.
- (22) المرجع نفسه، ص ١٨.
- (23) محمد بن عثمان الحشاشي التونسي، رحلة الحشاشي إلى ليبيا، ١٨٩٥م (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب ١٨٥٥-١٩١٢م) تقديم وتحقيق على مصطفى المصراحي، دار لبنان للطباعة والنشر ص ١٣٧.

- (24) ماهر عطية شعبان، أفريقيات دراسات وبحوث في التاريخ الأفريقي الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية ٢٠١٣م، القاهرة ص ٢٤٩.
- (25) سعيد عبد الرحمن الحنديري، تطور الحياة السياسية، مرجع سبق ذكره ص ٢٣.
- (26) المرجع نفسه ص 23.
- (27) المرجع نفسه ص ٢٤.
- (28) المرجع نفسه ص ٢٥.
- (29) علي محمد الصلاحي، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط٤، ٢٠١١م ص ٢١.
- (30) الثمار الزكية للحركة السنوسية مرجع سبق ذكره ص ٢٢.
- (31) علي محمد الصلاحي، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا المرجع السابق ص ٢١.
- (32) المرجع نفسه ص ٢٢.
- (33) الثمار الزكية للحركة السنوسية مرجع سبق ذكره ص ٢٢.
- (34) علي محمد الصلاحي، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا المرجع السابق ص ٢٣.
- (35) محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، ١٩٤٨م ص ١٣-١٤.
- (36) الثمار الذكية للحركة السنوسية مصدر سابق ص ٢٤.
- (37) الثمار الذكية للحركة السنوسية مرجع سبق ذكره ص ٢٤.
- (38) تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا مرجع سبق ذكره ص ٢٤-٢٥.
- (39) المرجع نفسه، ص 25.
- (40) الثمار الذكية للحركة السنوسي، ص 31.
- (41) الصلاحي، الفوائد الجليلة للحركة السنوسية، ص 13.
- (42) المرجع نفسه ص ١٣.
- (43) القره مانلي: كان وزيرًا وقبطانًا للأسطول العثماني عاش في الفترة ما بين ١٦٠٤ - ١٦٤٦م.
- (44) الفوائد الجليلة للحركة السنوسية ص 14.
- (45) علي محمد الصلاحي، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا المرجع السابق ص 21.
- (46) المرجع نفسه ص ٣٠.
- (47) الثمار الزكية للحركة السنوسية مرجع سبق ذكره ص ٢٥.
- (48) علي محمد الصلاحي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص 570.
- (49) علي محمد الصلاحي، الثمار الذكية للحركة السنوسية، مرجع سبق ذكره ص ٣٩ - ٤٠.
- (50) علي محمد الصلاحي، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا، مرجع سبق ذكره ص ٢٤.
- (51) علي الصلاحي، الثمار الزكية للحركة السنوسية، ص ٤٠.
- (52) علي محمد الصلاحي، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا، ص ٤١-٤٢.
- (53) تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا مرجع سبق ذكره ص ٣٨.

- (54) الثمار الذكية للحركة السنوسية، المرجع السابق ص ٤٣.
- (55) السيد يوسف، فجر الحركة الإسلامية المعاصرة (الوهابية - السنوسية - المهديّة)، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م ط ١، ص ٦٠.
- (56) المرجع نفسه، ص ٦٠.
- (57) الثمار الذكية للحركة السنوسية مرجع سبق ذكره ص ٤٨.
- (58) علي محمد الصلاي تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا، مرجع سبق ذكره ص ٥٠.
- (59) المرجع نفسه ص ٤٩ - ٥٣.
- (60) تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا مرجع سبق ذكره ص ٥١ - ٥٤.
- (61) الثمار الذكية للحركة السنوسية، مرجع سبق ذكره ص ٦٨.
- (62) محمد أمين حسين رماد، دورا لليبيين في مقاومة الاحتلال الفرنسي في تشاد، ص ٤٨.
- (63) المرجع نفسه ص ٢٤٠ - ٢٤٣.
- (64) محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة، مركز الدراسات الليبية، 2005م، ص 12.
- (65) علي محمد الصلاي: الثمار الذكية للحركة الزكية، مرجع سبق ذكره، ص 251.
- (66) محمد أمين حسين رماد: دور الليبيّين في مقاومة الاستعمار الفرنسي، مرجع سبق ذكره، ص 50.
- (67) محمد أمين حسين رماد: دور الليبيّين في مقاومة الاحتلال الفرنسي في تشاد، مرجع سبق ذكره، ص 63.
- (68) سعيد عبدالرحمن الحنديري: العلاقات الليبية التشادية، مرجع سبق ذكره ص 82.
- (69) الطيب إدريس حلولو: المقاومة الوطنية، مرجع سبق ذكره، ص 95.
- (70) محمد أمين حسين رماد: دور الليبيّين في مقاومة الاحتلال الفرنسي في تشاد، مصدر سبق ذكره، ص 67.
- (71) المرجع نفسه، ص 68.
- (72) المرجع نفسه ص ٦٨.
- (73) عبدالرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، مرجع سبق ذكره، ص 47.
- (74) الطيب إدريس حلولو: المقاومة الوطنية مرجع سبق ذكره، ص 101.
- (75) المرجع نفسه، ص ١٠١.
- (76) سعيد عبدالرحمن الحنديري: العلاقات الليبية التشادية، مرجع سبق ذكره، ص 83.
- (77) الطيب إدريس حلولو: المقاومة الوطنية، مرجع سبق ذكره، ص 102.
- (78) مقالة للحاج قارونديجارمة مترجمة من محمد الهادي عبدالرحيم بعنوان: مقاومة السلطان دود مرة للفرنسيين، جريدة أنجمينا الجديدة، العدد 42 السنة 2009م، ص 10.
- (79) الطيب إدريس حلولو: المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي في تشاد (1894-1920)، مرجع سبق ذكره ص 75.
- (80) الطيب إدريس حلولو: المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي في تشاد (1894-1920)، مرجع سبق ذكره ص 75.

- (81) محمد الهادي عبد الرحيم: مقاومة السلطان دود مرة للفرنسيين، جريدة أنجمينا الجديدة، العدد 42 السنة 2009م.
- (82) عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، مرجع سبق ذكره، ص 14.
- (83) المرجع نفسه، ص 146.
- (84) الطيب إدريس حلولو مرجع سبق ذكره ص ٨٥.
- (85) ماهر عطية شعبان، افريقيات: دراسات وبحوث في التاريخ الافريقي الحديث و المعاصر، ص 290.
- (86) المرجع نفسه، ص 290.
- (87) المرجع نفسه، ص 291.

التدخل الكوبي في أنجولا (1963 - 1991م)

باحث - جمهورية مصر العربية

د. خالد حمدي أحمد علي

المستخلص:

تتمثل أهمية الموضوع فكشف الستار عن احتلال وقع داخل القارة الإفريقية بمقتضاه صارت «كابندا» مقاطعة تابعة لدولة أنجولا؛ عندما تدخلت «كوبا» تعاضد أنجولا لمصالح تخصها. وبالنسبة للمنهج المستخدم في الدراسة فهو المنهج التاريخي بجميع وسائله وأدواته، حيث يتم تتبع سير الأحداث من خلال المنهج الإسترداد بالوصف وتحليل الأحداث التاريخية تحليلاً منطقياً. وقد توصل البحث إلى نتائج أهمها: أولاً- قدمت أنجولا باحتلالها لجارتها الإفريقية «كابندا» نموذجاً لاحتلال إفريقي إفريقي وليس احتلال أوروب إفريقي كما هو معتاد، في حين شكلت كابندا وحدة جغرافية متميزة ذات تاريخ يختلف عن تاريخ أنجولا. ثانياً- لعب «العملاء» دوراً كبيراً في الصراع بين الشرق والغرب؛ خلال التوسع ونقل الحرب الباردة إلى العالم الثالث، مستخدمين التنافس الغربالشرقى من أجل تحقيق مصالح محلية وإقليمية خاصة بهم من خلال التمويه وغيره من الوسائل، فخرجت «كابندا» من براثن الاستعمار البرتغالي إلى غياهب الاحتلال الأنجولي، وتم ذلك بدعم كوبي ومباركة سوفيتية. كلمات مفتاحية: أنجولا، كوبا، كابندا، تدخل، احتلال.

The Cuban Intervention In Angola (1963 -1991)

Khaled Hamdy Ahmed Ali

Abstract:

The importance of the issue is to unveil the occupation that took place inside the African continent, according to which “Cabinda” became a province of the State of Angola; When Cuba intervened, Angola supported its own interests. As for the method used in the study, it is the historical method with all its means and tools, where the course of events is traced through the descriptive retrieval method and logical analysis of historical events. The research reached the most important results: First - Angola, with its occupation of its African neighbor “Cabinda”, presented a model for African-African occupation and not European-African occupation as usual, while Cabinda formed a distinct geographical unit with a history different from the history of Angola. Secondly, the “clients” played a major role in the conflict between East and West. During the expansion and transfer of the Cold War to the Third World, using the West-Eastern competition to achieve their own local and regional interests through camouflage and other means, Cabinda emerged from the clutches of Portuguese colonialism to the dungeons of the Angolan occupation, and this was done with Cuban support and Soviet blessing.

Keywords: Angola, Cuba, Cabinda, intervention, occupation.

مقدمة:

سجل التاريخ كثيراً من تجارب الاستعمار الاوربي لإفريقيا، غير أن تجارب الاحتلال الإفريقي لإفريقيا ظلت مهمشه، ومنها الاحتلال الأنجولي لشعب « كابندا»، والذي عكس صورة للحرب الباردة والعداء بين المعسكر الغربي والشرقي، والذي دفع بـ «كوبا» إلى التدخل في أنجولا تدخلاً مكن الأخيرة من احتلال جيب «كابندا» المتاخم لها؛ عندما أطلقت كوبا أكبر تدخل عسكري في تاريخها للدفاع عن حليفها الماركسية، فتحوّلت أنجولا بين عشية وضحاها إلى واحدة من الجبهات الرئيسية للحرب الباردة، وتسبب التدخل العسكري الكوبي في أنجولا لدعم دكتاتورية «مبلا» الشيوعية في عقود من الحرب الأهلية التي تكلفت ملايين الأرواح، وكانت «كوبا» ومعها الاتحاد السوفيتي المؤيدان الرئيسان للحركة «مبلا» وكان السبب الرئيس لتدخلهما في النزاع هو تدخل جنوب إفريقيا

في أنجولا ضد «مبلا» التي أصبحت- حسب هافانا- هدفاً للقوى الاستعمارية العنصرية، وبالتالي كوبا والاتحاد السوفيتي رأيا تدخلهما شرعياً.

وتحاول هذه الدراسة لقاء الضوء على ذلك النوع من الاحتلال من خلال المحاور التالية:

– مقدمات الاحتلال الأنجولي لكابندا.

– وقائع الاحتلال (8-13 نوفمبر 1975).

– التطورات عقب الاحتلال.

تقع مستعمرة «كابندا» Cabinda⁽¹⁾ في غرب وسط إفريقيا على بعد ثلاثين ميلاً شمال «نهر الكونغو»، بالطرف الشمالي الغربي لأنجولا، التي تفصل عنها جغرافياً، من خلال «نهر الكونغو» والأراضي الحدودية لـ «زائير» (الكونغو كينشاسا)، حيث يفصل كابندا عن أنجولا شريط ضيق من الأراضي التابعة لـ «زائير»، وهذا القطاع من الأرض أدى بدوره إلى صعوبة الجمع بين كابندا وأنجولا، وشكل أهمية إستراتيجية بالنسبة لـ «زائير»، لاسيما أنه المنفذ الوحيد للمحيط الأطلنطي بالنسبة لها، هذا وتبلغ مساحة كابندا 2800 ميل مربع⁽²⁾، وتحدها «جمهورية الكونغو» (الكونغوبرازافيل) من الشمال والشمال الشرقي و«زائير» من الشرق والجنوب، والمحيط الأطلنطي من الغرب، لذلك تدعى كابندا «جيب» Enclave، فتبدو كأنها منزقة من «زائير» حيث يلتقي المحيط الأطلنطي الساحل الجنوبي لكابندا⁽³⁾. وعقب توقيع اتفاقية «ألفور»⁽⁴⁾ التيسست السيطرة السياسية الأنجولية على «كابندا»، قررت «الحركة الشعبية لتحرير أنجولا» (مبلا) Popular Movement for the liberation of Angol (MPLA)⁽⁵⁾ بسط سيطرتها العسكرية هناك، فواجهت تدخلاً عسكرياً مضاداً من جانب قوات تحالف كابندية متمثلة في جنود الجبهة «فليك» وزائيرية دفعتها الرغبة في السيطرة على «كابندا»، غير أن النصر كان حليفاً للجبهة «مبلا» التي نجحت في احتلال كابندا، لاسيما بعد حصولها على الدعم الكوبي.

مقدمات الاحتلال الأنجولي لكابندا:

تم طرد «مبلا» من «كينشاسا» في عام 1963؛ بسبب خلافاتها مع النظام الحاكم، لذلك أصبحت غير قادرة علي مهاجمة الاستعمار البرتغالي لأنجولا من خلال أراضي «كينشاسا»⁽⁶⁾، فقد أغلقت السلطات الكونغولية مكتب «مبلا» هناك، وأصبحت بدون جبهة خارجية مساندة لها، واتجهت بعض العناصر إلى الانفصال عنها، بينما قام قادة الحركة بالتحرك إلى «برازافيل» للعمل على إقامة رئاسة جديد للحركة والتخطيط للعمل من كابندا⁽⁷⁾، فنقلت مقرها إلي «برازافيل» لتبدأ بذلك في مهاجمة البرتغاليين من كابندا بدلاً من أنجولا⁽⁸⁾، وذلك بحكم مجاورة كابندا لـ «برازافيل». وبما أن إقليم كابندا هو الجزء الوحيد التابع لأنجولا والمجاور لـ «الكونغوبرازافيل»؛ أصبح الميدان الأول للعمليات العسكرية لـ «مبلا» والتي بدأت في عام 1964⁽⁹⁾، فعندما طرد دكتور «أنتونيواغستينونيتو»⁽¹⁰⁾ وأعوانه رسمياً من «كينشاسا» كان في مقدورهم أن يعبروا النهر إلى «برازافيل»⁽¹¹⁾، وكان انتقالهم إليها ذات طبيعة سياسية أكثر منه عسكرية؛ فحكومة «هولدن روبرتو» Holden Roberto⁽¹²⁾ في المنفى نجحت في الحصول على اعتراف وتأييد الدول

الإفريقية في ضوء نشاطها في الجبهة الشمالية، ومن ثم أصبح على «مبلا» إقامة وضع مماثل لها⁽¹³⁾. واستقر المقام بالجبهة «مبلا» في «الكونغو برازفيل» وبدأت تعيد تنظيمها، بل وبدأت القتال في منطقة «كابندا»، وحاولت القيام بالأنشطة الفدائية في شمال أنجولا فمثلت القوى الأكبر في مواجهة البرتغاليين⁽¹⁴⁾. ومثلت كابندا منذ عام 1964 الميدان الرئيس للنشاط العسكري لـ «مبلا»، وعلى الرغم من افتقارها للأسلحة و المال استمر نجاحها؛ وذلك لاتباعها أسلوب حرب العصابات في هذه المنطقة، حتى أنها خلال عام 1965 باتت تسيطر على جزء مهم من الأراضي الأنجولية، وأثار نجاحها (مبلا) مقالات الصحف الاستعمارية التي دعت إلى تعزيز وحدات الجيش الاستعماري في كابندا، فنشرت مجلة «أخبار» Noticia الصادرة في أنجولا في أحد أعدادها لشهر ديسمبر مقالاً بعنوان «صرخة الخطر في كابندا» تلفت انتباه المسؤولين البرتغاليين إلى الوضع في هذه المنطقة والذي يمثل مصدر قلق كبير⁽¹⁵⁾. وواجهت «مبلا» صعوبات متعددة بعد ذلك بالرغم من نجاحها فكابندا، وكانت الصعوبة الرئيسة من جانب قبائل «المايومبي» التي تعيش على امتداد الحدود بين كابندا و«برازفيل»، وهى بالضرورة طريق «مبلا» للداخل، وبالتالي فقد كان من الصعب عبور إقليم المايومبي، بينما كان الأمر مختلفاً فكابندا حيث أبدى الشعب استعداده للمشاركة؛ ولكن كمنت الصعوبة في أن أهل كابندا كان لهم حزبهم الوطنجبهة تحرير جيب كابندا «فليك» (The front for the Liberation of the Enclave of Cabinda (FLEC)، والتتيم تأسيسها في «بوينت نوار» عام 1963، نتيجة اندماج «حركة تحرير جيب كابندا «مليك» (Movimento de Liberatacao do Enclave Cabinda (MLEC)، و«تحالف مايومبي» (ALLAMA)The Mayombe، و«لجنة العمل لاتحاد كابندا الوطني» (Alliance Cabinda(ACUNC)⁽¹⁷⁾. وبالتالي واجهت «مبلا» العداء من جانب «فليك»، ومن جانب فلاحى «مايومبي» عند عبورها حدود الكونغو⁽¹⁸⁾، ومع صعوبة التضاريس ووجود حرب العصابات اضطرت - أماً في إضعاف التمرد ضدها - إلى الانتقال للشمال من أنجولا حيث تسيطر هناك المجموعة العرقية «باكونجو»، التى لها صلات وثيقة مع «كينشاسا» جعلتها تمنح «مبلا» الدعم في كثير من الأحيان⁽¹⁹⁾ و«شنت» مبلا «عملياتها العسكرية الأكثر نجاحاً من معسكرها التدريبي قرب «دوليسي» Dolisie (علي بعد ثلاثين ميلاً شمال الحدود مع كابندا علي مسافة قريبة جداً من حدود «ميكونج» Miconje الواقعة فكابندا)، وورطت البرتغاليين في هذه المنطقة بقتال شرس جداً، لذلك أقام البرتغاليون طريقاً سريعاً ممهداً من «لاندانا» إلى «ميكونجي» وأرسلوا عدة آلاف من الجنود إلى منطقة «المايومبي» الذين نظروا إلى جنود «مبلا» علي أنهم «أجانب»، فحاولت «مبلا» الحصول على الدعم من جانب قبائل «المستيكو» Mestico⁽²⁰⁾، والسكان الأفارقة في الساحل، لكنها فشلت في إقامة علاقات مباشرة مع هؤلاء السكان⁽²¹⁾، ومن ثم بحثت عن الدعم الخارجى، والذي حصلت عليه من جانب «كوبا» و «الاتحاد السوفيتى» في إطار التدخلات الأجنبية في القارة السمراء. وتحالفت «مبلا» مع «كوبا» في يناير 1965⁽²²⁾، ومن ثم وصلت بعثة كوبية إلى «برازفيل» في أواخر مايو 1965 بصفة غير رسمية تضم تسعة مدربين كوبيين تحت قيادة كوبي

يدعى «رافائيل موراكين ليمونتا» Rafael Moracén Limonta⁽²³⁾، ومن خلال حكومة «الكونغو برازافيل» حصلوا علي بطاقات هوية مزيفة، وبعد أربعة أيام سافر ستة منهم إلي المعسكر الرئيس لجهة «مبلا» في «دوليسي» لتدريب جهة «مبلا»، حيث كان هناك المقر الرئيسي لقيادة العمليات، وهناك أقام «هوجي ياهيندا» HojiYaHenda⁽²⁴⁾ قائد المعسكر علاقات قوية مع الكوبيين، كما كان هناك «كوجوتشيكاتا» KojoTchikata ضابط من الجيش الغاني أرسله الرئيس «نكروما»⁽²⁵⁾ لمساعدة جهة «مبلا»، وتعاون هذا الضابط مع الكوبيين الستة لتشكيل نواة كتيبة التدريب للجهة، وبعد تأقلمهم لبضعة أيام تم تقسيم الكوبيين بين فصليين من مقاتلي «مبلا» لتدريبهم، فكانت البعثة الكوبية لبرازافيل بداية تحالف جهة «مبلا» مع كوبا، والذي دام لستة وعشرين عاماً تالية. وأقام هذا التحالف رابطة بين الأنجوليون الكوبيين. وعبر إلي كابندا في أوائل يونيو 1965 أول الجنود الكوبيين لتنفيذ عمليات عسكرية في أنجولا، وفي غضون بضعة أيام اشتبكوا مع دورية برتغالية في المنطقة الحدودية، وعلي مدى الأشهر الخمسة التالية عبروا الحدود ذهاباً وإياباً لتدريب المقاتلين ولوضع عديد من الكمائن⁽²⁶⁾. وأصدرت الجهة «مبلا» في الثالث عشر من يوليو 1965 بياناً أطلقت عليه «بيان حرب» Communiqué de guerre ذكرت فيه أنه في وقت سابق دار اشتباك عنيف بين مقاتلي الحركة الشعبية «مبلا» و فرقتين من الجيش الاستعماري البرتغالي عند «بوكوزاو» Bucozau في منطقة كابندا، وأوضح البيان أن قوات العدو البرتغالي قد عبرت قطاعاً تسيطر عليه «مبلا» حول قرية «سانغا- و اندا» sanga- wanda، علي بعد 8 كم من «بوكو زاو»، ورغم تفوقهم العددي استطاعت الحركة الشعبية التصدي لهم، حيث سقط 62 قتيلاً⁽²⁷⁾. ودعماً للتحالف وصل 2500 كوبي إلي «برازافيل» في 23 أغسطس 1965 من أجل تدريب الميليشيا الأنجولية وتقديم الإغاثة لـ «مبلا» والقتال إلي جانبها⁽²⁸⁾، غير أن «مبلا» من «برازافيل» كانت أكثر بعداً عن شمال أنجولا منه عن «كينشاسا»، ومن ثم كانت خطوتهم العملية الأولى تتمثل في العمل والقتال من داخل كابندا⁽²⁹⁾. وأصبحت خبرة القتال في «أدغال مايومبي» واحدة من تجارب «التعلم المشترك»؛ حيث تعلمت كواد «مبلا» مهارات حرب العصابات، في حين تعرف الكوبيون علي واقع الصراع بين القبائل في أنجولا، وتلقي الأنجوليون التدريب التقني من الكوبيين علي تشغيل وصيانة البنادق والمدفعية الخفيفة وكذلك العمليات التكتيكية غير المنتظمة والخاصة بزرع الكمائن، لكنها كانت أوقاتاً صعبة واختباراً للكوبيين الذين اعتادوا علي الصرامة الشديدة والذين «وجدوا أنفسهم في ثقافة غريبة تماماً ومفهوم مختلف تماماً عن الانضباط»، وانزعج الكوبيون علي وجه الخصوص من القبلية الحادة التي كانت منتشرة بين المقاتلين الأنجوليين، لاسيما «الأوموندو» و«الباكونجو»⁽³⁰⁾. كانت الكراهية بين القبائل شيئاً محيراً للكوبيين؛ واعترف بذلك «رافائيل موراكين ليمونتا» في وقت لاحق قائلاً «أنهم كانوا جميعاً بالنسبة لي أنجوليين، لكن لم يكن لديهم هذا المفهوم»، وكان رد فعل الكوبيين خليطاً من الحيرة والغضب الشديد، ومع ذلك أفرزت خبرة تقاسم نفس المخاطر اليومية صداقة حميمة وقوية بين الكوبيين والأنجوليين علي مدى الشهور، فمن الاحترام المشترك بين المدربين والمجندين مثلت كابندا بيئة مليئة بالتحديات لعمليات حرب العصابات،

رغم أن التضاريس الصعبة للغاية كانت تعوق فاعلية المدربين الكوبيين، حيث كان المسار الرئيس لتسلسل الفدائيين إلى كابندا عبر «مايومبي» ثاني أكبر وأكثف غابة في العالم - بعد غابة الأمازون - بها الغطاء النباتي غير المحدود الذي صعب عليهم عملية المرور، وكان عليهم السير لمدة يوم علي الأقل للوصول إلى أقرب حامية برتغالية، وتصل الرحلة لمدة أسبوع للوصول إلى «بليز» Belize (أربعين ميلاً جنوب دوليسي)، وهذه المنطقة كثيفة السكان لم تقدم سوي القليل من الدعم المحلي، خاصة أن بعض القبائل التي عاشت في «مايومبي» ارتابت من جبهة «مبلا»، ومالت إلى دعم الجبهة «فليك»، وبالتالي كانت الحملة المشتركة من الكوبيين وجبهة «مبلا» أكبر بقليل من طلعات قصيرة إلى الجيب، أو اشتباكات غير حاسمة مع أول دوريات برتغالية تواجهها، أو الانسحاب السريع إلى «دوليسي» من أجل إمدادات جديدة، وبسبب عدم قدرة الكوبيين علي تصعيد التمرد في كابندا قررت «مبلا» نشر قواتها في أماكن أخرى⁽³¹⁾، لذلك انتقلت العمليات الرئيسة لها إلى جبهة جديدة في شرق أنجولا⁽³²⁾. وكانت كابندا لـ «مبلا» تدريباً علي حرب العصابات، ومعظم قادتها الذين فتحوا الجبهة الشرقية في أنجولا بعد عام 1965 محاربين سابقين في منطقة كابندا⁽³³⁾، كما كان العمل من جبهة كابندا مفيداً لحركة «مبلا»، فمن خلالها أمكن تكوين كوادرات للحركة، واكتساب خبرة ثمينة لحرب العصابات، وبروز معظم قادة الحركة، ووصفها د. نيتو «.. المدرسة التي أمكن فيها التدريب على العناصر الأساسية لتطوير الكفاح في الأقاليم الأخرى..»، ولكن ظلت قيمتها العسكرية محدودة، كما ظل الأمل في تحقيق إنجازات ملموسة لقضية الاستقلال منوطاً بفتح جبهة عسكرية أخرى في أنجولا⁽³⁴⁾، لهذا في عام 1966 انتقلت قيادة «مبلا» إلى «زامبيا» لتفتح جبهة جديدة في شرق أنجولا، وامتد نشاطها في شرقها ووسطها بنجاح وبدأت في تطبيق سياسة إقامة مناطق محررة سياسياً وعسكرياً في داخلها ثم انتقلت قيادة الحركة نهائياً للإقامة داخل أنجولا⁽³⁵⁾. وبتكثيف عملياتها نجحت في الحد من عمل «فليك»، مستخدمة لذلك قواعد خلفية من «زامبيا»، لهذا السبب في أوائل عام 1966 تم انسحاب الجزء الأكبر من المقاتلين من كابندا و «برازافيل» لإدماجهم في قوات التعزيز المتجهة إلى ديمبوس Dembo التابعة لمحافظة «كوانزا نورتي» Cuanza Norte من أنجولا⁽³⁶⁾ وبفضل المساعدات السوفيتية أجبرت جبهة «مبلا» في مايو 1975 الجبهة «يونيتا» علي الخروج من مناطق شمال وشرق «لواندا»، وفي يونيو من العام نفسه سيطرت علي كابندا بالكامل⁽³⁷⁾، حيث وقعت في هذا الشهر معركة كبيرة في مدينة كابندا بين مئات الجنود التابعين للحركة الشعبية «مبلا» وجبهة «يونيتا»، ودمرت فيها أعداداً كبيرة من المباني ورحل بسببها نسبة كبيرة من سكان المدينة، وترك القتال خلال ذلك الشهر الحركة الشعبية «مبلا» في وضع المسيطر علي الجيب بالكامل⁽³⁸⁾، وقد استخدمت مدافع الهاون والمدافع الرشاشة في المعارك الضاربة بين حركتي تحرير أنجولا المتصارعتين، واستطاعت «مبلا» دحر قوات «يونيتا» وأسرت عدد كبير من أفرادها، في أول مرة تمتد فيها المعارك إلى جيب كابندا، إذ كانت المعارك قبل ذلك تدور بين الحركتين في قلب لواندا العاصمة وفي المناطق الشمالية من أنجولا⁽³⁹⁾، وأسرع انتصار «مبلا» علي «يونيتا» بكابندا، في تحقيق ائتلاف «فلا- يونيتا» مع أوائل يوليو 1975 لا سيما بعد

أن نجحت «مبلا» في طردهم من كل لواندا⁽⁴⁰⁾ وسيطرت الجبهة «مبلا» علي كابندا في 30 أغسطس 1975، بعدة مئات من الجنود داخل وحول مدينة كابندا، بالإضافة الي 2000 جندي منتشرين علي طول الحدود مع زائير، وبغض النظر عن العدد، كانت قوات «مبلا» مزودة بترسانة كبيرة من الاسلحة السوفيتية الصنع ، وبينما كانت «مبلا» تقوى موقفها كانت تتوالى عليها الاسلحة الجديدة من «بوينت نوار»⁽⁴¹⁾.وسعت «مبلا» مرة أخرى للحصول علي مساعدات عسكرية، وقادها هذا السعي إلي الكوبيين⁽⁴²⁾، ومن ثم طلبت الدعم الكوبي لتعزيز موقفها وحماية كابندا من أى محاولة استيلاء، فأرسل «فيدل كاسترو» Fidel Castro⁽⁴³⁾ بعثة أخرى لقوات كوبية في ملابس مدنية، وخلال أغسطس 1975 كان هناك مخيم للكوبيين من مدربين وجنود متخصصين في شتى المجالات العسكرية في كابندا⁽⁴⁴⁾ وجاء اتخاذ القرار بأن يكون أكبر معسكر للبعثة الكوبية في كابندا دون غيرها بتأثير من «فيدل كاسترو» نفسه، فخلال المناقشات مع فريق «أرغيليس» Arguelles قائد البعثة في منتصف شهر أغسطس 1975 انتقدهم «فيدل كاسترو» لعدم مراعاة عزلة الجيب مما يجعله هدفاً لأي غزو في أي مكان علي طول حدوده الـ 130 ميل مع زائير، حيث يمكن لقوة غزو جيد التنظيم اجتياحه والاستيلاء على العاصمة (كابندا)، والتي تبعد فقط مسافة 15 ميلاً شمال الحدود، قبل أن ترسل لواندا التعزيزات، حتى أن « نيتو » استسلم خلال المناقشات والمحادثات لإمكانية خسارة كابندا ومن ثم وافق على ذلك، لكن «فيدل كاسترو» عارض هذا القرار بشدة - حرصاً على كابندا- وقرر إرسال 191 كوبي إلي كابندا تحت قيادة الجنرال «رامون اسبينوزا مارتين» Ramon Espinosa Martin⁽⁴⁵⁾ المكلف بوضع الخطة الدفاعية، وفي منتصف سبتمبر 1975 وصل مدربون كوبيون إلى أنجولا حيث حددوا معسكرات التدريب فكابندا وهى سالازار Salazar، «ندالاتاندو» Ndalatando ، «بنجويلا» Benguela، «هنريكديكارفيلو» Henrique de Carvalho، «ساوريمو» Saurimo⁽⁴⁶⁾. وفي هذا الوقت كانت التساؤلات التي تطرح نفسها: هل ستنقسم أنجولا إلى ثلاث دول بحكم الصراع بين «مبلا» و «فنلا» و «يونيتا» ينفصل عنها إقليم كابندا الغني بالبترو؟ أو ستحدث المعجزة وتنضم الجبهات الثلاث لتكون حكومة واحدة تعلن الاستقلال؟⁽⁴⁷⁾ ووصل الجنرال «اسبينوزا» كابندا في أواخر سبتمبر 1975، وبعد لقائه القادة المحليين لجبهة «مبلا» انطلق في جولة استطلاعية كبيرة للمنطقة الحدودية مع «زائير»، وسرعان ما انضمت إليه مجموعة ثانية من الضباط الذين وصلوا جواً إلي كابندا عن طريق « مكسيكو » وأقاموا معسكرهم في دينجيDinge في منطقة تلال مايومي (علي بعد 50 ميل شمال شرق كابندا العاصمة)، وساند هذا المعسكر معسكر مساعد في «لاندانا». وغادر «هافانا»Havana عاصمة كوبا في يوم 30 سبتمبر 70 جندي كوبي علي متن السفينة «بريتانيا» Britannia إلي كابندا، وتزامن وصولهم مع سفينة كوبية ارسلت كأمدادات إلي أنجولا والتي رست في ميناء « بورتو أمبويم » Porto Amboim في 5 أكتوبر، كما رست سفينة الدعم الكوبي «لابلاتا» LaPlata يوم 9 أكتوبر في ميناء «بوينت نوار»، وبعد يومين أفرغت إمداداتها العسكرية وأنزلت المجموعة الأخيرة من المدربين الكوبيين التابعين للبعثة الكوبية لتكتمل القوة المرسلة إلي كابندا وعددها 191 عنصراً، فوصل العدد الاجمالي للكوبيين

في كابندا إلي حوالي 500 فرد⁽⁴⁸⁾ واعتزم الرئيس الزائري «موبوتوسي سيكو» علي ذلك في أكتوبر 1975 خطة لغزو كابندا رداً علي ما فعلته «مبلا»، وتعاون «موبوتو» مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية والتي قدمت صفقة من الأسلحة ونحو ألف جندي، كما قام ضباط وكالة المخابرات المركزية بدور التدريب لـ «فليك» ومقاتلها في «كينشاسا»⁽⁴⁹⁾، حيث عادت «فليك» للظهور متخذة من كينشاسا قاعدة لها⁽⁵⁰⁾. وبالتالي بدأ «العملاء» أو «الممثلون الصغار» Junior actors يلعبون دوراً كبيراً في الصراع بين الشرق والغرب؛ خلال التوسع ونقل الحرب الباردة إلي العالم الثالث، مستخدمين التنافس الغربالشرقي من أجل تحقيق مصالح محلية وإقليمية خاصة بهم من خلال التمويه وغيره من الوسائل، وكان علي رأس هؤلاء «موبوتو»، إذ ارتدي ذلك الرجل معطفاً طويلاً لمصالحه المحلية التي أنطوت تحتها مستقبل كل من أنجولا وكابندا رغبة في ضم الأخيرة إلي بلاده، وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية تدعمه في ضوء ثلاثة أسباب: أولها سياسة الاتحاد السوفيتي في دعمه لـ «مبلا» وسياسته للتدخل في شئون أنجولا الداخلية إلي جانب نشاطه المتزايد في إفريقيا، وثانيها سياسة أمريكا لتشجيع المعتدلين وتقصد حركات التحرر في المنطقة، وثالثها الاهتمام الأمريكي باستقرار نظام «موبوتو» وغيره من الزعماء المواليين للغرب في إفريقيا⁽⁵¹⁾، لاسيما أن زائير تعتبر قلب القارة الإفريقية محاطة بتسع دول وهناك صعوبة في الدفاع الفعلي عنها⁽⁵²⁾. و قامت قوة عسكرية مشتركة من «زائير» وجنود «فليك» اعتماداً علي المساندة الأمريكية بغزو جيب كابندا في 2 نوفمبر 1975⁽⁵³⁾، وذلك للاستيلاء عليه، وكان الجنود الزائيريون مسلحين بأسلحة مقدمة من جهاز الاستخبارات الأمريكية C.I.A وقادتهم مجموعة من المرتزقة الفرنسيين، إلا أن القوات الكوبية وقوات الحركة الشعبية «مبلا» تأهبت للدفاع عن الجيب⁽⁵⁴⁾.

وقائع الاحتلال (8-13 نوفمبر 1975):

طلب « نيتو» تعزيزات فورية وهائلة من «هافانا، بناءً علي إلحاح من «أرغيليس» قائد البعثة الكوبية، ومن ثم قرر «فيدل كاسترو» في الرابع من نوفمبر 1975 التدخل علي نطاق واسع وبشكل غير مسبوق في عملية أطلق عليها اسم «كارلوتا» وفقاً لإسم «كارلوتا السوداء» زعيم ثورة العبيد عام 1843⁽⁵⁵⁾. وغادرت «هافانا» إلي «برازافيل» في 4 نوفمبر 1975 أول طائرة كوبية تحمل مائة مختص في الأسلحة الثقيلة، طلبتهم «مبلا» منذ سبتمبر ليصلوا إلي «برازافيل» ومنها إلي «لواند» يوم 7 نوفمبر، وفي يوم 9 نوفمبر وصلت إلي «لواند» طائرتين كويتين أخرتين علي متنها مائة جندي من الوحدة التابعة للكتيبة 652 من صفوة القوات الخاصة، وكانت المهمة الأولى للكوبيين هي مساعدة جبهة «مبلا» للحفاظ علي سيطرتها في «لواندا» و «كابندا»، وفسر «فيدل كاسترو» التدخل الكوبي بقوله:

«.. عندما بدأت القوات النظامية الجنوب إفريقية غزو أنجولا في 23 أكتوبر لم نستطع البقاء مكتوفي الأيدي، وعندما طلبت منا جبهة مبلا المساعدة قدمنا المساعدة الضرورية لمنع نظام الفصل العنصري من ترسيخ أقدامه في أنجولا...»⁽⁵⁶⁾، وأصبح إقليم كابندا- الذي تسيطر عليه الجبهة «مبلا»- بالإضافة إلي «الكونغو برازافيل» نقاط رئيسية لنقل الأسلحة التي يرسلها الاتحاد

السوفيتي والمعسكر الشرقي لجهة «مبلا»⁽⁵⁷⁾ وكانت الحامية الكويتية الموجودة فكابندا تحت قيادة «رامون اسبينوزا مارتين» الذي قضي شهر أكتوبر (1975) في عمل الاستعدادات الخاصة بالدفاع عن الجيب، إذ وأوشك المدربون الكويتيون هناك علي الانتهاء من تدريب كتيبة المشاة «فابلا» الأولى FAPLA's في أوائل نوفمبر 1975، بل وكانوا علي وشك العمل في تدريب الكتيبة «فابلا» الثانية والتي كان مجندوها قد جمعوا من «دينجي» و «كاكونجو» و«لاندانا»⁽⁵⁸⁾، والجهة «مبلا» تسيطر على «لواندا» العاصمة والمناطق المحيطة بها والتي تقرب من 10 مناطق إدارية من الست عشرة منطقة التي تنقسم إليها أنجولا، وهي تسيطر أيضاً على بعض الموانئ الهامة في الغرب مثل «لوبيتو» و «هريوندو» و «يوكاليدوس»، وتمتد سيطرتها العسكرية إلى إقليم «كابندا»⁽⁵⁹⁾. ودخل «اسبينوزا» في دور التحدي بقواته المحدودة؛ التي وجب عليه أن يستخدمها للدفاع عن مدينة كابندا⁽⁶⁰⁾، وجاء الغزو في صباح يوم 8 نوفمبر 1975، وظهرت استراتيجية «اسبينوزا» التي آتت أكلها، إذ كان الجيش المهاجم يتكون من أربع كتائب مشاة تضم حوالى 2000 رجل، من بينها واحدة زائرية تحت قيادة 150 من المرتزقة الفرنسيين والأمريكيين وثلاثة كتائب تخص «فليك»⁽⁶¹⁾، التي بدأت القتال ونادت بالاستقلال التام للإقليم عن أنجولا⁽⁶²⁾.

هكذا قاتل متمردو جهة «ال»«فليك» وقاموا بعدة محاولات لفصل كابندا عن أنجولا، لكن سرعان ما أقامت الحركة الشعبية «مبلا» وجوداً عسكرياً قوياً في الجيب وطاردت بقايا «فليك» وحلفاءها إلى داخل الغابات المطيرة بتدخل الكويتيين⁽⁶³⁾

التطورات عقب الاحتلال:

إلى جانب المعارك العسكرية التي خاضتها الحركة الشعبية «مبلا» في ميدان القتال كانت تناضل في معركة سياسية لا تقل ضراوة وعنفاً من أجل اثبات وجودها وترجمة ما تحرزه من نصر عسكري إلى واقع سياسي، وكانت المعركة السياسية في بدايتها أقل سخونة وإن كانت تشير إلى قدر من التفاؤل، حيث كان عدد الدول التي اعترفت بحكومة «مبلا» محدوداً في بادئ الأمر، كما أن أحداً لم يتقدم للاعتراف بالحكومة المنافسة، ومع احتدام المعارك ووضوح دور جنوب إفريقيا ومظاهر التدخل الأمريكي وبدء المساندة السوفيتية والكويتية احتدمت المعركة السياسية وتقاطعت محاورها⁽⁶⁴⁾، لاسيما في ظل الحزازات التي خلفتها الحرب واستمرار التدخلات الخارجية النشطة والضغوط الاستعمارية، ويرتبط بهذه المشكلة إعادة بناء الهيكل السياسي للنظام الوطني من أساسه بعد أربعة قرون من الارتباط الاستعماري مع البرتغال⁽⁶⁵⁾. ومع حلول يناير 1976، وبدعم واضح من 10 آلاف إلى 12 ألف جندي كوبي وأسلحة سوفيتية بقيمة 200 مليون دولار أمريكي ظهر واضحاً أن «مبلا» أصبحت القوة العسكرية المهيمنة⁽⁶⁶⁾، وبحلول فبراير من العام نفسه وصل عدد أفراد القوة الكويتية فكابندا وحدها إلى أكثر من 5,000، لذلك فإن أنشطة «فليك» صعدت من خلال سلسلة من الكمائن واحدة منها دمرت اثنتين من حاملات الشاحنات في طريقهما من «لاندانا» إلى «ماسابي» Massabi، والكويتيون ردوا على ذلك من خلال عملية «الوشاح الأبيض» أو «المنديل الأبيض» white Handkerchie، وهى عملية واسعة تقوم خطتها على تطويق وتدمير

نحو 700 جندي متبقية من مقاتلو «فليك» كانت تعمل في مجال «نيكوتو» Necuto (ستين ميل إلى الشمال الشرقي من مدينة كابندا) ، ولكن نجح الفدائيون من «فليك» في الهروب من هذا التطويق وقاموا بزرع حقول الغام سببت للكوبيين بعض الاصابات بينما وصلوا هم طريقهم الى الغابة، وعلى مدار الشهر استمرت المناوشات في كافة الانحاء⁽⁶⁷⁾. وقامت «فليك» في أواخر شهر مارس 1976 بمهاجمة خمسة كوبيين قتل من ضمنهم المفوض السياسي الكوبي في كابندا، ومن ثم قرر الكوبيون تصفية هؤلاء الفدائيين وبشكل نهائي، لذلك في أوائل أبريل تم نشر كامل القوات الكوبية على شكل حذوة حصان تطوق المقاتلين من الشرق وتقطع خطوط إمدادهم بشكل يدفعهم ناحية البحر، وهذه المرة عقد الطوق الكوبي عقدة محكمة إذ قتل مائة من مقاتلي «فليك» على مدى ليلتين حاولوا الخروج من الطوق الكوبي، هذا إلى جانب مائة آخرين ماتوا وتم أسر 300 مقاتل أخذوا إلى السجن لتتم إبادتهم في اليوم التالي، وعلى ذلك تم إبادة واسطة العقد بالنسبة لـ «فليك»، فكانت نكسة كبيرة على الجبهة، لكنها لم تكن تعنى الإنهيار والسقوط لها، ففي يوم 8 مايو 1976 عندما كان «اسبينوز» يقود دورية كوبية صغيرة على طول الحدود الشرقية مع «زائير» بين «تاندوزينز» Tandozinze و«تشيابو» Chiobo ضربت سيارته المدرعة بلغم مضاد للدبابات أدى إلى انقلاب المركبة وإلى حدوث انفجار هائل⁽⁶⁸⁾. ونفذ الكوبيون في مايو 1976 سلسلة من العمليات ضد باقى جيوب المقاومة التابعة لـ «فليك»، مستخدمين في ذلك عمليات الإنزال البحري وطائرات الهليكوبتر خلف خطوط الجبهة، غير أن الغابة وظروفها ووعورتها شكلت ظروفًا صعبة للغاية عانى منها الكوبيون وتعرضوا لخسائر فادحة جراء الكمائن التي نصبت لهم، ولكن بحلول نهاية 1976 كانوا قد نجحوا في إنهاء سيطرة «فليك» على القطاع، لذلك فإنه على مدى العقد المقبل كانت أنشطتها لا تتعدى قيمة الازعاج⁽⁶⁹⁾، بينما سيطرت «مبلا» بمعاونة «كوبا» في ظل المستشارين السوفيتيين الذين وجهوا هجومها⁽⁷⁰⁾، وباتت أئمن الأشياء بالنسبة لـ «مبلا» وهي حقول نفط كابندا الغنية آمنة، لاسيما أن حاميه كوبية ثم تثبيتها في «ماليمبو» للحماية من أى محاولات تخريب تضر بانتاج النفط في الحقول الغنية قبالة كابندا⁽⁷¹⁾. ونتج عن هذا الانتصار زيارة «فيدل كاسترو» لأنجولا يوم 23 مارس 1977 في أول زيارة رسمية له، وعلى مدى التسعة أيام التالية لبدء الزيارة تم تكريمه من قبل «مبلا»، إذ كان له الفضل في بقائها، وجاءت هذه الزيارة ردًا على زيارة «نيتو» التي قام بها الى «هافانا» خلال يوليو 1976 بهدف تنشيط التحالف بين كوبا و«مبلا»، وحرص «فيدل كاسترو» في زيارته هذه على تقليل العمليات الكوبية في أنجولا؛ مؤكداً أن التدخل الكوبي كان فقط من أجل حماية «لواندا» التي تحققت، والراجح أن «فيدل كاسترو» لم يشأ أن يفاجئ «نيتو» بأنباء عن المؤامرة المزعومة والتي تضم «فلا» وقوات جنوب إفريقيا من أجل غزو كابندا وزعزعة الاستقرار في وسط أنجولا من خلال عملية كبرى، وحتى لو كانت هذه إشاعات خاطئة فإنه بالفعل تبقى «فلا» وقوات جنوب إفريقيا تشكل خطراً على أنجولا، ولو بقيت القوات الكوبية هناك فإن ذلك سوف يتطلب تعزيزات جديدة وهو ما كان «فيدل» يحاول تجنبه⁽⁷²⁾. ولكن ما تأثير هذا الانتصار الأنجولي لـ «مبلا» على الكابنديين ؟

منذ احتلال كابندا من جانب «مبلا» فر نحو ثلث السكان إلى بلدان مجاورة ليقدر عدد اللاجئين عام الاحتلال بنحو 950.000 لاجئ⁽⁷³⁾، لذلك ناشدت القوات العسكرية الأنجولية بكابندا أولئك الذين يعارضون الحكومة الجديدة وأولئك الذين فروا إلى «زائير» بالعودة أو الإستسلام، وقال: «.. من يستسلم لن يُنتقم منه، لكن من يستمر في المقاومة سوف يعاقب ولن يغفر له..»⁽⁷⁴⁾. وانتشرت معسكرات القوات الأنجولية بكابندا، كما بات تدمير الكنائس والمنازل أمراً عادياً، وفقد الكثير من الناس حياتهم، وتعرضت النساء للانتهاك الجنسي وعانين بشدة علي أيدي الجنود الأنجوليون، وفقد الأطفال أبائهم⁽⁷⁵⁾، كما مارست الحكومة الأنجولية سياسة «إعادة التوطين» Resttment بنقل الأنجوليين إلى كابندا، فأصبحت هذه السياسة مشكلة أصابت السكان المحليين بالضيق والتهميش⁽⁷⁶⁾، لذلك بات الاحتلال واقعاً بشكل يرفضه الشباب الكابندي الذي كسر صمته رغبة في فتح آمال ومجال المستقبل⁽⁷⁷⁾، وبدأ النضال الكابندي من أجل التحرر من الاحتلال الأنجولي⁽⁷⁸⁾، وفي إطار المواجهات بين «مبلا» والكابنديون دفعت «مبلا» بقايا للجهة «فليك» إلى ريف كابندا⁽⁷⁹⁾، وعلى مقربة من الكونغوراز فيلتجدد النشاط الفدائي، وشجعهم وجود غابات مايومبي علي تلك الأنشطة الفدائية⁽⁸⁰⁾، ولسنوات طويلة استخدمت «فليك» أراضي «زائير» و«الكونغوراز فيل» قواعد خلفية تشن من خلالها هجمات في كابندا⁽⁸¹⁾. وعلي الرغم من صغر حجمها ثبت أن الغابات الكثيفة في كابندا منطقة جيدة للمقاومة وحرب العصابات وذلك بطريقتين: أولهما أن الكابنديين شكلوا معاً وحدات المقاومة، وثانيهما بدأت حركات التحرر الأنجولية المعادية لـ «مبلا» باستخدام الغابات كنقطة انطلاق مريحة للهجمات علي أنجولا⁽⁸²⁾ وقام الكوييون بقطع الأشجار في غابات مايومبي الشاسعة بكابندا رداً على ذلك، وبناءً على رغبة الجهة «مبلا»، إذ استجابت كوبا بإرسال وحدة ضخمة من رجالها إلى كابندا- حوالي 500 كوبي يساندتهم 100 رجل من أنجولا - للعمل علي اكبر مشروع مدني لكوبا في كابندا، وخيمت هذه الوحدة في « بوكو زاو» (علي بعد 85 ميل شمال شرق كابندا)، مع نشر 6 معسكرات أصغر في داخل الغابة، وخلال ثلاثة أشهر فقط قامت بقطع 14 ألف متر مكعب من الخشب وهو عمل قد يستغرق سنتين، لذلك أدي نجاح هذا المشروع إلي اتهام الكوبيين بنهب مايومبي وتدمير رقعات كبيرة من الغابة العذراء المطيرة، ومن ثم نظر كثير من السكان المحليين إلي الكوبيين بنفس نظرتهم للبرتغاليين؛ باعتبارهم غرباء جاءوا لنهب وسلب ثروة كابندا، ونفت الحكومة الكوبية هذه الاتهامات بشدة، ولكن يبقى الجدل، كما ظل قدر كبير من الشعور السئ بين السكان المحليين⁽⁸³⁾ ولم تكن كابندا البلد المثالي لعمليات «مبلا» العسكرية في ظل انتشار الغابات لاسيما غابات مايومبي لسببين؛ أولاً: كان بها حركة سياسية منافسة (فليك) تدعمها «كينشاسا» تسعى للانفصال عن أنجولا، ثانياً: أصبحت كابندا أغني جزء في أنجولا عند اكتشاف النفط البحري وبذلك أصبحت أكثر مكان دفاعي في جميع المناطق الاستعمارية⁽⁸⁴⁾ خاضت فيه «مبلا» حرب انفصالية متدنية المستوي⁽⁸⁵⁾، فقد ذكر مصدر عسكري أن هجوماً شنته الجهة «مبلا» قد أدى إلى مقتل حوالي 20 مدنياً فيأحدى قرى كابندا⁽⁸⁶⁾. وصورت الصحافة حالة حرب العصابات في كابندا، ورسمت لها صورة قائمة بدلاً من الصورة البطولية، إذ وصفت التقارير

الصحفية مقاتلي كابندا ب»..قوات مراهقة في حاجة ماسة لحلاقة الشعر والغسيل الجيدهذا إلى جانب زيادة استهلاك الكحول بين الجنود...»، لذلك باتت حالة الجنود كثيفة خلال حرب تغفل عنها الصحافة الأجنبية وكذلك مراقبو الأمم المتحدة كما لا تحويها «اتفاقية جنيف»، إنها «حرب قذرة في الأدغال الصغيرة»⁽⁸⁷⁾، وباتت «مبلا» العدو الحقيقي للكابنديين وأصبح هدفهم الأساسي هو إضعاف موقف قواتها في كابندا⁽⁸⁸⁾ ورأى الكابنديون أن «مبلا» قد اكتسبت السلطة عن طريق العنف وحافظت عليها عن طريق الإرهاب، وأكد ذلك ما حدث في محطة تلفزيون ناميبية عندما ظهر أحد جنود «مبلا» وقال «...لقد جئنا إلى هنا (كابندا) للقتل، تناول الطعام، الاغتياال...».

كما ذكر « نيتو ألفيس Nito Alves وزير الداخلية الأنجولي الأسبق أنه:

«...لا يتم التسامح مع جماعات المعارضة ضد مبلا والمنشقين .. إلا إذا أمكن إعادة تدويرهم وتعليمهم فحسناً، ولكن المتعنت العنيد ذو الرأس الصلبة لابد من القضاء عليه»⁽⁸⁹⁾.

لذلك أصبحت منازل الكابنديين مراقبة طيلة 24 ساعة من الجيش والشرطة، وأي شخص تطأ قدمه خارج المنزل بات معرضاً للاستجواب والتفتيش من جانب المسؤولين لصالح خدمة المحتل، حتى النساء لم تسلم عند خروجها إلى الشارع كانت عرضة للتفتيش والخضوع لإجراءات ترهيب من جانب السلطات الأنجولية⁽⁹⁰⁾ وبدأت حكومة أنجولا تبذل العسل والمبررات من أجل قيامها بالتوقيف العشوائي والحجز، ومن ذلك اعتمادها علي نص القانون الخاص بالجرائم ضد أمن الدولة المؤرخ بعام 1978 «.. كل فعل يعرض أو قد يعرض أمن الدولة للخطر فإن صاحبه سيعاقب..» وفي إطار ذلك وصفت الحكومة الأنجولية الجبهة «فليك» بأنها «منظمة إرهابية»⁽⁹¹⁾، فتعرض الكابنديون للاستجواب أثناء تواجدهم في الحجز من جانب أفراد الجيش عن أسلحة «فليك»⁽⁹²⁾ وحكم خلال مايو 1981 علي ستة أشخاص بالإعدام وذلك بتهمة الانتماء إلى «فليك»، وتنفيذ تفجيرات ضد أهداف إستراتيجية واقتصادية ومدارس ومستشفيات في أنجولا، وحُكم علي أربعة آخرين بالسجن لمدة 24 عاماً لكل واحد، وهدأت الأمور قليلاً عام 1983 ووافقت «لواندا» علي عفو غير رسمي لمقاتلي الجبهة، وعاد أكثر من 8000 لاجئ إلى كابندا، أما في عام 1985 فقد وافقت كلاً من «كينشاسا» وأنجولا علي عدم السماح باستخدام أراضيها لمتبردي الطرف الآخر كقواعد لشن الهجمات، وفي فبراير من العام نفسه تم الاتفاق بين حكومة «مبلا» و «فليك» علي وقف إطلاق النار ولكن لم يتم التوصل إلي قرار رسمي⁽⁹³⁾ وتغير الحال عندما هددت الجبهة «فليك» في 20 ديسمبر 1991 بمهاجمة الطائرات الأنجولية التي تحلق في أجواء كابندا، في بيان توعد التخريب ضد المنشآت إذا لم يتم التوصل إلى حل لمشكلة كابندا، لاسيما أن نحو 20,000 من شباب كابندا تم ترحيلهم إلى «كوبا» للعمل في مزارع السكر كما ذكر البيان⁽⁹⁴⁾. وطالبت «فليك» بمناقشة قضية كابندا، لأن هذه القضية حساسة لتطلعات الشعب الكابندي، واستشهدت بمقولة لـ «ألبرت ستاين» Albert Styen القانوني البارز قال فيها: «... نحن لا نستطيع حل المشكلات باستخدام نفس النوع من التفكير ...»⁽⁹⁵⁾، وأشارت إلى «ميثاق باريس لأوروبا الجديدة» الصادر في «مؤتمر الأمن والتعاون» في أوروبا عام 1990 والذي جاء به «.. نحن نؤكد أن الهوية الأتنية والثقافية واللغوية والدينية للأقليات القومية سوف تكون محمية.. نحن نؤكد من جديد المساواة في الحقوق بين الشعوب وحققها في تقرير المصير وفقاً لميثاق الأمم المتحدة وقواعد القانون الدولي ذات الصلة، بما في ذلك تلك المتعلقة بالسلامة الإقليمية للدول...»⁽⁹⁶⁾، ومن ثم طالب الكابنديون المجتمع الدولي

أن يقف مرة واحدة للإنكار الصارخ للعدالة، والذي جعل كابندا وشعبها ضحية أنجولية ظهرت فيها السيادة مع القوة بدلاً من الحق القانوني، بحيث أنهم انكروا وجود عنوان أو سبيل قانوني يخول لأنجولا استملاك كابندا⁽⁹⁷⁾، والتي إن انفصلت سوف تحرم الأولى من الاحتياجات الأساسية⁽⁹⁸⁾، حيث إن أنجولا مثل أكثر الدول الإفريقية ليست إلا بناء كاذب أو تركيب خاطئ ConstructFalse ، تم تجميعها معاً في أواخر القرن التاسع عشر من سلسلة للمستعمرات البرتغالية على طول الساحل الجنوبي الغربي الإفريقي، نواتها الأساسية لواندا، بنجويلا، كابندا⁽⁹⁹⁾. وعلى أية حال، وفي إطار محاولتها الاستقلالية أصبحت كابندا عضواً في إحدى المنظمات التي عرفت بـ « منظمة الدول الناشئة الإفريقية» (Organization of Emerging African States (OAS مع أعضاء آخرين من خارج الأمم المتحدة مثل «بيافرا» و «جنوب الكاميرون» وغيرها، وحافظت على علاقة عمل غير رسمية مع جمهورية « الكونغو برافيل» والبرلمان الأوربي والمفوض السامي لشئون اللاجئين بالأمم المتحدة، كما حافظت على علاقات ثنائية وثيقة مع غيرها من الحكومات الإفريقية في المنفى، بل وحاولت إجراء مفاوضات دبلوماسية مع دول أوربية صغيرة بشأن الاعتراف بـ « كابندا المستقلة»⁽¹⁰⁰⁾. وجاءت نهاية الحرب الباردة مبشراً بحدوث تغييرات جذرية في شرق وجنوب شرق أوروبا، إذ أضحي حق تقرير المصير بموجب القانون الدولي بمثابة قابلة لولادة الدول القومية الجديدة، وهذه الأنواع من التغييرات لم تحدث فقط في أوروبا، ولم تكن قصراً عليها بل تجاوزتها إلى إفريقيا، حيث تلقي حق تقرير المصير قدراً كبيراً من الاهتمام خلال نهايات الثمانينات وبداية التسعينات، فكانت قصص النجاح والتي كان أبرزها «ناميبيا» التي نالت استقلالها عام 1990 بعد خضوعها لسنوات من الاحتلال والهيمنة لجنوب إفريقية⁽¹⁰¹⁾. وبغض النظر عن كل الحقائق التاريخية، هل يحق لأنجولا ضم كابندا؟ في حين أن الأخيرة هي المنطقة الصغيرة المكتفية ذاتياً والتي توصف بأنها متميزة عرقياً ولغوياً ومنفصلة جغرافياً عن أنجولا؟ إن ضم كابندا سيستمر يثير صعوبات كبيرة في المنطقة لاسيما أن ذلك الضم ضد رغبة الكابنديين⁽¹⁰²⁾. والدول الضعيفة غالباً ما تعتمد على «الحق في تقرير المصير» The Right to Self-determination لإدانة التدخل الأمبريالي، لأن التاريخ الاستعماري قد ترك إفريقيا بمثابة خليط من الولايات التي رسمها من أجل سهولة الإدارة الغربية لها، بدلاً من البحث عن الروابط العرقية المشروعة لتلك البلاد، الأمر الذي ولد التوترات الانفصالية والوحودية، بسبب أن الهويات معقدة ومسيسة من قبل الظروف مع اختلاف الحقوق حول الأراضي، إلى جانب الحكم المشوش المختلط، لذلك باتت إفريقيا تواجه العديد من المسائل القانونية والسياسية الصعبة الناجمة عن «الحق في تقرير المصير»⁽¹⁰³⁾. وأشارت «فليك» إلى عصر ما بعد الحرب الباردة؛ بوصفه مثل تحول تدريجي نحو فترة الحرمان من العدالة وعدم وجد تدابير يتخذها المجتمع الدولي تتعلق بحقوق الإنسان والقانون الدولي، وبصدد ذلك أدرك الكابنديون أهمية وجود الاتحاد السوفيتي كقوة عالمية تحقق التوازن، فخلال فترة الحرب الباردة سعت الديمقراطيات الغربية إلى احترام مبادئ القانون الدولي وحقوق الإنسان، لذلك انتاب البلدان الإفريقية القلق في عدم وجود الاتحاد السوفيتي المنافس الرئيس، حيث أن تلاشي ذلك المنافس من شأنه أن يترك فجوة هائلة في ميدان القانون الدولي ومن ثم سوف تتسع الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة⁽¹⁰⁴⁾. ورغم أهمية السجل التاريخي فإن كابندا في حاجة ماسة إلى مزيد من الحجج الملموسة من أجل إقناع

الأطراف الدولية بشرعية أهدافها وانفصالها، هذا مع العلم أن الحجج الأنجولية للضم بها الكثير من العيوب بينما حجج كابندا التاريخية هي الأقوى وعليها أن تروجها من أجل كسب الحكم الذاتي الإقليمي على الأقل⁽¹⁰⁵⁾.

لقد شكلت كابندا وحدة جغرافية متميزة ذات تاريخ يختلف عن تاريخ أنجولا، كما أنها لم تحصل على أي فائدة من عائدات النفط التي تتحكم في إنتاجها وأرباحها شركات أجنبية، ومع الاحترام للسلامة الإقليمية لدولة أنجولا يمكن أن يحاور الكابنديون لعدة أسباب حول تمسكهم بتقرير المصير ولماذا ينبغي أن يسود على أي اعتبارات تعويضية وذلك في ضوء: أولاً: أعطت الحرب الأهلية الطويلة في أنجولا صورة متكافئة لكلاً من «مبلا» و «يونيتا»، ومن ثم يمكن للكابنديين أن يجادلوا بشأن السيادة الأنجولية، إذ لم تؤسس بشكل شرعي واضح بعد الاستقلال بل أسستها القوة العسكرية وليست الديمقراطية.

ثانياً: لم تحترم أنجولا السلامة الإقليمية للآخرين كثيراً، وبالتالي لا ينبغي أن تتخذ مصطلح السلامة الإقليمية ذريعة ووسيلة ضد المطالب الكابندية لتقرير المصير والانفصال.

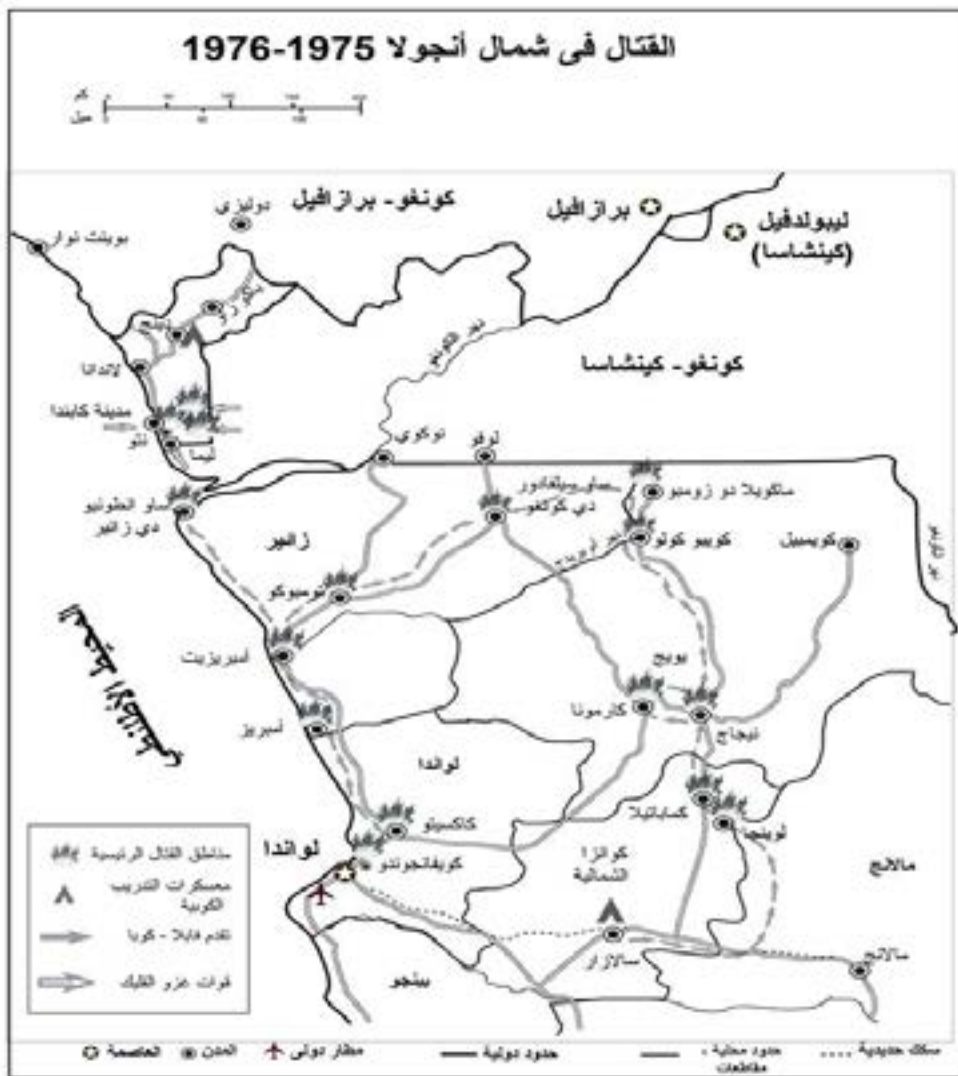
ثالثاً: تنتفي أي إمكانية حقيقية لمعالجة الركود السياسي الكابندي بتنشيطه من خلال المشاركة السياسية لممثلين كابنديين في المؤسسات السياسية في أنجولا وذلك لسببين؛ الأول: كانت العمليات السياسية الديمقراطية في أنجولا عملياً غير موجودة، والثاني: أن المجلس التشريعي الأنجولي لم يكن يقبل مشاركة الأحزاب السياسية دون حصولها على دعم أربع عشرة من أصل ثمان عشرة مقاطعة (محافظة) في أنجولا، وفي ظل سياسة «فليك» الانفصالية فإن فرصتها ضئيلة جداً في الحصول على الدعم من ثلاث عشرة محافظة خارج كابندا⁽¹⁰⁶⁾.

لقد خرجت «كابندا» من برائن الاستعمار البرتغالي إلى غياهب الاحتلال الأنجولي، وتم ذلك بدعم كوبي ومباركة سوفيتية، ويبدو أن الدافع والسبب لما حدث يتمثل في النفط الكابندي؛ إذ بمجرد وقوع الاحتلال الأنجولي بدأت «مبلا» توجه كل اهتمامها لقطاع النفط وتدعو الاستثمارات الأجنبية إلى كابندا.

خاتمة:

- قدمت أنجولا باحتلالها لجارتها الإفريقية «كابندا» نموذجاً لاحتلال إفريقيا إفريقي وليس احتلال أوربافريقي كما هو معتاد، في حين شكلت كابندا وحدة جغرافية متميزة ذات تاريخ يختلف عن تاريخ أنجولا.
- لعب «العلاء» دوراً كبيراً في الصراع بين الشرق والغرب؛ خلال التوسع ونقل الحرب الباردة إلى العالم الثالث، مستخدمين التنافس الغربالشرقي من أجل تحقيق مصالح محلية وإقليمية خاصة بهم من خلال التمويه وغيره من الوسائل، فخرجت «كابندا» من برائن الاستعمار البرتغالي إلى غياهب الاحتلال الأنجولي، وتم ذلك بدعم كوبي ومباركة سوفيتية، وفشلت كل من «زائير» و «الجمهورية» في تحرير «كابندا».

خريطة رقم (2)
القتال في شمال أنجولا 1975-1976



Source: Edward George: The Cuban Intervention In Angola 1965-1991, From the
.Guevara To CuitoCuanavale, London, 2005, P.84

الهوامش:

(1) تعددت أسماء كابندا مثل «ب. بورتوريكو» i.porto Rico، واسم «فيلا اميليا» vila Amelia، وكذلك مسمي «نجويو» N'goio، وأيضا «تشيوا» Tchowa المأخوذ من «Tchimuisi وهو اسم لحرورية البحر (عروس البحر) أطلقه الأجداد الذين عاشوا علي مشارف البلد، كما حملت أيضا مسمي «الكونغو البرتغاليه» Portuguese congo، بل وحملت أيضا مسمي «كونغو» Congo، ويرجع أصل اسم كابندا إلى مقطعين هما: «مبيندا» Mbilda و«نفوكا» Nfuka وهما معا يشكلان «مافوكابندا» Mafukambinda وهما أول الأفراد اللذان أسسا نظام الملاحة الأوربية وعقدا اتصالات مع المملكة «نجويو» التي قامت على قواعدها كابندا فيما بعد، وقد أطلق الأوربيون اسم كابندا على مجموعة من القرى الواقعة علي الخليج، والتي تشكلت شمال مصب نهر الكونغو وعرفت بـ «جنة الساحل» باعتبارها أفضل مرسى بين «الجابون» Gabon و«لواندا» Luanda، حيث تتوقف فيه السفن لتحصل علي المياه العذبة وخشب الوقود والبنود (المخصصات) وكذلك للتجارة. انظر:

- Phyllis M. Martin: Family Strategies In Nineteenth – Century Cabinda, The Journal Of African History, Vol.28, No.1, 1987, P.66.

(2) William D, Smith: Cabinda, Happiness Is Offshore Oil, Cabinda Offshore Oil Sings A Happy Song, New York Times, Jan 12, 1969,p.2.

(3) Jeremy Wells: Cabinda & Somliland, A Comperative Study For Statehood & Indepence, Conference Proceodings, African On Global Stage, 2003, P.5.

(4) ومع بواكير عام 1975 دُعي ممثلين عن حركات التحرر الأنجولية لمدينة «ألفور» في جنوب البرتغال، وذلك للتفاوض على الاستقلال، ولم توجه الدعوة للجهة «فليك»، وحازت كابندا نصيب الأسد في بنود الاتفاقية؛

(5) لأنها قررت مصيرها خلال السنوات التي تلت الاتفاقية، فقد جاء في المادة الثالثة من الفصل الأول بها: «.. تمثل أنجولا كياناً متحداً لا يتجزأ داخل حدودها الجغرافية والسياسية الحالية، وفي هذا السياق تُعد كابندا جزءاً لا يتجزأ من الأرض الأنجولية ...»

راجع نص الاتفاقية:

(6) Alvor agreement on the independence of Angola, Alvor , 15 January 1975, P.1

(7) تكونت الحركة «مبلا» فقد من بعض التنظيمات السرية التي انتشرت في «لواندا» في بداية الخمسينات علي أثر مؤتمر عُقد في ديسمبر 1956 بهدف تكوين جبهة تحرير موحدة، وكان أهم هذه التنظيمات «حركة الاستقلال الوطني لأنجولا»، و«حزب النضال المتحد للأنجوليين الإفريقيين». انظر:

(8) -محسن عوض: أنجولا من الثورة إلى الاستقلال، كتب إفريقية 3، القاهرة، 1979، ص 67.

(9) Elizabeth M.JamilahKoné : the right of Self-determination in the Angola Enclave of

Cabinda ,paper presented at the sixth Annual African studiesconsortium workshop, October 2, 1998,p.30.

(10) محسن عوض : المرجع السابق، ص 70.

(11) Elizabeth M. JamilahKone: op. cit.,p.30.

(12)Phayllis M. Martin : the Cabinda connection, an historical perspective , African Affairs, vol.76, No. 203, Jan 1977, P.57.

(13) ولد في سبتمبر 1922 في «أنجولا» بـأنجولا، وأكمل تعليمه الثانوي في «لواندا» العاصمة، وأنشأ بين عامي 1944 - 1947 جمعيات ثقافية في «لواندا»، بينما كان يعمل موظفاً بوزارة الصحة، وفي عام 1947 التحق بجامعة «مومبرا» بالبرتغال لدراسة الطب، وقد انخرط في حركة الشباب البرتغالي عام 1955، و عاد إلى أنجولا عام 1959 لبدء عمله السياسي، فتولى رئاسة الجبهة «مبلا»، ثم رئاسة أنجولا بعد استيلاء «مبلا» على زمام الحكم في «أنجولا». انظر: - خديجة صفوت : ستار الصمت حول إفريقيا البرتغالية، الخرطوم، 1962، ص 128 .

(14) محسن عوض : المرجع السابق ، ص70.

(15) ولد عام 1925 في مدينة «بان سلفادور» في شمال أنجولا، وتلقى تعليمه الثانوي في الكونغو (البلجيكي) والتحق بالعمل في وزارة المالية في «ليوبولدفيل» و«يوكانو»، وشكل بالاشتراك مع ستة من أصدقائه حزب«اتحاد عموم شعب أنجولا»، وقد التقى بـ « كوامنكروما » و « باتريس لومومبا» Patrice Lumumba في «أكرا» ونشأت بينه وبينهما صداقة وثيقة. انظر:

(16) - خديجة صفوت: المرجع السابق، ص129.

(17) محمد محسن محمد: أنجولا ، دراسة في الجغرافية السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، 1974، ص124.

(18) James Garrett ,AgostinhoNeto : The Lesson Of Angola, An Eyewitness Report , The Third World ,Vol.7, No.9 June 1976 P.6.

(19) memorandum, MPLA, Nairobi, le 26 fevrier 1965,pp.3,4-

(20) محسن عوض: المرجع السابق ، ص 71.

(21) -Alan Neff : Cabinda,Angola, Angola's Forgotten War, ICE Case Studeits, Number 129, 2004,,p.1. -

(22) - وللمزيد راجع:- Brock Lyle: blood for oil , secession ,self-determination, and superpower silence in cabinda , Global studies Law Review,Volum4,Issue3 centennial universal congress of Lōwyers conference, Washington,2005, ,P.715

(23) ()- Front For The Liberation Of The Enclave Of Cabinda (FLEC),At: [http: // www.Globalsecu - rity.Org /Military /World/ Para / FLEC.htm](http://www.Globalsecu-rity.Org /Military /World/ Para / FLEC.htm).

(24) - Edward George :The Cuban Intervention In Angola 19651991 -,From che Guevara To CuitoCuanavale, London, 2005 , P. 3.

(25) «مستيكو» هو مصطلح استعماري أسباني وبرتغالي، كان مستعملاً في الإمبراطوريتين الأسبانية والبرتغالية في أمريكا اللاتينية للإشارة إلى الناس المنبوذين المُخْلَطِينَ من أسلافٍ أوروبية وهندية أمريكية، والكلمة مشتقة من العربية مزيغ (من الفعل مَزَجَ) ومن اللاتينية ميكستيساوي ممتزج، وفي اللغة البرتغالية والفرنسية تستخدم الكلمتان كابوكلو، ميتس في== إمبراطورياتهم لتحديد الأشخاص من أسلاف السكان الأصليين المخلوطين مع الأوروبيين. انظر: معجم الفردوس، الجزء الأول (مقدمة الفردوس: مغامرات اللغة العربية وجهادها عبر التاريخ)، الفصل الثالث: (العنصرية بين لغتين - عرض ونقد) ص-75 0125

(26) Phyllis M.Martin : op.cit.,P.57 .

(27) يعتبر «إرنستوتشي جيفارا Ernesto Che Guevara السبب الرئيس وراء ذلك التحالف، عندما قرر المغامرة في إفريقيا عام 1965، ليقدم علمه وخبرته بوصفه خبير في حرب العصابات، إذ اعتقد أن إفريقيا== هي الحلقة الضعيفة للإمبريالية، وبالتالي قد تنطوي على إمكانات هائلة للثورة، وعليه قاد «جيفارا» عملية الدعم الكوبي للحركات التحريرية في إفريقيا. انظر:

(28) - Edward George:op.cit.,p1.

(29) ولد في 5 فبراير 1939 في «سان كويرينو» San Quirino بكوبا، وحصل على بكالوريوس في العلوم الاجتماعية عام 1987، ثم دخل معترك العمل السياسي وانضم إلى الجيش الكوبي ليأخذ مكانه بعد ذلك== كجنرال في الجيش، خرج لرئاسة بعثة كوبية إلى «برازيل» هدفها دعم الحركة «مبلا». متاح: http://www.granma.cu/granmad/secciones/50_granma-80_fidel/secretos_de_generales/art08.html

(30) ولد في 29 يوليو بمحافظة «كوانزا نورت» بأنجولا، وانضم إلى الجبهة «مبلا» في سن مبكرة، لكن سرعان ما لقي حتفه يوم 14 أبريل 1968 عن عمر ناهز الـ26 عام، عندما كان يقود هجوماً للمتمردين على مقر للقوات الاستعمارية البرتغالية في مقاطعة «مكسيكو»، فاعتبره الأنجوليون بطلاً قومياً، وبات يحتفل بيوم وفاته تحت مسمى «يوم الشباب الأنجولي». راجع موقع الجبهة:

(31) <http://www.mpla.ao/jmpla.39/hoji-ya-henda.43.html>

(32) ولد في ٢١ سبتمبر ١٩٠٩، وتخرج فدار المعلمين في «أكرا» ، ثم التحق في ١٩٣٥ بجامعة لنكولن بأمريكا، وفي ١٩٤٥ التحق بمدرسة الاقتصاد في لندن، ونشط في العمل الطلابي أثناء وجوده في أمريكا وبريطانيا، ثم عاد إلى ساحل الذهب (غاناسابا) في أواخر ١٩٤٧، وأصبح أميناً عاماً لمؤتمر «شاطئ الذهب الموحد»، وبدأ النضال لأجل الاستقلال وتعرض للاعتقال في ١٩٤٨ وترك المؤتمر وأسس صحيفة «أخبار المساء» وفي أواسط ١٩٤٩ أسس حزب «المؤتمر الشعبي لتحقيق الحكم الذاتي»، وفي أوائل ١٩٥٠ اعتقل مجدداً بعد سلسلة من الإضرابات وحكم عليه بالسجن، ولكن فاز== حزبه بالانتخابات البلدية والعامية في الانتخابات بأثرية كاسحة، فأطلق سراحه وتولى رئاسة الوزراء في مارس ١٩٥٢، وفي ٦ مارس ١٩٥٧ أعلن استقلال ساحل الذهب تحت اسم

غانا وفي ١٩٦٠ أقر دستور غانا وانتخب أول رئيس لها وأعيد انتخابه عام ١٩٦٥، وبسبب تصرفات حزبه السلطوية انقلبت عليه مجموعة من الضباط أثناء سفره لفيتنام فالتجأ إلى غينيا، ودعا الغانيين للتمرد بدون جدوى، وبعد انقلاب ١٩٧١ بدأ الشعب يتقبل فكرة عودة مؤسس الدولة، وكان الموت أسرع حيث توفي في رومانيا في ٢٧ إبريل ١٩٧٢. انظر - ماهر حسن: وفاة الزعيم الغاننكروما، جريدة المصري اليوم، 27-4-2013.

(33) - Edward George: op.cit., pp.2830-.

(34) 27 () راجع نص البيان:

(35) - Mouvement populaire de liberation de l'Angola, m.p.l.a., B.p.2353, Brazzaville, delegation permanente du MplA en AL Gerie, Alger, 12.5.65.p.1.

(36) Edward George: op.cit, p. 288.

(37) محسن عوض: : المرجع السابق ، ص 71، 70.

(38) Edward George: op.cit, p. 288.

(39) Edward George: op.cit.: pp. 2830-.

(40) عندما حصلت روديسيا الشمالية على استقلالها باسم «زامبيا» في أكتوبر 1964، تدعمت آمال «مبلا» في تحقيق هذا الهدف من خلال التحرك من «زامبيا» التي تتاخم حدودها شرق أنجولا، ورغم أن شعوب المنطقة الشرقية ينتشرون في مساحة واسعة بعيداً عن وسط وغرب المستعمرة إلا أن الأراضي الشرقية كان في إمكانها أن تتيح للحركة قاعدة داخلية وطريقاً للوسط والغرب، وكانت فكرة فتح الجبهة الشرقية تخامر الحركة منذ أن حصلت على تأييد حكومة «تنزانيا» بعد استقلالها وافتتاح مكتب لها في «دار السلام» عام 1964، ورغم تقدير صعوبة نقل الإمدادات للداخل والتي جعلت البعض يعتقد باستحالة تنفيذ هذه الفكرة، إلا أن دكتور «نيتو» لم ييأس وواصل العمل على افتتاح هذه الجبهة باعتبارها السبيل==الوحيد الذي يتيح وجوداً حقيقياً وفعالاً للحركة، وتعرضت محاولات إنشاء الجبهة الشرقية إلى عدة نكسات؛ حيث اعتقلت أول بعثة أوفدتها الحركة للمرور من روديسيا الشمالية في «لوساكا» في سبتمبر 1964، وحكم=على أعضائها بالأشغال الشاقة لمدة أربعة أشهر لحيازتهم أسلحة، ولكن من حسن الحظ سرعان ما تغيرت هذه الحكومة بحصول «زامبيا» على استقلالها بعد شهر واحد من هذه الحادثة. انظر - محسن عوض : المرجع السابق، ص 71، 72.

(41) Phyllis M.Martin : op.cit.,P.57 .-

(42) New York Time, December 22, 1975.

(43) عبد الملك عودة : أنجولا بعد الاستقلال مساحة للمواجهات الدولية والنزاعات القبلية والصراع الوطني والاجتماعي في قلب القارة الإفريقية، الأهرام، العدد 32436، 9 يناير 1976، ص 5

(44) Edward George: Op.Cit .,P.34 -

(45) -Shannon Rac Butler: INTO the storm, American covert involvement in the Angolan

- civil war 1974- 1975, a dissertation submitted to the faculty of the department of history in partial fulfillment of the requirement for the degree of P.H.D, the university of Arizona, London, 2008 p. 320.
- (46) David B : Many Covet Cabinda and its Oil, The Washington Post, 17 Jul, 1975.
- (47) الأهرام، تجدد القتال في لواندا، العدد 32381، 1975/8/7، ص3.
- (48) - Shannon Rac Butler: op.cit., p.501.
- (49) Cabinda opposes ties with Angola, but it also 'has few guns And Little Desire for, New York Times (1923-Current file), Aug 31, 1975;
- (50) Edward George : op.cit., PP. 11,12
- (51) وُلِد «ثرياولد فيدل كاسترو» عام 1926 لعائلة ثرية، وفي عام 1953 حمل السلاح ضد الرئيس «فالغنسيوباتيستا» على رأس مجموعة مكوّنة من حوالي 100 من أتباعه، إلا أن محاولته أُحبطت، وسجن مع شقيقه «راؤول»، وبعد عامين صدر عفو عن «كاسترو» الذي شكل قوة مقاتلة عرفت بـ «حركة 26 يوليو/تموز» وواصل حملته لإنهاء حكم «باتيستا» من المنفى في المكسيك، وتمكنت قواته فيعام 1959 من الإطاحة بنظام «باتيستا» الذي أصبح رمزاً للفساد وتسلم هو سدة الحكم في البلاد، وحوّل كاسترو «كوبا» إلى النظام الشيوعي لتصبح أول بلد تعتنق الشيوعية في العالم الغربي، ولم تكذ الولايات المتحدة تعترف بالحكومة الكوبية الجديدة حتى تدهورت العلاقات بين واشنطن وهافانا بسبب تأميم «كاسترو» الشركات الأمريكية العاملة في كوبا، ومن ثم حاولت الولايات المتحدة إسقاط الحكومة الكوبية في أبريل عام 1961، إلا أنها فشلت في ذلك وبالتالي استقرت حكومة كاسترو . انظر :بببسعري ، نبذة عن الزعيم الكوبي فيدل كاسترو ، متاح :
- (52) http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2012121012/10/_fidel_castro_obituary.shtml
- (53) 44 (-) -The official website of Cabinda free state, At:<http://www.Cabinda.net>.
- (54) ولد في 25 مارس 1939 في «لاس فيلاس» بكوبا، وشارك في الثورة الكوبية ،ليصبح عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الكوبي، ومعانتصار الثورة أصبح قائداً لمجموعة من الأممين الكوبيين الذين وصلوا الى كابنداعام 1975 وقد شغل من بين أمور أخرى المناصب التالية: رئيس كتية المشاة، ضابط أول ونائب رئيس قسم العمليات في مديرية العمليات في هيئة الأركان العامة، رئيس أركان الوحدة العسكرية 3234 من الجيش الغربي، نائب الرئيس الأول للجيش الشرقي، قائد الجيش الشرقي منذ عام 1982 حتى عام 2008. راجع http://www.pcc.cu/eo_b_jose_espinosa_martin.php
- (55) - Edward George: op.cit., p.291.
- (56) سلوى محمد ليبب: الجذور التاريخية للصراع، الأهرام، العدد 32476، 1975/11/10، ص5.

- (57) Edward George: op.cit., p.67.
- (58) Shannon Rac Butler: op.cit., p. 424.
- (59) op.cit.- Cabinda opposes ties with Angola,
- (60) Shannon Rac Butler: op.cit, p. 433.
- (61) مجدي حماد : زائير في مواجهة الحرب الساخنة , السياسة الدولية، العدد49، 1977، ص83 .
- (62) Shannon RacButler: op.cit, p. 424.
- (63) Daniel Spikes: Angola and the politics of intervention, from Local Bush war to chronic crisis in southern Africa, London,1993,p.241.
- (64) حملت «كارلوتا» - وهى امرأة من الرقيق - «المنجل» لقيادة انتفاضة العبيد عام 1843 فى سهل «ماتانزاس» Matanzas بـ «هافانا»، إذ كان ذلك السهل يمثل مركز تجارى كبير للرقيق، كما انتشرت به زراعة وصناعة قصب السكر، غير أن تلك الانتفاضة التى كان منشأها طاحونة السكر Triumvirat قمعت بدعم امريكأاسبانى لـ «كوبا» وقتلت «كارلوتا» وقطعت إرباً، ويمكن للزوار رؤية بقايا هذه الطاحونة ومشاهدة النصب التذكارى لتمرد «كارلوتا».
- ولمزيد من التفاصيل انظر:
- (65) -Marta Rojas : Cuban mission named after leader of 1843 slave revolt ,the Militant, Vol.70,No.5 ,February 6,2006.pp.1,2.
- (66) The official website of Cabinda free state, A:http://www.Cabinda.net.
- (67) Shannon Rac Butler: op.cit, p. 303.
- (68) Edward George: op.cit, pp.82- 84.
- (69) سلوى محمد لبيب:المرجع السابق، ص 5 0
- (70) انظر خريطة رقم (2).
- (71) – Edward George: op.cit.,p.86.
- (72) سلوى محمد لبيب:المرجع السابق، ص 5 0
- وانظر أيضاً: خريطة رقم (2).
- (73) William D. Smith: Cabinda, happiness is offshore oil, Cabinda offshore oil sings a happy song, New York times, Jan12, 1969, p. f-1.
- (74) محسن عوض : المرجع السابق ، ص116، 117 .
- (75) حلمى شعراوي: أنجولا .. الثورة وأبعادها الإفريقية ، بغداد، 1987، ص64.
- (76) – The official website of Cabinda free state, At:http://www.Cabinda.net.
- (77) – Edward George: op.cit., p. 86.
- (78) – The official website of Cabinda free state, At:http://www.Cabinda.net.
- (79) –Edward George:op.cit., p. 87.

- (80) 70 ()- W.Martin James III: Apolitical History Of The Civil War In Angola 1974-1990, Washington, 2011,P.1
- (81) The official website of Cabinda free state, At:<http://www.Cabinda.net>.
- (82) Edward George: op.cit., pp. 124,125.
- (83) Cabinda ,At:<http://Www.GlobalSecurity.Org/Military/World/War/Cabinda.htm> .-
- (84) Caryle Murphy Special:Cabinda rebels harass Angola ,the Washingtonpost ,Apr 20, 1976,p.A10.
- (85) The Cabinda Net Work, The National Council of the people of Cabinda (Nkoto-Likana),op.cit.
- (86) Alan Neff: op.cit., p. 1.
- (87) The Cabinda Net Work, Cabinda, At: <http://www.Cabinda.styrocks.com/3127880608-cabinda.htm>.
- (88) Commite for action and aod to Cabinda refugees, Cabinda the tragedy of its people At: <http://www.cabinda.net/20htm>.
- (89) Alan Neff: : op.cit.,p.2.
- (90) Edward George: op.cit, p. 3.
- (91) Cabinda, At: <http://www.globalsecurity.org/military/world/war/cabinda.htm>.
- (92) Elizabeth M.JamilahKoné: op.cit., p. 15.
- (93) James Brooke: in Angola Province Gulf Blends Politics and Oil, New York Times, Jan5, 1985, p. 27. .
- (94) David Birmingham: front line nationalism in Angola& Mozambique, London, 1992, p.37.
- (95) Human Rights Watch: Angola Unravels The Rise and Fall of The Lusaka Pease Process, New York, 1999, p.41.
- (96) Caryle Murphy Special: Op.Cit.,p.A10.
- (97) Elizabeth M. JamilahKone: op.cit.,p.32
- (98) A Cabinda Ambush and Angolan Relations with China, STRAT FOR, November 12, 2010..
- (99) International Criminal Court , the case for trail of the MPLA regima and of the dictator Jose Edurado Dos santos in the nague, the February 2011, Seat of the international criminal court. Hague, nether, ands.
- (100) The Official website of Cabinda free state, At:<http://www.Cabinda.net>.

- (101) Human Rights Watch: Briefing to the union international des avocats regarding the detention of the lawyer Francisco Luemba in Cabinda, Angola, April 8, 2010, p.2.
- (102) Human Rights committee country report: Angola, July 2012, p.6.
- (103) Center for international development and conflict management: Chorology for Cabinda in Angola, 2117 Chincoteague Hall University of Maryland, July 16, 2010.
- (104) BBC, Southern Africa in brief, Angola Cabinda rebels threaten to attack civilian aircraft, BBC summary of world Broadcasts, December 24, 1991, Tuesday.
- (105) The National Council of The People of Cabinda (Nkoto – Likanda), At: <http://www.unpo.org/images/members/cabinda/cabinda-ogmarchog.pdf>.
- (106) The official website of Cabinda free state, At: <http://www.Cabinda.net>.
- (107) Bartolomeu Capita: op.cit, pp. 14, 15.
- (108) theCabinda network, Federal Republic of Cabinda, The Independence of Cabinda, at: <http://www.cabinda.net/Cabinda-1.htm>.
- (109) Edward George: op.cit., p.6.
- (110) Cabinda News, Official Government News, Cabinda History and Current International Legal Status, 232013-1-.
- (111) Elizabeth M. JamilahKone: op.cit., p.1.
- (112) - ولمزيد من التفاصيل حول مشكلة ناميبيا، راجع:
- (113) - إبراهيم نصر الدين: ناميبيا قضية الاستقلال الصعب، القاهرة، 1985، ص 83-141.
- (114) The Cabinda Network, federal republic of Cabinda, The Independence of Cabinda, At: <http://www.cabinda.net/cabinda-1.htm>.
- (115) Carles Jan Denhez: op.cit., p.36.
- (116) راجع الوثيقة التي بعثت بها «الحركة الوطنية لكابندا» إلى الأمم المتحدة:
- (117) - Cabindan National Movement, The United Nations C-24 Should Accept its legal Responsibility as Regards “Cabinda” / MNC/15- February- 2012, p.3.
- (118) Carles Jan Denhez: op.cit., p.41.
- (119) Elizabeth M. JamilahKone: op.cit, p.6.

المصادر والمراجع:

أولاً- وثائق غير منشورة:

وثائق أجنبية:

- (1) - Mouvement populaire de liberation de l'Angola, m.p.l.a., B.p.2353, Brazzaville, delegation permanente du MPLA en AL Gerie, Alger, 12.5.65.
- (2) memorandum, MPLA, Nairobi, le 26 fevrier 1965.-
- (3) ثانياً- وثائق منشورة:
- (4) وثائق أجنبية:
- (5) - Alvor agreement on the independence of Angola, Alvor , 15 January 1975.
- (6) - Cabindan National Movement, The United Nations C-24 Should Accept its legal Responsibility as Regards "Cabinda" / MNC/15- February- 2012.

(7) ثالثاً- مراجع عربية:

- (8) - خديجة صفوت : ستار الصمت حول إفريقيا البرتغالية، الخرطوم، 1962.
- (9) - محسن عوض: أنجولا من الثورة إلى الاستقلال، كتب إفريقية 3، القاهرة ، 1979.
- (10) - معجم الفردوس، الجزء الأول (مقدمة الفردوس: مغامرات اللغة العربية وجهادها عبر التاريخ)، الفصل الثالث: (العنصرية بين لغتين - عرض ونقد).
- رابعاً- مراجع أجنبية:
- (11) - Edward George :The Cuban Intervention In Angola 1965-1991, From che Guevara To CuitoCuanavale, London, 2005 .
- (12) - W.Martin James III: Apolitical History Of The Civil War In Angola 1974- 1990, Washington, 2011.
- (13) - Daniel Spikes: Angola and the politics of intervention, from Local Bush war to chronic crisis in southern Africa, London, 1993.

(41) خامساً- دوريات عربية:

- (15) - الأهرام، تجدد القتال في لواندا، العدد 18323، 5791/8/7.
- (16) - الأهرام، زائر تنفى اتهامات أنجولا بغزو أراضيها، العدد 44333، 8791/3/72.
- (17) - حلمشعراوى: أنجولا .. الثورة وأبعادها الإفريقية ، بغداد، 7891.
- (18) - سلوى محمد لبيب: الجذور التاريخية للصراع، الأهرام، العدد 67423، 5791/11/01.
- (19) - عبد الملك عودة : أنجولا بعد الاستقلال مساحة للمواجهات الدولية والنزاعات القبلية والصراع الوطني والاجتماعي في قلب القارة الإفريقية، الأهرام، العدد 63423، 9 يناير 6791.
- (20) - ماهر حسن: وفاة الزعيم الغاننكروما، جريدة المصرى اليوم، 3102-4-72.
- (21) - مجدى حماد : زائر في مواجهة الحرب الساخنة ، السياسة الدولية، العدد 94، 7791.

سادسا- دوريات اجنبية:

- (22) - Cabinda opposes ties with Angola, but it also 'has few guns And Little Desire for, New York Times (1923-Current file), Aug 31, 1975.
- (23) - Caryle Murphy Special:Cabinda rebels harass Angola ,the Washingtonpost ,Apr 20, 1976.
- (24) - David B : Many Covet Cabinda and its Oil, The Washington Post, 17 Jul, 1975.
- (25) - David Birmingham: front line nationalism in Angola& Mozambique, London, 1992.
- (26) - Elizabeth M.JamilahKoné : the right of Self-determination in the Angola Enclave of Cabinda ,paper presented at the sixth Annual African studiesconsortium workshop, October 2, 1998.
- (27) - Human Rights committee country report: Angola, July 2012.
- (28) - Human Rights Watch: Angola Unravels The Rise and Fall of The Lusaka Pease Process, New York, 1999.
- (29) - Human Rights Watch: Briefing to the union international des avocats regarding the detention of the lawyer Francisco luemba in Cabinda, Angola, April 8, 2010.
- (30) - James Brooke: in Angola Province Gulf Blends Politics and Oil, New York Times, Jan5, 1985.
- (31) - James Garrett ,AgostinhoNeto : The Lessone Of Angola, An Eyewitness Report , The Third World ,Vol.7, No.9 June 1976.
- (32) - New York Time, December 22, 1975.
- (33) - Phayllis M. Martin : the Cabinda connection, an historical perspective , African Affairs, vol.76, No. 203, Jan 1977.
- (34) - William D. Smith: Cabinda, happiness is offshore oil, Cabinda offshore oil sings a happy song, New York times, Jan12, 1969.
- (35) - Brock Lyle: blood for oil , secession ,self-determination, and superpower silence in cabinda , Global studies Law Review,Volum4,Issue3 centennial universal congress of Lawyrs conference,Washington,2005.
- (36) -Alan Neff : Cabinda,Angola, Angola's Forgetten War, ICE Case Studeits, Number 129, 2004. -
- (37) Marta Rojas : Cuban mission named after leader of 1843 slave revolt ,the Militant, Vol.70,No.5 ,February 6,2006.

سابعاً- الرسائل الجامعية:

رسائل بلغة عربية:

- (38) - محمد محسن محمد: أنجولا ، دراسة في الجغرافية السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، 4791.

رسائل بلغة أجنبية:

Shannon Rac Butler: INTO the storm, American covert involvement in the Angolan- (39)
civil war 1974- 1975, a dissertation submitted to the faculty of the department of
history in partial fulfillment of the requirement for the degree of P.H.D, the university
.of Arizona, London, 2008

ثامناً - أخرى others:

BBC, Southern Africa in brief, Angola Cabinda rebels threaten to attack civilian - (40)
.aircraft, BBC summary of world Broadcasts, December 24, 1991, Tuesday

Cabinda News, Official Government News, Cabinda History and Current - (41)
.2013-1-International Legal Status, 23

International Criminal Court , the case for trail of the MPLA regima and of - (42)
the dictator Jose Edurado Dos santos in the nague, the February 2011, Seat of the
.international criminal court. Hague, nether, ands

Center for international development and conflict management: Chorology for (43)
.Cabinda in Angola, 2117 Chincoteague Hall University of Maryland, July16, 2010

تاسعاً - شبكة المعلومات الدولية:

Commite for action and aod to Cabinda refugees, Cabinda the tragedy of its people - (44)
.At:<http://www.cabinda.net/20htm>

Front For The Liberation Of The Enclave Of Cabinda (FLEC),At: [http:// www.](http://www.) - (45)
.Globalsecu - rity.Org /Military /World/ Para / FLEC.htm

The Cabinda Net Work, Cabinda, At: <http://www.Cabinda.styrocks.com> - (46)
.3127880608-cabinda.htm

The National Council of The People of Cabinda (Nkoto - Likanda), At: <http://www.> - (47)
.unpo.org/images/members/cabinda/cabinda-ogmarchog.pdf

.The official website of Cabinda free state, A:<http://www.Cabinda.net> - (48)

. Cabinda ,At:<http://www.GlobalSecurity.Org/Military/World/War/Cabinda.htm> (49)

(50) http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2012121012/10/fidel_castro_obituary.shtml
[http://www.granma.cu/granmad/secciones/50_granma-80_fidel/secretos_de_](http://www.granma.cu/granmad/secciones/50_granma-80_fidel/secretos_de_generales/art08.html) (51)
[generales/art08.html](http://www.granma.cu/granmad/secciones/50_granma-80_fidel/secretos_de_generales/art08.html)

-<http://www.mpla.ao/jmpla.39/hoji-ya-henda.43.html> (52)

http://www.pcc.cu/eo_b_jose_espinosa_martin.php (53)

.The official website of Cabinda free state, At:<http://www.Cabinda.net>- (54)

أبو مسلم الخراساني (دراسة تحليلية) (100 – 137هـ / 718 – 755)

كلية التربية - جامعة الدنجل

د. حامد إبراهيم الاحيدب قادم

المستخلص:

تناولت الدراسة أبو مسلم الخراساني (دراسة تحليلية)، وهدفت هذه الدراسة إلى التعرف على شخصية أبو مسلم الخراساني، ووبداية انضمامه إلى ثورة العباسيين وقيادته لها في خراسان ، وكذلك الوقوف على إسهاماته في نجاح الثورة العباسية، ومن ثم انقلاب العباسيين وسخطهم عليه وتخلصهم منه. وقد اتبع الباحث منهج البحث التاريخي الوصفي والتحليلي والإستقرائي في عرض وتحليل المعلومات التي جمعت من المصادر والمراجع. وخلصت الدراسة إلى أن أبو مسلم الخراساني له الدور الأعظم في نجاح ثورة العباسيين، وتقديراً لذلك تقلد إدارة إقليم خراسان، وأن كل إسهاماته في نجاح ثورة العباسيين لم تشفع له فانقلبوا عليه وقتلوه، وأن تلك السمة ظلت ملازمة للخلفاء العباسيين في العصر العباسي الأول.

الكلمات المفتاحية: الخراساني ، العباسية ، الثورة ، الأمويين.

Abu Muslim Al Khurasani (analytical study)

Hamid Ibrahim El ehadib Gadim

Abstract:

The study dealt with Abu Muslim Al Kharasani (analyeic study . The study aimed at projecting the character of Abu Muslim alKhorsani and his joining the Abaside revolution together with his rules in the success of the revolution . Then they overturned and got ride of him. The researcher adopted the historical , descriptive and analytical approach in analyzing and displaying the data collected from the sources and references . The study came to the fact that Abu Muslim had the greater role in the success of the Abaside revolution did save him. They turned against him and killed him .Killing had became part of the AbasideKhaliffes in first era of their rule.

Al Kharasani، Abaside ، the revolution ، the Umayyad key words:

مقدمة:

ظهرت طوائف عديدة من المجتمع الإسلامي مناهضة لحكم الأمويين، حمل بعضها السلاح وأعلن العصيان، وعارض بعضها بفكره ورأيه، فكانت معارضة العباسيين هي أقوى وأخطر أشكال المعارضة للحكم الأموي، فبثوا دعائهم في العراق وخراسان وعدد من الأقاليم ونجحوا في استقطاب العديد من العناصر الإسلامية، وتصدرت العناصر الفارسية قائمة العناصر الموالية للعباسيين في حركتهم ضد الأمويين، فشكّلوا عماد الجيش العباسي المعارض بل تولوا قيادته بعد أن ظهرت شخصيات فارسية قوية اعتمد عليها العباسيون بنسبة كبيرة في تحقيق هدفهم، ومن أولئك القادة ظهرت شخصية أبو مسلم الخراساني الذي نال ثقة العباسيين وتولى قيادة الجيوش التي أشعلت شرارة الثورة العسكرية ضد بني أمية، واستطاع أبو مسلم أن يحقق نجاح منقطع النظير بعد أن أخضع بجيشه أقاليم خراسان والري وطبرستان والجبل وأخيراً إقليم العراق الذي أصبح مقراً للعباسيين بعد قيام دولتهم. وبعد قيام الدولة العباسية وتثبيت أركان حكمهم أولوا العناصر اهتماماً كبيراً تقديراً لجهودهم وتضحياتهم فتولى أبو سلمة الخراساني الوزارة، وتولى أبو مسلم الخراساني إقليم خراسان. غير أن الرضا والقبول الذي وجده أبو مسلم من العباسيين لم يدم طويلاً فانقلبوا عليه لعدة أسباب وتخلصوا منه.

نشأة أبي مسلم وصفاته :

وُلد أبو مسلم الخراساني في مدينة أصفهان سنة (100هـ / 718م)، واسمه إبراهيم بن عثمان، وقد أرسله والده إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين، ونشأ بها، ويكنى بأبي اسحق، وعُرف

بأبي مسلم ، وقيل أن السبب في هذه التسمية أن إبراهيم الإمام طلب منه تغيير اسمه ، بعد ما توسم الخير فيه ، لما كونه سيكون له دور فعال في ما ينوي العزم به من الدعوة لبني العباس.⁽¹⁾ وكان أبو مسلم قصير القامة ، أسمر اللون ، جميل الوجه ، أحور العين ، عريض الجبهة ، وافر اللحية ، خافض الصوت ، صاحب فصاحة باللغتين العربية والفارسية ، وهو شاعر وعالم بالأمور ، وجاء في سيرته إنه لم يُرَ ضاحكاً أو مازحاً إلا في وقته ولزومه ، وهو ذو منطق حلو ، يغلب على سلوكه الهدوء ، فلا يغضب في شيء من أحواله ، فلا يظهر على شخصيته الفرح مهما كان السبب ، ولا الحزن مهما كانت المصائب ، حيث تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه السرور ، وتنزل عليه الحوادث الفادحة فلا يُرى مكتئباً ، وكان ذا هيبة وصرامة ، وإقدام وتسرع.⁽²⁾ ورُوي أن أبا مسلم كان من المهتمين بالعلم ، وكان يطلبه في عدة مجالس ، حتى أن أحد المعاصرين له روى أنه كان يطلب العلم فلم يأت مجلساً إلا وجد أبا مسلم قد سبقه إليه ، ومن أهم مميزات شخصية أبي مسلم الخراساني الصبر ، الذي ساعده على تحدي المصائب ، وتخطي العراقيل ، ورُوي أنه كان يعتز بصبره وجلده ، وكان كثير الغيرة ، شديد البطش ، ذو شجاعة ورأي ، وهو حازم في شتى أمور حياته.⁽³⁾

جهود أبي مسلم في الدولة العباسية :

يُذكر أن السبب الرئيس وراء التحاق أبي مسلم الخراساني بإبراهيم الإمام زعيم الدعوة العباسية ، أن بعض النقباء ارتحلوا من خراسان إلى الكوفة سنة (124هـ/741م) في هيئة حجاج ، فقابلوا بعض دعاة بني العباس الذين سجنهم الأمويون في سجن الكوفة ، فوجدوا أبا مسلم يقوم على خدمتهم ، فأعجب به النقباء ، وتوسموا فيه الخير والذكاء ، فطلبوا منه الالتحاق بدعوتهم والانضمام إلى بني العباس ، فلبى أبو مسلم نداءهم واستجاب لدعوتهم.⁽⁴⁾ وفي رواية أخرى يُذكر أن أبا مسلم كان مملوكاً ، وأن علاقته ببني العباس تعود إلى بكير بن ماهان ، أحد دعاة بني العباس ، وقد جاء إلى الكوفة التي حُبس فيها بسبب اجتماع دعا فيه الناس لبني العباس ، وكان أبو مسلم الخراساني يخدم بعض دعاة العباسيين في السجن ، وقد كان حينها مملوكاً لأحدهم ، فدعاه بكير بن ماهان إلى الانضمام للدعوة العباسية ، بعد ما اشتراه من سيده ، فاستجاب أبو مسلم لهذه الدعوة ، ولما خرجوا من السجن بعثه بكير بن ماهان إلى إبراهيم الإمام ، فكانت تلك انطلاقته في خدمة الدعوة العباسية ، بعد أن جعله إبراهيم الإمام على رأس الدعوة في خراسان ، وقد كان لنشاطه وحمته الدور الأعظم في نجاح الدعوة ، وقيام الدولة العباسية.⁽⁵⁾ وقد تحولت الدعوة العباسية في سنة 125هـ من دور التنظيم السري إلى دور الصدام والعمل والنضال الحربي العلني ، وهنالك تألفت شخصيتان بارزتان من العناصر الفارسية كان لهما أعظم الأثر في نجاح الدعوة العباسية ، وهما أبو سلمة الخلال الذي تولى رئاسة الدعوة ، وشخصية أبي مسلم الخراساني ، الذي يرجع إليه الفضل في قيادة الثورة العباسية إلى النصر الذي تحقق على يديه بزوال دولة بني أمية ، وقد اتصل أبو مسلم بإبراهيم الإمام في بداية توليه أمر الدعوة ، وكان عمر الأول لم يتجاوز الحادية والعشرين عاماً ، وقد رأى فيه إبراهيم الإمام الشخص الذي يريد ، و رأى أن بإمكانه الاعتماد عليه إلى حد كبير في أمر الدعوة ، فأرسله داعية إلى خراسان ، و كتب إبراهيم الإمام إلى

أصحابه موضحاً لهم إنه أمر أبامسلم على خراسان ، وما يسيطر عليه بعد ذلك من مدن.⁽⁶⁾ وقد سار أبو مسلم الخراساني إلى خراسان بناءً على طلب إبراهيم الإمام ، ليتولى أمر الدعوة فيها فتسلم مقاليد الأمور فيها سنة (128هـ/746م) ، فأحسن القيام بدوره في هذا الأمر ، وبدأ العمل بنشاط وسرية تامة مع كتمان شديد ، وفي عام (129هـ/747م) طلب إبراهيم الإمام من أبي مسلم أن يحضر إليه مع بعض أعوانه ، فسار إليه مع سبعين من النقباء ، فلما كانوا في الطريق إليه جاءهم كتاب آخر من الإمام ، يأمر فيه أبا مسلم بالعودة إلى خراسان وإظهار الدعوة هناك ، كما بعث إليه براية النصر مع ذاك الكتاب.⁽⁷⁾ فانصاع أبومسلم لأمر الإمام وعاد إلى خراسان ، وبتّ دعاته بين الناس ليجتمعوا إليه ، وهو مقيم في قرية بضواحي مرو ، فتوافد إليه في ليلة واحدة سكان ستين قرية ، وكثُر أتباعه ، وفي رمضان سنة (129هـ/747م) عقد أبومسلم اللواء الذي بعث به إبراهيم الإمام ، ثم أرسل كتاباً إلى نصر بن سيار عامل الأمويين في خراسان ، عارضاً عليه تسليم خراسان والانضمام للعباسيين ، فردّ عليه ابن سيار بإرسال جيش كبير اصطدم بجيوش أبي مسلم ، فانهزمت جيوش الأمويين وأسر قائدهم ، غير أن أبامسلم أطلق سراحه بعد أن أخذ منه الميثاق ألا يحاربهم ، ثم كثرت بعد ذلك الوفود على أبي مسلم ، ونشط في الدعوة وجذب آلاف الموالي الخراسانيين حوله.⁽⁸⁾ وكانت بلاد خراسان في تلك الفترة ، قد اشتدت فيها الصراعات القبلية بين العرب ، حين استفحل العداء بين المضرية و اليمانية ، حيث انحاز الوالي نصر بن سيار إلى أهله المضرية ، ضد اليمانية الذين يتزعمهم الكرمان ، والأخير قد قُتل في تلك الصراعات ، فعمل الوالي الأموي ابن سيار على توحيد كلمة العرب ، ووقف الصراعات الدائرة بينهم ، فكتب إليهم يحضهم على ترك العصبية ، واستعان في ذلك بملكته الشعرية ، فأخذ ينظم شعراً يحذر فيه العرب من سيطرة الفرس ، ويوضح لهم أن هدف الفرس هو إبادة العرب ، وطالبهم بالاتحاد ضدهم مثل قوله :

لا عرب مثلكم في الناس نعرفهم *** ولا صريح موالي إن هم نُسبوا
ومن كان يسألني عن أصل دينهم *** فإن دينهم أن تهلك العرب⁽⁹⁾

غير أن هذه المحاولات باءت بالفشل أمام دسائس أبي مسلم ، فرفض اليمانية الصلح ، بعد أن أرسل أبومسلم إلى أبناء الكرمان يحرضهم على أخذ الثأر لوالدهم ، وبذلك استطاع أبومسلم أن يفرق كلمة العرب في خراسان ، واستطاع في وقت يسير أن يسيطر على زمام الموقف في خراسان ، فشعر الوالي نصر بن سيار بخطورة الوضع ، فكتب إلى الخليفة الأموي مروان بن محمد يطلب منه مدداً لإنقاذ الموقف ، وأنشده شعراً قائلاً :

أرى بين الرماد وميض جمر *** وأخشى أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكي *** و إن الحرب أولها كلام
أقول من التعجب ليت شعري *** أليقظ أمية أم نيام؟؟⁽¹⁰⁾

غير أن مروان كان مشغولاً بإخماد ثورات الخوارج ، فرد عليه بأنه ليس لديه جنود ، وطالبه بأن يحفظ ناحيته بجنده ، فأخبر ابن سيار أصحابه بأن الخليفة مروان بن محمد لا نصره

عنده، وبذلك أصبح أمام الأمر الواقع لمواجهة أبي مسلم بما عنده من جيوش.⁽¹¹⁾ أما أبو مسلم فإن قوّاته قد تزايدت، وأدرك حال الأمويين في خراسان ، وعدم قدرتهم على الصمود أمامه، فأشعل النيران في الجبال إيداناً ببداية الحرب، ثم قرر في جمادى الأولى سنة (130هـ/748م) التحرك نحو مدينة مرو عاصمة إقليم خراسان، وانضمت إليه قبائل اليمينية ، وتقدمت الصفوف لمواجهة ابن سيّار، ودار القتال بين اليمانية و ابن سيّار ، وانتظر أبو مسلم حتى اشتد القتال، ثم أمر أحد قواده بدخول مرو فدخلها ، وأعقبه أبو مسلم ، ومضى حتى دخل دار الإمارة ، وهرب نصر بن سيّار متخفياً.⁽¹²⁾ وبعد فرار نصر بن سيّار من عاصمة ولايته ، أخذت مدن خراسان تتساقط أمام أبي مسلم الخراساني الواحدة تلو الأخرى ، حتى سلمت خراسان كلها لأبي مسلم الخراساني، فبعث القواد إلى جميع المناطق المجاورة لضمها ، فسيطر عليها جميعاً ، ولم يبق له إلا مطاردة نصر بن سيّار والقضاء عليه ، فأمر قائده قحطبة بن شبيب أن يتتبع نصر بن سيّار الأموي ، فسار وراءه من بلد إلى بلد حتى مرض نصر بن سيّار و مات بنواحي الري ، فأقبل قحطبة بجنوده واستولى على الري ، ثم سیر قحطبة ابنه الحسن فاستولى على همذان، ومنها سار إلى نهاوند فحاصرها ، ولحقه بها أبوه فاجتمعا عليها ثلاثة أشهر ثم فُتحت ، و بذلك تمت السيطرة لأبي مسلم على كل بلاد خراسان ، وبلاد الجبل معاً.⁽¹³⁾ وقد جرت تلك الأحداث ولم يعرف الأمويون رجل تلك الثورة ، ولم يعلم سرّها إلا الدعاة و النقباء ، أما العامة فمبلغ علمها أنها تدعو لرجل من آل البيت ، وظل الأمر هكذا حتى وقع في يد الخليفة الأموي مروان بن محمد كتاب لإبراهيم الإمام إلى أبي مسلم الخراساني، فتعرف حينها على صاحب تلك الثورة ، فأرسل في الحال من يقبض على إبراهيم الإمام بالحميمة، ويأتيه به ، فتم القبض عليه ، وكان ذلك في مطلع عام (132هـ/749م) ، فرجّ به في السجن، ولبث فيه حتى وفاته في نفس العام ، غير أنه عندما شعر بقرب نهايته على يد مروان بن محمد، عهد إلى أخيه أبو العباس بمواصلة السير بالدعوة ، وعقد له الإمامة من بعده ، وأمره بالمسير إلى الكوفة ، وأمر أهل بيته بالمسير معه ، ونصحهم بالسمع والطاعة له ، وبمسير أبي العباس إلى الكوفة بدأت الحلقة الأخيرة من نجاح ثورة بني العباس ، وسقوط الدولة الأموية.⁽¹⁴⁾

سار أبو العباس إلى الكوفة - بعد أن وصلته وصية أخيه إبراهيم الإمام - و معه كبار بني هاشم من العباسيين ، ونزلوا عند أبي سلمة الخلال القائم بأمر الدعوة لآل البيت ، وكبير الدعاة في الكوفة ، فأنزلهم في دار أحد الموالي ، و كَتَم أمرهم عن جميع القواد وعامة الناس ، لأكثر من أربعين يوماً ، حتى تم الأمر للعباسيين.⁽¹⁵⁾ وقد تزامن مسير أبي العباس وأهله إلى الكوفة، مع تقدم جيوش العباسيين نحو العراق، وذلك بعد أن أمر أبو مسلم قائده قحطبة بن شبيب بالزحف نحو العراق ، وأمام تلك الجيوش انهزمت جيوش الأمويين ، التي يقودها ابن هبيرة عامل بني أمية على العراق ، فاضطر ابن هبيرة إلى الانسحاب والتقهقر نحو مدينة واسط و التحصن بها ، فظلت بعض جيوش العباسيين محاصرة له ، وتوجهت جيوش أخرى نحو مدينة الكوفة التي كانت من أهم مدن العراق ، فلم تستطع الكوفة الصمود أمام العباسيين فاستسلمت لهم ، فدخلوها في صفر سنة (132هـ/750م).⁽¹⁶⁾ خرج أبو العباس السفاح من مخبئه ودخل المسجد

الجامع بالكوفة، وأعلنت إمامته للامة، وطُلب من الناس مبايعته بالخلافة، فبايعوه في ربيع الأولى سنة (132هـ / 750م)، ثم خطب أبو العباس على المنبر خطبة افتتحها بمدح آل النبي (ﷺ)، وذكر فضائلهم، وحققهم الشرعي في الخلافة، ثم هاجم الأمويين وسياستهم، وعدد مساوئهم، ثم تكلم عن مبادئ العباسيين، وأهدافهم وسياستهم المستقبلية، وقد وصف نفسه بالسفاح في تلك الخطبة، لذلك لقبه المؤرخون بالسفاح، إشارة إلى عدم توانيه في قتل أعدائه وسفك دمائهم⁽¹⁷⁾ وعندما قويت شوكة أبي مسلم عند بني العباس، أصبح له القدر المعلى في ثورة العباسيين ضد بني أمية، وله القدر الكبير في سقوط مدن الأمويين الواحدة تلو الأخرى، ولعل من أهم الأعمال التي قام بها بعد قيام الدولة العباسية، هي توليه أمر خراسان، بأمر من الخليفة أبو العباس السفاح، وتعد خراسان من أهم الأقاليم في الدولة العباسية، لأنها مركز إشعاع دعوة بني العباس، ومهد ثورتهم، التي انطلقت منها شرارتها، كما أنها مركز أنصارها، فضلاً عن كونها مركزاً للسيطرة على المشرق، وكانت قوة شخصية أبي مسلم، وحنكته السياسية، ودهائه، كفيلة بتوليته هذه المنطقة ذات البعد الإستراتيجي.⁽¹⁸⁾ كما عمل أبو مسلم على التخلص من بعض كبار الساسة والنفوذ، حتى ينفرد بالزعامة، مثل قتله لأبي سلمة الخلال، فضلاً عن قتله عدد كبير من دُعاة الخلال، وغيرهم من الناس، وهذا يدل على طبيعته الدموية، والحرص على التخلص من كل من شك فيه، وقد امتاز أبو مسلم على الرغم من شخصيته الدموية، بعدد من القدرات العظيمة التي جعلت منه شخصاً قوياً، وأحد أعظم دُعاة بني العباس، مما ساعده على تحقيق آماله وطموحاته، على الرغم من انتمائه إلى فئة الموالي، هذه الفئة التي أصبحت لها قوة ضاربة بفضل انجازات أبي مسلم، وأضحى لهم دور بارز على مسرح الأحداث السياسية، فكان أبو مسلم البداية الفعلية لهذه الطبقة، ومن هذه القدرات التي يمتاز بها أبو مسلم المهارة الإدارية، وحكمة التنظيم، إلى جانب معرفته بالشئون الحربية والعسكرية، وتمكن من بناء جيش قوي كسب ولاءه لنفسه وحده، وهكذا جعلت هذه المقدرات وغيرها من أبي مسلم شخصية مهمة في تاريخ الدولة العباسية.⁽¹⁹⁾ وقد تمتع أبو مسلم بمكانة كبيرة وسط الجند، حتى أن الخليفة أبا العباس شكاً يوماً إلى وزيره خالد بن برمك هيبة الجند لأبي مسلم وطاعتهم له، وإنه خشى من نفوذه، فأشار عليه خالد بن برمك برأي يشكك الجند في أبي مسلم، ويضعف قوته، وذلك عندما طلب منه أن يأمر أبا مسلم بعرض الجند وإبعاد من لم يكن من أهل خراسان منهم، ففعل أبو مسلم ذلك من غير أن يظن للأمر، وجلس للعرض في اليوم الأول، وأبعد جنداً كثيراً، ليسوا من أهل خراسان، ثم جلس في اليوم الثاني ففعل وأبعد أكثرهم، وفعل ذلك في اليوم الثالث فلم يبق أحد، ثم قام إليه رجل وسأله عن سبب إبعاده للناس منذ ثلاثة أيام، فأخبره أبو مسلم بأنه يبعد من لم يكن من أهل خراسان، فطلب الرجل من أبي مسلم أن يبدأ بنفسه، لأنه من أصبهان ودخل في أهل خراسان وهنا تنبه أبو مسلم، وظن لذلك، وعلم أن هذه حيلة لتنفير الجند منه. وبهذه الحيلة استطاع أبو العباس أن يسيء العلاقة بين الجند وبين أبي مسلم، أو جعلها تهتز على الأقل، حتى لا تكون هيبة الجيوش إياه مصدر خوف وقلق له.⁽²⁰⁾ وبعد وفاة أبي العباس وبيعته لأخيه أبي جعفر

المنصور ، خرج عبدالله بن عليّ - عم السفاح والمنصور- معترضاً علىبيعة المنصور ، وداعياً إلى نفسه بالخلافة ، وكان قد خرج إلى الصائفة - قبل وفاة السفاح - في مهمة كلفه بها السفاح في جمع كبير من جنوده من الشاميين والخراسانيين ، وفي الصائفة وصله كتاب من عيسى بن موسى ، يخبره فيه بوفاة أمير المؤمنين السفاح ويأمره فيه بأخذ البيعة للمنصور ، ولعيسى بن موسى من بعده بولاية العهد ، فجمع عبد الله بن عليّ الناس حوله في صلاة جامعة ، وقرأ عليهم الكتاب ، ثم أمر لنفسه بالبيعة بدلاً من المنصور ، وقد اعتبر نفسه أحق بالبيعة من غيره حسب وصية السفاح له ، وقد استدل على وصية السفاح عندما طلب من إخوته التوجه لمحاربة مروان بن محمد ، ذكر لهم إنه من سار إلى مروان بن محمد سيكون ولي عهده من بعده ، فتثاقل إخوته في هذا الأمر ، واستجاب له عمه عبدالله بن عليّ.⁽²¹⁾ ولهذا فإن عبدالله بن عليّ يرى نفسه أحق بهذه الخلافة من غيره ، وهي حق مشروع له ، وكان له شهود على ذلك ، لذا فإنه لم يتردد في أخذ البيعة لنفسه ، من الحاضرين من أهل الشام والخراسانيين ، وفي مقدمتهم قواد الجند، الذين بايعوه على السمع والطاعة ، وبعدها سار عبدالله بن عليّ إلى حرّان ، وحاصرها نحو أربعين يوماً ، وعندما علم المنصور بخروج عمه وأخذ البيعة لنفسه ، أمر أبا مسلم بالخروج لمقاتلته. وعندما سمع عبدالله بن عليّ بخروج أبي مسلم لمقاتلته نزل في مدينة نصيبين ، وفي طريقه عمد إلى قتل عدد كبير من الخراسانيين ، لأنه خشي أن لا يناصروه ، وأن ينضموا إلى أبي مسلم ، الذي خرج للقتال ، وقد كتب أبو مسلم إلى عبدالله بن عليّ يخبره بأنه لا يرغب في قتاله ، بل جاءه يكلفه بتولي شؤون الشام ، وكان عبدالله بن عليّ يعلم جيداً مكر أبي مسلم ودهاءه ، لذلك فإنه رفض هذا العرض ، ومنها ارتحل إلى الشام نزولاً إلى رغبة أتباعه الشاميين ، وقد تتبع أبو مسلم أثره في جيش عظيم ، ودارت بينهما حروب دامت شهوراً . وفي يوم الثلاثاء أو الأربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة (137/754هـ) تمكن أبو مسلم من هزيمة عبدالله بن عليّ ، الذي خذله أتباعه من الخراسانيين ، حين استجابوا لدعوة أبي مسلم بوساطة أحد مناديه ، الذي صاح فيهم طالباً منهم العودة ، فلاقت هذه الدعوة القبول الفوري بأن توقفوا عن مقاتلته ، وعندها لم يجد عبدالله بن عليّ من سبيل سوى الفرار نحو البصرة ، وأقام عند أخيه سليمان والي البصرة متخفياً من بطش أبي مسلم الخراساني ، الذي ظفر بما خلفه عبدالله بن عليّ في معسكره من الخزائن والذخائر ، وأمن الناس فلم يقتل منهم أحداً ، وأمر بالكف عنهم ، وأرسل إلى أمير المؤمنين يخبره بالنصر.⁽²²⁾ وبذلك استطاع أبو مسلم الخراساني أن يقضي على أكبر خطر هدد خلافة المنصور ، و على الرغم من مجهودات أبي مسلم الخراساني المتعددة في خدمة العباسيين ، منذ الثورة العباسية ، وحتى خلافة المنصور ، فإن جميع أعماله لم تشفع له عند العباسيين.

اغتيال أبي مسلم:

كانت بين المنصور وأبي مسلم جفوة منذ خلافة السفاح ، وقد نصح المنصور أخاه السفاح أكثر من مرة بالتخلص من أبي مسلم ، ويعود سبب سعي المنصور لقتل أبي مسلم ، إلى ما عرفه في غريمه من قوة الشخصية ، وطموحه الكبير من أجل الوصول للسلطة ، هذا إلى جانب المكانة

التي يتمتع بها في عهد السفاح ، وكان السفاح يأخذ برأيه في شتى المسائل ، أن ما بلغه أبو مسلم هو ما دفع المنصور للحد من خطورته.⁽²³⁾ وقد أفصحت الرواية الأولى بأن السبب المباشر وراء تنكر المنصور ونقمته على أبي مسلم ، ترجع إلى زيارة المنصور لأبي مسلم في خراسان في خلافة السفاح ، فلم يلقَ المنصور الحفاوة اللازمة من أبي مسلم ، طوال الفترة التي أقامها في خراسان ، بل عامله أبو مسلم بالاستخفاف والتقليل من أمره ، فلما رجع المنصور أخبر أخاه السفاح بالأمر ، وطلب منه التخلص من أبي مسلم ، لكن السفاح وضع له الدور الذي قام به أبو مسلم في الدعوة العباسية ، إلى جانب كثرة أتباعه ، لكن المنصور هوّن عليه أمر أبي مسلم وأتباعه ، فوافق السفاح على طلب أخيه وقتل أبي مسلم ، ولكن سرعان ما تراجع عن رأيه و نهى أخاه عن هذا الأمر.⁽²⁴⁾ كما جاء في الرواية الثانية بأن سبب الجفوة بين المنصور وأبي مسلم ، أن أبا مسلم بعث إلى السفاح يستأذنه في الحج في موسم (136هـ / 753م) فأذن له وكتب السفاح في نفس الوقت إلى أخيه المنصور وهو على الجزيرة يخبره بطلب أبي مسلم ، على أن يكتب المنصور للسفاح يستأذنه للحج ، حتى يتولى المنصور إمرة الحج في تلك السنة ليفوت إمرة الحج على أبي مسلم ، فكتب المنصور إلى السفاح مستأذناً للحج ، وهذا ما أغضب أبو مسلم وزاد حقه على المنصور ، وخرج المنصور إلى الحج بصحبة أبي مسلم ، الذي كان يكسو الناس في طريقه ، ويقدم لهم العطايا ، مما جلب له محبة الناس ، ولما انتهى موسم الحج تقدم أبو مسلم وسبق المنصور في السير ، وفي الطريق وصله خبر وفاة أمير المؤمنين السفاح ، فبعث أبو مسلم بكتاب إلى المنصور يعزبه في موت أخيه السفاح ولم يهنئه بالخلافة ، فغضب المنصور وحرّز في نفسه هذا الأمر ، مما اضطره إلى مكاتبة أبي مسلم بكتاب غليظ يلومه فيه على عدم تهنئته بالخلافة ، ولما وصل الكتاب لأبي مسلم بعث له بالتهنئة بالخلافة.⁽²⁵⁾ وقد روي أن أبا مسلم كتب كتاباً إلى المنصور ، بدأ فيه بنفسه وقدمها على المنصور ، مما أثار حفيظة المنصور نحوه ، كما أن أبا مسلم قد دخلت الريبة في قلبه من تصرفات المنصور ، غير أن السبب المباشر الذي وضع حداً للعلاقة بينهما ، وأدى إلى مقتل أبي مسلم ، هو أن المنصور عندما سمع بانتصار أبي مسلم على عمه عبدالله بن عليّ ، بعث رجلاً ليحصي ما حصل عليه أبو مسلم من هذه الحرب ، فغضب أبو مسلم من صنيع الخليفة ، وهمّ بقتل رسوله لولا تدخل بعض أصحابه ، وذكروا له إنه رسول وليس له من الأمر شيء ، فذكر لهم أبو مسلم أن الخليفة جعله أميناً على الدماء ، ولم يأمنه على الأموال ، فخاف الرجل من بطش أبي مسلم وذكر له إنه جاء مهنئاً إياه بالنصر ، ويحمل إليه تهاني أمير المؤمنين بهذا الأمر.⁽²⁶⁾ وأخيراً عاد الرجل إلى المنصور ، وأخبره بما قاله أبو مسلم ، فدبّ القلق في نفسه لأنه لا يريد أن تدخل أي ريبة في نفس أبي مسلم ، وأن لا يساوره الشك في أمير المؤمنين ، وكان المنصور يخشى أن يرتحل أبو مسلم إلى خراسان مما يصعب عليه تنفيذ مخططه ، فكتب إليه يخبره إنه ولاه الشام و مصر ، وذكر له إنها أفضل من خراسان ، كما أشار عليه أن يوجه إلى مصر من يحب ويقيم هو في الشام ، حتى يكون قريباً من الخليفة ، فإن أحب الخليفة لقاءه أتاه من قرب ، ولكن كتاب الخليفة زاد من غضب أبي مسلم عليه ، واشتدت ثورته ، وعرف مكر الخليفة ، فرفض عرض الخليفة له بتولية الشام ومصر ،

و عزم على المضي إلى خراسان ، وهو ما كان يخشاه المنصور ، وخرج المنصور من الأنبار في طلب أبي مسلم الذي نزل بالزاب. ودارت المكاتبات بين الطرفين ، طلب فيها المنصور ملاقة أبي مسلم ، فرفض أبو مسلم ، ولكنه أكد ذهابه إلى خراسان وولاه للمنصور من هناك ، وقد أكثر المنصور من مكاتبة غريمه يستميله للعدول عن رأيه ، ولكن آخر تلك الرسائل حملت تهديداً من المنصور لأبي مسلم ، حلف فيها إن لم يحضر أبو مسلم للقائه لم يبعث له أحداً سواه ، بل سيخرج لقتاله بنفسه ، أو يموت دونه ، فاستشار أبو مسلم أصحابه فأشاروا عليه بعدم الرجوع ، وشجعوه على الذهاب إلى خراسان مركز قوته ، و لكن أخيراً لأن أبو مسلم واستجاب لدعوة الخليفة ، وللضغوطات التي مورست عليه من جهات عديدة ، من أجل العودة ، وطلب العفو من الخليفة .⁽²⁷⁾ اتجه أبو مسلم نحو المنصور الذي استقبله كأحسن ما يكون ، حتى يزيل الخوف عنه ، فقبل أبو مسلم يد الخليفة يطلب العفو ، فأمره المنصور بالذهاب إلى القصر ليلتمس الراحة ، وأصبحت الفرصة سهلة للخليفة المنصور للتخلص من عدوه ، فأمر رجال شرطته بتنفيذ المخطط ، والقضاء على أبي مسلم ، ورسم لهم الخطة ، حيث أمرهم أن يندسوا خلفه ، وعند تصفيقه يخرجون إليه فيقتلونه ، فأرسل المنصور إلى أبي مسلم في اليوم الثاني ، فاستقبله ، ثم تحدث معه المنصور في أمور شتى ، إلى أن وصل العتاب واللوم ، والشتيمة ، وعندها عرف أبو مسلم ما ينتظره ، فتوسل إلى المنصور واستعطفه ، غير أن المنصور صفق فخرج رجاله وانهالوا ضرباً على أبي مسلم بالسيوف حتى لقي حتفه.⁽²⁸⁾ وبذلك سلك المنصور طريق أخيه السفاح ، في تصفية العناصر الفارسية ، صاحبة الفضل في قيام دولة بني العباس ، فلحق أبو مسلم بالخلال ، وقد اعترض عيسى بن موسى على مقتله ، غير أن المنصور ذكر له إنه لم يكن للعباسيين ملك أو سلطان ، ولا أمر ولا نهي مع أبي مسلم ، وهذا يدل على مدى تسلط أبي مسلم على أمور الدولة ، حتى أن البعض أشاروا على المنصور أن يعد اليوم الذي قتل فيه أبي مسلم أول أيام خلافته. وهكذا انتهت حياة أبي مسلم الخراساني ، الذي يُعد صاحب الفضل الأكبر في قيام الدولة العباسية ، وهذا يدل على مدى عدم توازي المنصور في قتل كل من تسول له نفسه بالخروج عن طاعته .

أثر مقتل أبي مسلم الخراساني على الدولة العباسية:

واجهت المنصور العديد من المتاعب بعد مقتل أبي مسلم الخراساني ، حيث استاء الفرس من مقتله ، واتخذوا هذه الحادثة ذريعة للثورة على الدولة العباسية ، ونسجوا حول شخصية أبي مسلم ألواناً من الخيال تلائم العقائد الفارسية القديمة ، فزعم بعضهم إنه حيٌّ لم يمت ، كما خرجت بعض الطوائف الفارسية ضد الخليفة المنصور .⁽²⁹⁾

أولاً/ثورة سنباذ:

أثار مقتل أبي مسلم الخراساني غضبة الجماهير في خراسان ، ففي سنة (137هـ/755م) خرج سنباذ بخراسان مُطالباً بدم أبي مسلم ، والثأر له ، فخرج من نيسابور في جيش كثيف من أتباعه ، فغلب على نيسابور والري ، واستولى وهو بالري على خزائن أبي مسلم التي خلفها بالري حين ذهب إلى بغداد لمقابلة الخليفة أبي العباس السفاح ، فعاث سنباذ فساداً في تلك النواحي ، وكان

يظهر إنه ينوي الوصول إلى الكعبة ليهدمها ، فاستفحل أمره ، فأرسل له المنصور جيشاً كبيراً بلغ عشرة آلاف (10000 مقاتل ، فالتقى الفريقان بين همدان والري ، وهُزم سبناذ ، وقُتل هو وكثير من أتباعه ، وبذلك تمكن المنصور من التخلص من خطر هذه الطائفة.⁽³⁰⁾

ثانياً/ثورة الراوندية:

ولم يكد المنصور يفرغ من السيطرة على حركة سبناذ حتى فُوجئ بظهور طائفة الراوندية ، الذين اخفوا غرضهم الحقيقي وهو الثأر لأبي مسلم ، وظهروا في صورة (غلاة العباسيين) فأحاطوا بقصر المنصور مدّعين أن المنصور هو ربهم ، وادّعوا عبادته ، فأمر المنصور بالقبض على مائتين ((200 منهم وزج بهم في السجن ، فثار الراوندية وحطّوا السجن ، وأخرجوا أصحابهم ، ولم يكتفوا بذلك بل قصدوا قصر المنصور للتخلص منه ، وكان في فئة قليلة من رجاله ، وتكاثروا عليه ، وكادوا يقتلونه ، وتبادل حُرّاس القصر معهم الهجوم ، ونُودي في الأسواق ، فأقبل الناس يحاربون الراوندية ، فانهزم الراوندية ، وبذلك قضى عليهم المنصور ، وكان ذلك في سنة (141هـ / 758م).⁽³¹⁾ وقد تمكن الخليفة المنصور من السيطرة على أطراف الدولة بعد هذه الحركات ، وجاء بعده ابنه محمد المهدي الذي ظهر في عهده المقنع بخراسان ، حيث ذكر أن الله خلق آدم فتحول في صورته ، ثم في صورة الأنبياء من بعده ، ثم في صورة العلويين حتى حصل في صورة أبي مسلم الخراساني ، ثم زعم إنه انتقل منه إليه ، و أسقط الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأباح للناس الأموال والنساء ، فعبدته الناس وسجدوا له ، ولما قوّي أمره ، وكثُر أنصاره ، انضم إليه أهل سمرقند ، والأتراك الذين كانوا يقيمون حول بحر قزوين ، فأرسل إليه الخليفة المهدي سبعين ألفاً من الجنود ، فانتصروا عليه ، ولما شعر بالهزيمة أشعل النار وأحرق كل ما عنده ، ثم ألقى بنفسه ونسائه وأولاده فيها ، وأمر بقية أصحابه يقعوا فيها ، وبذلك تخلص منه الخليفة المهدي ، و أمن الناس من شر مبادئه.⁽³²⁾ ولا شك أن هذه الحركات قامت بسبب مقتل أبي مسلم الخراساني ، حيث كان هو القاسم المشترك في أهدافها السياسية والدينية ، و لولا مقتله لما ظهرت هذه الحركات ، لأنهم ينظرون إليه بشيء من القدسية . كما إنه كان مطاعاً عند الفرس فلا يستطيع أحدٌ من الفرس الخروج عليه في حياته، لذلك كانت تلك الحركات انتقاماً من الفرس على مقتله من قِبَل المنصور.⁽³³⁾

الخاتمة:

وختاماً يمكن القول أن أبا مسلم الخراساني له الدور الأعظم في نجاح ثورة العباسيين، حيث أظهر قدرات فائقة منذ انضمامه إليها، وتوليه أمر الدعوة في خراسان، وقد نجح في تأليب الناس على بني أمية وانضمامهم إلى بني العباس، ومن ثم نجح في تشكيل جيش قوي في خراسان استطاع ان يعلن به شرارة الثورة هناك فأسقط مدينة مرو عاصمة إقليم خراسان وقتل واليها الأموي نصر بن سيار، ثم أسقط بقية المدن الواحدة الخراسانية تلو الأخرى ثم تقدم جيشه ناحية العراق وبدأ يفرض سيطرته على مدن العراق حتى دخل مدينة الكوفة، وهناك ظهر أبو العباس السفاح معلناً قيام الدولة العباسية، وتقديراً لجهوده في قيام الدولة العباسية أوكل أبو العباس السفاح إدارة إقليم خراسان إلى أبي مسلم الخراساني الذي يحظى بمكانة كبيرة هناك، غير أنه يمرور الزمن انقلب

العباسيون على أبي مسلم بعد أن سخط عليه الخليفة المنصور فتخلص منه وقتله رغم دوره الكبير في قيام دولتهم، والمتتبع لتاريخ العباسيين في عصرهم الأول يجدهم يتبعون سياسة الغدر باستمرار مع أعوانهم.

النتائج:

1. تميز أبو مسلم الخراساني بصفات إيجابية عديدة مثل الصبر والقوة والجدية والالتزام وهي التي صنعت منه شخصية اعتبارية في الدولة العباسية.
2. بعد انضمامه للثورة العباسية استطاع أبو مسلم الخراساني أن يتولى قيادتها ويصبح الرقم الأول في القيادة العسكرية للثورة، مما أسهم في نجاحها.
3. بما أن الثورة العباسية نجحت بفضل العناصر الفارسية فقد قلدهم العباسيون المناصب الرفيعة في الدولة تقديراً لجهودهم، واعترافاً بفضلهم.
4. انقلب العباسيون على الأقداء والوزراء من الفرس لأسباب مختلفة، وكان أبو مسلم الخراساني هو أحد ضحايا هذا الانقلاب، فقد قتله الخليفة أبوجعفر المنصور.

التوصيات:

توصي الدراسة بالآتي:

1. تناول شخصية أبو مسلم الخراساني كقائد عسكري ميداني، والوقوف على الخطط العسكرية التي حقق بها الانتصارات المتتالية على أعدائه.
2. دراسة شكل العلاقات بين العباسيين ومواليهم الفرس الذين شاركوهم في إدارة الدولة، حيث تأرجحت هذه العلاقة في فترات عديدة.

الهوامش:

- (1) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج7، دار صادر، بيروت، 2003م، ص70.
- (2) ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء أزمان، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص20.
- (3) الذهبي، شمس الدين بن محمد: سير أعلام النبلاء، ج3، جدة، 1411هـ / 1991م، ص53.
- (4) حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996م، ص18.
- (5) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج8، ص70.
- (6) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن الكرم: الكامل في التاريخ، ج5، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997م، ص257.
- (7) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، مطبعة السعادة، القاهرة، 1964م، ص169.
- (8) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج8، ص244.
- (9) لشريف، أحمد إبراهيم: العالم الإسلامي في العصر العباسي الأول، دار الفكر العربي، بيروت، 1977م، ص43.
- (10) ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ج5، ص367.
- (11) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج8، ص262.
- (12) الدينوري:، أبوحنيفة أحمد بن داود: الأخبار الطوال، بغداد، 1960م، ص360.
- (13) المسعودي: مروج الذهب، مصدر سبق ذكره، ج2، ص204.
- (14) ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، ج7، مكتبة المعارف، بيروت، 1411هـ / 1990م، ص98.
- (15) اليعقوبي، أحمد بن جعفر بن وهب: تاريخ اليعقوبي، ج3، المكتبة المرتضوية، حمص، 1358هـ، ص82.
- (16) المناصير، محمد عبد الحفيظ درويش: الجيش في العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة النيلين، كلية الآداب، 1998م، ص380.
- (17) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء، مكتبة السعادة، القاهرة، 1952م، ص240.
- (18) اليعقوبي: مصدر سبق ذكره، ج2، ص342.
- (19) رستم، عبد السلام: أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي، دار المعارف، مصر، 1965م، ص43.
- (20) برانق، محمد أحمد: الوزراء العباسيين، ج1، المطبعة النموذجية، القاهرة، بدون تاريخ طبع، ص104. (21) اليعقوبي: مصدر سبق ذكره، ج2، ص365.
- (20) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج8، ص385.
- (21) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج8، ص246.
- (22) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج7، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص332.
- (23) الذهبي: مصدر سبق ذكره، ج6، ص61.
- (24) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج8، ص246.
- (25) ابن الجوزي: مصدر سبق ذكره، ج7، ص332.
- (26) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج8، ص387.
- (27) المسعودي: مروج الذهب، مصدر سبق ذكره، ج3، ص302.
- (28) الطبري: مصدر سبق ذكره، ج8، ص393.
- (29) اليعقوبي: مصدر سبق ذكره، ج2، ص367.
- (30) الفقي، د. عصام الدين عبد الرؤوف: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992م، ص27.
- (31) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، ج1، دار المعرفة، بيروت، 1404هـ، ص205-206.

سوق أم درمان الكبير (دراسة تاريخية)

كلية النصر التقنية

د. صديق بابكر احمد دفع الله

المستخلص:

الهدف من هذه الدراسة هو القاء الضوء على واحد من اهم وابراز المواقع الاثرية بالسودان سوق امدرمان الكبير والذي ارتبط ظهوره وقيامه بالثورة والدولة المهدية في السودان. استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي والمنهج الوصفي لما لهما من اهمية ومناسبتهما لهذه الدراسة وقد توصلت هذه الدراسة إلى ارتباط هذا السوق بالتطور الحضاري والثقافي للسودان مساهمة هذا السوق في التطور الاجتماعي والثقافي والسياسي والنهضة الاقتصادية التي عمت جميع ارجاء السودان.

Omdurman Grand Market (historical study)

Siddig Babiker Ahmed Dafallah

Abstract:

This study aims at highlighting one of a great historical sites in Omdurman town since mahadiya era and till now. The researcher adopted the historical and descriptive approach in this study. The study also came to explain the contribution of the market in the social, cultural, economic and political development in Sudan.

أهمية ودور سوق امدرمان الكبير في التعايش وترقية وتطوير النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في السودان:

- تشمل هذه الورقة على عدة محاور تتمثل في :-
- نشأة مدينة امدرمان وتخطيط السوق وتنظيمه و منذ عهد المهديّة مروراً بالعهد الثنائي ثم العهود الوطنية .
 - استقرار السكان الوطنيين وابناء الجاليات الاجنبية بمدينة امدرمان والتعايش والانصهار بين هذه المكونات.
 - اثر السوق على الحياة الاقتصادية .
 - اثر السوق ومساهمته في إثراء الحياة الاجتماعية والثقافية بفروعها هذه المساهمة والمعلومات اكثرها عايشته عن قرب ولا شك ان هناك الكثيرين غيري الذين لهم الكثير من المعلومات والذكريات عن هذا السوق . فالأجيال تتعاقب والحياة تسير وتتجدد. وانا هنا اكتب واسجل لفترة وسيطة هناك من عايش السوق قبلي ومنهم من هو بعدي وكل يساهم بما عنده لنوثق لهذا السوق الذي هو الاكبر والاشهر على نطاق بلادنا الحبيبة كلها.
 - لاشك ان ظهور وقيام الاسواق يعتبر ظاهرة حضارية من مراحل تحضر الانسان ،وقد توصل آر كل Ark ell اول مدير لمصلحة الآثار بالسودان 1938-1944م توصل الى ان موقع خور ابي عنجة الحالي كان مستعمرة مسكونة في العصر الحجري القديم 100.000-12.000 ق.م حيث اعتمد انسان هذه المنطقة في تلك الفترة المبكرة على الصيد وجمع الغذاء وصنع ادواته من الحجر الرملي⁽¹⁾. Nubian Sandstone.
 - تقع مدينة امدرمان عند ملتقى النيلين الابيض والازرق حيث الدرجة 15 والدقيقة 38 من خطوط العرض الشمالية والدرجة 32 والدقيقة 29 من خطوط الطول الشرقية .ويعتبر هذا الموقع ذو اثر كبير في سرعة تطور وترقية هذه المدينة التي كتب لها ان تصبح قبلة اهل السودان ومحط امالهم ومقياس تقدمهم ومبعث حبههم وإعجابهم .فقد اصبحت ملتقى طرق لتجارة غرب السودان من دارفور وكردفان ومنها مرت التجارة نحو الجنوب واليها انسابت تجارة الشمال. ومع التقدم

العمراني وتشبيد الجسور التي تربطها بالخرطوم والخرطوم بحري تعاضمت اهمية هذه المدينة في مجالات التجارة والصناعة والنواحي الثقافية والخدمية ولا ننسى ان نهر النيل الذي ترقد هذه المدينة على ضفته الغربية منذ القدم ظل يقوم بدور كبير في مجال النقل والتوصيل بينها واطراف السودان . وللمرحوم المربي الفنان الاستاذ خالد ابو الروس عبارة جديرة باوقوف عندها وهي قوله: إن اهل امدرمان هم اول من شرب ويشرب من ماء النيلين ممزوجاً.

حينما اشتعلت الثورة المهدية بالسودان 1881م وبدأ زحف الانصار نحو الخرطوم عاصمة السودان انذاك بنى الجنرال غردون طابية من الطين في امدرمان ليقى بها الخرطوم من ضربات الانصار ولما حضرت جيوش المهدية بأبي سعد وتعرضت هذه الحامية لهجوم الثوار فاستسلمت وباستلامها بات تحرير الخرطوم وشيكاً

بعد تحرير الخرطوم ودخول قوات المهدي للعاصمة لم يشأ ان تستمر عاصمته الجديدة ومركز دولته بالخرطوم فعزف عنها وعبر نحو امدرمان وشيد بها معسكره الذي عرف ببقعة امدرمان واتخذها مركزاً لدولته وسار على نهجه خليفته الخليفة عبدالله بن السيد محمد . هذا وقد تم وضع اساس هذه المدينة التي اسست على التقوى في 13/فبراير 1885م ورغم زوال دولة المدينة بعد العام 1899م وطلب المستعمر من السكان هجر المدينة وتخريبها إلا ان العكس هو الذي حدث حيث تمسك السكان بمدينتهم وقوميتهم وعزتهم التي استمدوها من هذه المدينة واصبحت تمثل لهم الامل في البعث والخلاص وعودة الامجاد.

موقع السوق :

اخط الخليفة عبدالله بن السيد محمد هذا السوق في بدايات حكمه 1886م وقد اخط الخليفة السوق في وسط المدينة تقريباً وبالتحديد في الناحية الشمالية الغربية للمدينة حيث يسهل على السكان من كل اتجاه الوصول للسوق وكان السوق مبنياً من الرواكيب والقطايط ويفصل بين الدكاكين أزقة ضيقة متعرجة⁽²⁾. ومن اقدم الخراط لسوق امدرمان خريطة رسمها الايطالي باليو روزقنولي Polio Rossignoli احداى الخليفة في عام 1886م وتوضح هذه الخريطة ان السوق كان يتكون من ثلاثين قسماً وبه من البضائع المعروضة القطن والسجاد والحصى وحطب الوقود وخشب البناء والاحذية والعناقير واللحوم والخضروات والملح والذهب والعسل والبقوليات وبعض السلع المستوردة من اوربا مثل السكر والحلى . وهناك اقسام مخصصة للحلاقين والمقاهي والمطاعم ومخازن الذرة والتمور وزرائب لبيع المواشي واماكن للتزينة والنجارين والحدادين وصياغة الذهب وسوق الجلود وسوق الخضار والجلود المدبوغة وسوق النساء⁽³⁾.

تنظيم السوق :

هذا وقد انتظمت في السوق كل السحنات والملل فهناك ابناء البلد من دناقلة وجعليين ونوبيين وبقارة وهناك ابناء الجاليات من مصريين ويونانيين وافارقة ويمينيين وغيرهم وكان للنساء مكان خاص فقد سمح للنساء اللاتي خرجن ازواجهن للحرب بالخروج لكسب رزقهن حيث يبعن الزيت والشحم الودك والتوابل والادوية والذرة . وقد عين الخليفة عبدالله محتسباً للسوق ومنحه بعض السلطات القضائية للنظر في بعض المسائل التي تتطلب البت السريع كما انشأ الخليفة محكمة السوق وهي تختص بمسائل البيع والشراء. وكان من ضمن اهم تنظيمات السوق

اصدار العملة وهذه تعتبر من اهم انجازات دولة المهديّة وقد اصدر المهدي منشور لتداول العملات وكذلك فعل الخليفة عبدالله حيث اصدر كذلك منشوراً في 1885م امر فيه بتداول جميع انواع الريالات والجنهات والقروش ونهى عن تزوير العملة. والواقع ان المهديّة قد ضربت عملتها على زمن الخليفة وكانت اهم الوحدات المتداولة تتمثل في الفرجاللة -الجنية المصري -الجنية الافرنجي -الجنية ابوبنت-والبنديقي - والمجري- والخيرية والريال المجيدي والبرقوته والسعدية .

اثر السوق على الحياة الاقتصادية :

في فترة المهديّة كانت مدينة امدرمان وبالتحديد سوقها مركز النشاط الاقتصادي والمحرك لكل الانشطة الاقتصادية على نطاق كل البلاد .ولما تم للاستعمار السيطرة على مقاليد الامور بالبلاد حاولت الادارة الاستعمارية اجبار سكان امدرمان على هجرها ولكن السكان الوطنيين تمسكوا بعاصمتهم الوطنية ورغم انتقال مركز الحكم والادارة الى الخرطوم الا ان امدرمان سرعان ما بدأت تستعيد قها وعافيتها ومره اخرى النشاط يدب في اوصال سوق امدرمان الكبير واصبح هذا السوق رغماً عن انف المستعمر محور النشاط الاقتصادي . والى امدرمان انتقلت كل انواع الجارة تقريباً. وجاءت مجموعة التجار الارمن واليهود والمصريين واليونانيين والهنود واليمنيين والشوام وغيرها من الجنسيات تبحث عن مواطنى لأقدامها وتؤسس الشركات والبيوتات التجارية والتي كان معظمها ذو ارتباط بفروعها بالخارج واقاليم السودان . كما كان للتجار الوطنيين اكبر الاثر في الانتعاش التجاري الذي عم البلاد انطلاقاً من سوق امدرمان الكبير .

ادى انفتاح السودان تجارياً على العالم الخارجي الى سرعة الحراك الاقتصادي وجذب رؤوس الاموال وتزايد حركة الاستيراد خاصة مع اشتها السودان بالمساهمة في التجارة الدولية والصمغ والسّمسم والبقول السوداني واللحوم وجلود الحيوانات المذبوحة. وكان من اشهر التجار بسوق امدرمان الكبير في تلك الفترة آل البرير وآل حسن عبدالمنعم وآل ابوالعلا والبرقدار وعثمان صالح وسوار الذهب وعبدالمنعم محمد . وودبكار والامين عبدالرحمن (الصائغ) ومحمد الامين حامد والبشير الشيخ وآل البلك والكثير غيرهم في مختلف المجالات. وهذا وقد كان سوق امدرمان الكبير يمثل مساحة للتعايش وحسن التعامل مع ابناء الاجاليات من اليهود مثل اولاد مراد ، وهنود وشوام مثل الخواجة لاليت وجيسو وبانو وابوشنب الهندي والمصريين مثل آل الطوخي والأرمن مثل آل يرفانت واغاريق وغيرهم ففي سوق امدرمان تجد كوستي كربياني صاحب واحد من اجود افران الخبز وابوبكر اليماني صاحب الفرن الشهير باول شارع كرري وكريبت الميكانيكي وبائع زيوت السيارات وبنويق انطون صاحب واحدة من افخم البقالات بالسوق ، وارونت صاحب اول بقالة افرنجية بالسوق . اما الاهل الاقباط فمنهم تادرس ويسى وتوفيق داؤود ووديع شنوده وفيكتورالوزان وكثيرون ممن تعاونوا مع الآخرين في نهضة هذا السوق وتعميرة.

لقد كان سوق امدرمان ومنذ اختطاته في فترة المهديّة مروراً بالعهد الثنائي والعهد الوطني كان هذا السوق يمثل شكل سوق المدينة العربية حيث تنظيم به المتاجر حسب ما يعرض بها من بضائع او بحسب جنسيات التجار فمثلاً كان هناك سوق الحدادين وسوق الخياطين وسوق القش وسوق العيش الحبوب وسوق العطارين والمنجدين والسّمكريه . وهناك اقسام وشوارع لتجار من جنسيات محددة مثل شارع او سوق الشوام وسوق الخراطين وشارع اوسوق

الضاغة . وفي سوق امدرمان تجد تجار الجملة وخاصة الاقمشة وحتى اليوم لا تجد في السودان تجار للجملة في الاقمشة الا بسوق امدرمان ' واشهر تجار الاقمشة بامدرمان محمد احمد عباس والبشرى ادريس وهناك محلات اشتهرت ببيع الاقمشة في مناطق اخرى ولكنها لا تضاهي سوق امدرمان سوق امدرمان . وهناك في سوق امدرمان اصحاب الحرف والمهن الذين ساهموا بقدر كبير في رفع شان هذا السوق ' ففي سوق امدرمان تجد السمكرية والجلادين ومصنعي الاحذية البلدية المراكيب والخياطين المهرة في التفصيل البلدي مثل الاسطى عابدين ومرجان وعبدالرحيم صباح الخير وغيرهم. وهل ننسى ما اشتهر به سوق امدرمان ولازال من مهنة لعطارة واشهر من مارس هذه الاعمال النفراوي عثمان رحمة والجنيد عثمان رحمة واحمد عثمان الرباطي واحفادهم حتى اليوم، وتحيتنا من هنا للاح الصادق النفراوي الذي لازال يمارس باهتمام كبير وفن وادب هذه المهنة السامية. ومن في سوق امدرمان لم يمر بسوق الزنك اللحوم والخضار وسوق الدواجن والسمك وزنك النسوان اللائي كن يبعن الطواقي المشغولة باليد . وفي سوق امدرمان تجد اشهر بائع فواكه وهو ينادي على بضاعته بصوته القوي انه العم جادو وفي وسط سوق الخضار هناك البائعان الفنانون احمد حسنم جمعة وميرغني المامون. والفنان صالح سعد والشاعر علي محمود التنقاري وعبدالرحمن الريح. ومن أشهر الصيدليات التي قامت بسوق امدرمان صيدلية ابونخلة وقبلها كانت توجد صيدلية لطفي شمال ميدان المحطة الوسطى وصيدلية امدرمان جنوب الجامع الكبير وكان يديرها الاستاذ احمد داؤود) هو من رجال الحركة الوطنية تخرج مهندساً من كلية غردون وهو من اشهر شخصيات امدرمان كان يحرص على الذهاب يومياً للمقابر للاشتراك في تشييع الموتي (ثم تعددت الصيدليات فصارت هناك العديد منها اشهرها صيدليه توما غرب المحطة الوسطى وصيدلية ابونخلة وصيدلية ابراهيم. ولانه ولابد من تناول الطعام والقهوة والشاي والمثلجات ففي سوق امدرمان اشتهرت بعض المطاعم مثل مطعم العم مصطفى صبير ومطعم عبدالرحيم عوض عثمان ومطعم التيسير ومطعم الرياضيين بالبوسنة ومقهى ود الآغا وشديد واحمد خير ويوسف الفكي وجورج مشرقي والمقاهي الشعبية مثل مقهى خلف الله الكرسي وقهوة وراق وقهوة شديد وبالسوق العديد من البنوك التجارية الى جانب مبنالبريد الذي كانت تتم عن طريقة الحوالات فهناك بنك باركليز وتحول منذ 1970م الى بنك الخرطوم والبنك العثماني الى بنك الوحدة ثم ضم بنك الخرطوم وبنك مصر وبنك النيلين والبنك السوداني السعودي والبنك الاهلي والبنك السوداني الفرنسي وغيرها واول من اقام من وكالات للسفر والسياحة بامدرمان هو السرعباس وكانت وكالة للسفر جواً وقطع تذاكرالسكة الحديد. ولقد كانت العملة المتداولة بالسوق بالبلا عموماً في فترة الحكم الثنائي بعد المهديية هي العملة المصرية وبعض الفئات الانجليزية الصغيرة وذلك حتى استقلال السودان حيث تم اصدار العملة الوطنية بعد الاستقلال وقد تم ذلك في عهد الحكومة الوطنية الثانية في العام 1956م برئاسة عبدالله بك خليل. نسبة لعراقة واهمية هذا السوق فقد اهتم السواح والاجانب بزيارة والوقوف على ما به من حرف ومهن ومعروضات وبضائع ولازالت الاعداد المتزايدة حتى اليوم من الزوار والسياح تتقاطر عليه مما يلقي بعبء كبير على السلطات والتجار والحرفيين لمزيد من الاهتمام بالمداخل والمخارج والمواقف وفتح الشارع لتنساب الحركة في يسر وبدون عوائق.

أثر السوق ومساهمته في إثراء الحياة الاجتماعية الثقافية :

لقد كان لسوق امدرمان وما ضم من عقد نفيس من التجار كان له دور كبير ومتعاظم في دفع وترقية واثرء الحياة الاجتماعية والثقافية بمختلف افرعها. فالتجار من امثال احمد حسن عبدالمنعم وسوار الذهب وعثمان صالح ومحمد احمد البرير والبرقدار وغيرهم كان لهم القدر المعلى في انشاء اول صراح للتعليم الاهلي ((مدرسة امدرمان الاهلية ((في العام عندما تبرع الشيخ احمد حسن عبدالمنعم بمنزله وكتب شيكاً على بياض تحديداً للمفتش الانجليزي الذي اراد ان يعجز الوطنيين ويعرقل قيام هذا الصرح والذي 1927 قدر له ان يكون البداية القوية في النهضة التعليمية التي انتظمت كل القطر . وفي داخل سوق امدرمان شمع المسجد الكبير بمآذنه داعياً للصلوات الخمس بمختلف اليه التجار عقب صلاة المغرب للدروس والتفقة على ايدي شيوخ اجلاء. وداخل هذا المسجد المبارك تأسس معهد امدرمان العلمي في العام 1912م منارة للعلم والرقى ومازال حتى تحول الى واحدة من اكبر واهم جامعات البلاد جامعة امدرمان الاسلامية . وشرق المسجد الكبير كانت هناك مكتبة الثقافة لصاحبها الشيخ حسن بدري وكان بها صالون لجماعة اسمت نفسها (الكتيبة) . وهم شعراء في الاخوانيات يتزعمهم اميرهم الاستاذ المربي الكبير النور ابراهيم امير الكتيبة وللكتيبة شيخها وهو الشيخ حسن البدري بالمكتبة درج تلقى داخله القوائد وهي معظمها في الهجاء وشعر الاخوانيات ويسمى هذا الدرج بدرج السفاسف ومن مرتادي هذا الصالون الاستاذ محمد عبدالقادر كرف والاستاذ امام دويلب وكان يغشاهم الدكتور عبدالله الطيب . وغرب مبنى البريد هناك الندوة الادبية في منزل الاديب عبدالله حامد الامين وكان من اهم حضورها محمد المهدي المجذوب . هذا وقد اشتهر سوق امدرمان بالمقاهي الممتازة والتي يرتادها الادباء والشعراء والفنانون فهناك قهوة يوسف الفكي وهي منتدى للصفوة وقهوة جورج مشرقى وتجد بها الشعراء من امثال عمر البنا وابراهيم العبادي والسر قدور والفنانين مثل التاج مصطفى وعثمان الشفيق . اما مقهى احمد خير شمال السينما الوطنية فيؤمه الشعراء مثل عبدالرحمن الريح وعوض جبريل واسماعيل وخورشيد والفنانون مثل صلاح محمد عيسى وابراهيم عوض وغيرهم. والممثلون امثال محمود السراج والسرقدور وخالد ابو الروس والفاضل سعيد وفي سوق امدرمان تجد الحركة السياسية ممثلة في نادي الخريجين الذي تأسس في العام 1918م ومنه انطلقت مؤتمر الخريجين في العام 1938م وما يقيمه هذا النادي من ندوات ومحاضرات واحتفالات . وهناك دار حزب الامة والتي كانت تقوم في مكان دار سينما امدرمان الحالية . اما السينما الوطنية فقد تاسست كشركة وطنية في العام 1942م كمنافس لشركة برامبل او سينما قديس التي كانت تحتل الميدان المطل الآن على محلات جورج مشرقى غرباً. وكانت تقوم اعلى محلات جورج مشرقى الجامعة الشعبية وبها مكتبة للقراءة يرتادها المشتغلون بالسوق وغيرهم مساء كما كانت هناك مكتبة امدرمان المركزية وهي اهم واكبر مكتبة حكومية للقراءة واقامة الندوات والمحاضرات وكانت تحتل مبنى الامة بعد 1958م حيث حولت الى مبنى بشارع مستشفى الارسالية. وفي سوق امدرمان اشتهرت شخصيات ارتبطت بالسوق وارتبط السوق بها وكان التجار ومرتادو السوق يتفاءلون بهم مثل ابوطالب صاحب الاشعار والحكم وابوالدفاع والدخري وبنت التور وثمره واحد وموسى ناصر ودنقاش صاحب النكات والطرائف.

لقد انجب سوق امدرمان الشاعر على محمود التنقاري صاحب محل بيع الصيني والاواني المنزلية شرق الزنك وصاحب الروائع التي تغنى بها الفنانون من امثال عائشة الفلاتية) معرض الزهور (و) عشقت ميزاتك (محبوب عثمان وغيرها وانجب عبدالرحمن الريح وعبيد الرحمن الذي تغنى له ابراهيم الكاشف ب)اطير بي فوق بي غرب السوق (وانجب محمد احمد عوض وميرغني المامون واحمد حسن جمعة وصالح سعد والاستاذ مهدي محمد سعيد وغيرهم . ومن قلب سوق امدرمان انطلق صوت السودان في اوائل اربعينات القرن العشرين حينما قامت اذاعة امدرمان في مبنى البوستة والتلغراف القديم مكان البنك التجاري الحالي حيث كان مرتادو السوق والمواطنون يحضرون لسماع الاذاعة امام هذا المبنى وميدان البوسطه سوق الموية وهي تبثهم الاخبار والوصلات الغنائية . ومن الشخصيات التي ساهمت بدور هام في الحياة الثقافية انطلاقاً من هذا السوق ومؤسسته شاعر العيون عبدالله النجيب الذي افنى عمرة موظفاً بالبريد والبرق ولكم اطرب المطربون الذين تغنوا باشعارة حول العيون. ولا ننسى الاخوين محبوب سراج الشاعر المرهف وشقيقة محمود سراج ابوقورة الذي ساهم بقدر كبير في اثناء فن الكوميدياء بالبلاد والشاعر محمد يوسف موسى والشاعر مصطفى سند وعمر الجزولي ومتوكل كمال والكثير الكثير مما لا تسعف الذاكرة بذكرهم . وفي سوق امدرمان كان الشاعر القومي الكبير ابراهيم العبادي يعمل كاتباً تجارياً لأنه كان بارعاً في نظم الشعر الغنائي فقد يتحكم اليه ناشئة الشعراء ومنهم سيد عبدالعزيز وعبيد الرحمن . كما ان حفل زواج التاجر الكبير بسوق امدرمان الشيخ بشير الشيخ هذا الحفل كان عبارة عن مهرجان تبارى فيه شعرا الحقيبة بتقديم ما كُتب في هذه المناسبة السعيدة من اغاني الكبار الشعراء من امثال العبادي والخليفة يوسف الحسن وغيرها.

الخاتمة :

اننا مهما تحدثنا وكتبنا عن امدرمان وسوقها الكبير العامر دائماً فلن نستطيع ان نحيط بهذا الامر نسبة لتشعبة واتساعة ولكننا نختم بان نقول بان سوق امدرمان مثل البوتقة التي انصهرت فيها السحنات السودانية وارتاده ابناء الجاليات من التجار وعشق دروبها زوقته الزوار والسياح ومن داخله انطلقت النهضة الاقتصادية والحركة الوطنية والبعث الثقافي لينداح خيراً وبركة تعم ارجاء وطننا العزيز الحبيب.

التوصيات:

1. ضرورة تسهيل حركة الدخول والخروج للسوق وانسياب الحركة.
2. جعل منطقة وسط السوق منطقة سياحية تمارس فيها النشاطات والحرف التي تستهوي الزوار والسياح ودارسي التراث.
3. اطلاق اسماء الرعيل الاول من التجار والذين ساهموا في نهضة السوق على بعض شوارع وميادين ومرافق السوق .
4. زيادة الاهتمام بترقية وصحة البيئة بالسوق ومرافقة.
5. السعي لاعادة فتح بعض المحلات مثل مقاهي يوسف الفكي وجورج مشرفي واعادة تأهيل دور السينما لتصبح جواذب سياحية .
6. ضرورة المحافظة على المباني القديمة باعتبارها مباني تراثية تعكس الوجه الحضاري لتلك الفترات وتشكل جواذب سياحية

الهوامش:

- (1) صلاح عمر صادق، دراسات سودانية في السياحة، مكتبة الشريف الاكاديمية للنشر والتوزيع الخرطوم 2008م، ص 87.
- (2) محمد ابراهيم ابو سليم ، تاريخ الخرطوم ، دار الجيل بيروت ، ط3، 1991م، ص 120.
- (3) عبدالقادر احمد عثمان، اسواق امدرمان واثرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية 1885-1956م، ط1 ، الدار العربية للنشر والتوزيع 2006م ، ص 51.

موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر ودورها في حركة التجارة الدولية (في الفترة 1450 - 1550م) (الطور وسواكن أنموذجا)

طالب دراسات عليا- دكتوراه- قسم التاريخ - جامعة -
İrimsiz Kaptan ibeli Üstisiretisi

أ. ماجد يحيى مجاهد لعجه

المستخلص:

لا شك أن الموانئ البحرية كانت وما تزال النافذة الأهم في عالم التجارة والاقتصاد، وأحد أعمدة مثلث النشاط التجاري الذي يقاس به مدى تقدم وازدهار أي بلد من عدمه، كما تُعد حلقة وصل مباشرة بين بلدان العالم، يتم من خلالها عمليات التلاقح الثقافي والحضاري خصوصا في عالم العصور الوسطى. نشأت على سواحل البحر الأحمر العديد من الموانئ منذ فترة قديمة جدا، تفاوتت في أهميتها الاقتصادية من ميناء إلى آخر، حسب ظروف الزمان والمكان، وأهمية الدولة التي تتحكم في هذا الميناء أو ذاك، ولكن الطابع العام الذي يمكننا قراءته هو أنها كانت موانئ ذات أهمية متقاربة نوعا ما، لأن البحر الأحمر يعتبر منظومة متكاملة ومترابطة في أغلب فتراته التاريخية، بسبب وحدة اللغة والدين التي تجمع أغلب الدول المطلة عليه، على عكس المسطحات المائية الأخرى. تنبع أهمية دراستنا من كونها تدرس موانئ ساحل البحر الأحمر الغربي (الطور وسواكن أنموذجا) في فترة تاريخية حرجة جدا، إذا ما علمنا بتعرض البحر الأحمر خلالها إلى تدافع قوى عالمية، مثل المماليك والعثمانيين والبرتغاليين الذين كان لوصولهم إلى الشرق أبلغ الأثر على إعاقة الحركة التجارية في البحر الأحمر. اقتضت خطة الدراسة أن نبدأ بتوطئة مختصرة عن الأهمية الجيوسياسية لساحل البحر الأحمر الغربي وموانئه، ودوره الرئيس في المحافظة على أمن التجارة الدولية في البحر الأحمر، ثم تسليط الضوء على مينائي الطور وسواكن باعتبارهما من أهم الموانئ ذات الطابع التجاري النشط خلال الفترة 1450-1550م، موضحين دورهما في إنعاش ورفد وتسهيل الحركة التجارية، وسيتم دراسة الموضوع بناء على المعطيات التاريخية للمصادر الأساسية، متبعين منهج البحث التاريخي الاستقصائي والمقارن لما من شأنه الاقتراب من الحقيقة التاريخية إن تعذر الوصول إليها.

الكلمات مفتاحية: موانئ، البحر الأحمر، ميناء الطور، ميناء سواكن، القرن الخامس عشر، القرن السادس عشر.

The ports of the western coast of the Red Sea and their role in the global trade movement in the period 1450-1550 AD (As a study sample, Al-Tur and Suakin)

Maged Yahya Mujahed Lajah

Abstract:

There is no doubt that seaports were and continue to be the most important window in the world of trade and economy, as well as one of the pillars of the commercial activity triangle that measures a country's progress and wealth. It is also a direct link between countries, allowing for cultural and civilizational cross-fertilization processes, particularly in the Middle Ages. Since very ancient times, numerous ports have sprung up along the Red Sea coasts. While the economic significance of each port varies depending on the time and place, the importance of the state controlling each port, and other factors, the general character that can be gleaned is that they were ports of close importance. Due to the unity of language and religion that most of the countries bordering the Red Sea share, unlike other bodies of water, the Red Sea has historically been thought of as an integrated and interconnected system. The importance of our study stems from the fact that it studies the ports of the western Red Sea coast (Al-Tur and Suakin as an study sample) in a very critical historical period, if we know that the Red Sea was exposed to the scramble of global powers such as the Mamluks, the Ottomans and the Portuguese, whose arrival in the East had a significant impact on impeding the commercial movement in the sea the Red. We will study the subject starting with a brief overview of the geopolitical importance of the western Red Sea coast and its ports and its main role in maintaining the security of international trade in the Red Sea. Also will shed light on the ports of Al-Tur and Suakin as one of the most important ports of an active commercial nature during the period 1450-1550 AD, explaining their role in reviving, supplying and facilitating the trade movement, and we will study the subject based on the historical data of the main sources, and we will follow the method of historical investigative and comparative research to what would approach From the historical truth if inaccessible.

Keywords: : Ports of the Red Sea, Port of Al-Tur, Port of Suakin, fifteenth century, sixteenth century.

مقدمة:

لا يكاد يخفى على أحد من الباحثين في مجال التاريخ والدراسات الاقتصادية الدور الكبير الذي لعبته موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر في القرنين الخامس والسادس عشر الميلاديين، كونهم شكلوا - مع موانئ الساحل الشرقي- عصب التجارة الدولية آنذاك، لإشرافهم على البحر الأحمر الذي شكل حلقة وصل أساسية بين الشرق والغرب.

انعكس موقع البحر الأحمر المتوسط بين الشرق والغرب انعكاسا إيجابيا على نمو وازدهار موانئه، وشكلت تلك الموانئ موردا اقتصاديا مهما للدول المطلة عليه أو المتحكمة فيه، وذلك من خلال ما كانت تدره من أرباح طائلة، عن طريق الضرائب والرسوم الجمركية على البضائع الصادرة والواردة. وتجدر الإشارة إلى أن أكبر عقبة واجهت الدول المطلة على البحر الأحمر والمتحكمة فيه كانت تتمثل في المحافظة على أمن واستقرار موانئه التي كانت تتعرض للاعتداءات، سواء من الغزو الخارجي أو اعتداءات البدو وقطاع الطرق من الداخل، مع العلم أن أكبر تهديد خارجي أضر بالبحر الأحمر وموانئه في فترة دراستنا هذه كان الغزو البرتغالي لأطرافه الجنوبية في بدايات القرن السادس عشر. ويهدف المقال إلى إيضاح الدور الذي لعبته موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر في الحركة التجارية في الفترة 1450-1450م، باعتبارها أهم الفترات التي تعرضت فيها تجارة البحر الأحمر للعوائق والاضطرابات. ونظرا لصعوبة تناول جميع موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر في هذا المقام، اخترنا مينائي الطور وسواكن كنموذجين لدراستنا، وذلك لاعتبارين أساسيين الأول: أنهما موانئ ذات طابع تجاري ومحوري مهم خلال هذه الفترة المحددة، والثاني: لقلّة وشح الدراسات البحثية لهذين الميناءين مقارنة بغيرها من الموانئ.

أهمية موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر:

يعتبر البحر الأحمر من أقدم البحار التي خاضها الإنسان للملاحة والتجارة، وقد ظل حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي أهم الطرق التجارية في العالم على الإطلاق، ولا شك في أن الدول المطلة عليه استفادت استفادة عظيمة خصوصا مصر، وذلك من خلال فرض نفوذها السياسي والاقتصادي عبر فترات التاريخ المختلفة. ففي عهد الفراعنة الأول فرضت مصر نفوذها على البحر الأحمر، ووصل أسطولها إلى بلاد بونط، أما البطالمة فقد كان لهم دور بارز ونشاط كبير في تجارة البحر الأحمر، فشجعوا التجارة، وأصبح البحر الأحمر ذا أهمية كبيرة في تجارتهم خصوصا خلال القرن الأول من حكمهم 300-200 ق.م⁽¹⁾. وبعد البطالمة جاء الرومان لحكم مصر، فاهتموا بالبحر الأحمر، وتولدت لديهم الرغبة في الوصول إلى الهند لهدف الحصول على منتجاتها، وقد طاف بالبحر الأحمر - أيام حكم الرومان لمصر (في أواخر القرن الثاني الميلادي) - ملاح يوناني مجهول الاسم، من أهالي بلدة بيرينيس، وترك أثرا مكتوبا بعنوان «الطواف بالبحر الإريتري» The Periplus of the Erytreaean Sea، ويؤكد هذا الكتاب، الذي يعد وثيقة مهمة لتجارة البحر الأحمر في العالم القديم، أن الدولة الرومانية أسست قواعد بحرية في عدن وفي أماكن أخرى من بلاد اليمن⁽²⁾. وعندما ضعفت الدولة الرومانية وتفوّق عليهم الفرس الساسانيون، تحولت طرق التجارة

القديمة من البحر الأحمر إلى الخليج الفارسي والعراق، وأصبح للفرس النشاط الأكبر في عالم التجارة، ووصلت سفنهم إلى الهند، الأمر الذي أدى إلى إضعاف النفوذ التجاري في البحر الأحمر. ولما جاء البيزنطيون عملوا على مقاومة الاحتكار الفارسي لتجارة الهند، وتحالفوا مع الحبشة لكسر ذلك الاحتكار، إلا أن محاولتهم باءت بالفشل⁽³⁾، وظل الوضع في سجال ونزاع بين البيزنطيين والأحباش من جهة والفرس من جهة أخرى حول السيطرة على تجارة البحر الأحمر حتى ظهر الإسلام، وبظهور الإسلام دخل البحر الأحمر مرحلة جديدة من تاريخه التجاري⁽⁴⁾. وبحلول العصر الإسلامي زادت أهمية البحر الأحمر بسبب قربيه من المقدسات الإسلامية، وربطه بين آسيا وأفريقيا وأوروبا. وقد عمل العرب على استغلاله اقتصاديا وسياسيا إلى أقصى حد، وتحولوا إلى سادة هذا البحر. ومن المعروف أن العرب والمسلمين تحكموا في أغلب طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب حتى نهاية القرن الخامس عشر، نظرا للموقع الجغرافي لبلادهم الذي تمر عبره التجارة الدولية⁽⁵⁾.

تنبع أهمية موانئ البحر الأحمر من أهمية البحر الأحمر نفسه، الذي يعد من أهم الممرات المائية العالمية خلال فترة دراستنا، كونه يربط بين شرق العالم وغربه، وتمر به أغلب تجارة العالم آنذاك، وبسبب تلك الأهمية فقد كانت سواحل وموانئ البحر الأحمر محط أطماع كثير من القوى الاستعمارية على مر التاريخ، كما تتجلى أهمية موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر في أنها نقطة اتصال قارة أفريقيا بالبحر الأحمر، ونقطة احتكاك شرق ووسط أفريقيا بالعالم آنذاك، ويتم عبرها تصدير منتجات شرق ووسط أفريقيا، ويتم عبرها نقل الحجاج من شرق ووسط أفريقيا إلى الموانئ الحجازية، كما شكلت موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر، ولا زالت، نقطة مهمة لأمن البحر الأحمر والجزيرة العربية، والتاريخ مليئ بالشواهد التي تؤكد ذلك، فخلال فترة دراستنا مثلا، نلاحظ أن خطط البرتغاليين في السيطرة على جدة وينبع والمخا كانت تقتضى السيطرة على سواحل البحر الأحمر الشرقية المقابلة لها. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن العلاقة بين موانئ البحر الأحمر الغربية والشرقية تفاوتت بين الدعم والمساندة أحيانا، والاحتكار والمنافسة أحيانا أخرى، لكنها في طابعها العام كانت علاقة تجارية إيجابية، ولم تقتصر تلك العلاقة على جانب بعينه، بل كانت أشبه بمنظومة متكاملة للجوانب التجارية والسياسية والعسكرية. وبقدر ما وفرت موانئ البحر الأحمر الغربية فرصا لأهلها بسبب موقعها المطل على البحر الأحمر، بقدر ما جلبت لها مخاطر، وجعلت القوى العالمية آنذاك تتطلع إلى السيطرة عليها، وأبرز تلك القوى البرتغاليون والمماليك والعثمانيون ثم الهولنديون والإنجليز والفرنسيون، وخلال فترة دراستنا شهد البحر الأحمر تواجد كل من القوى المملوكية والبرتغالية والعثمانية.

حاول البرتغاليون السيطرة على سواحل وموانئ البحر الأحمر الغربية في إطار محاولاتهم السيطرة على البحر الأحمر، وكانت أبرز محاولاتهم في الأعوام 1513م 1517م 1520م 1541م، وقد فشلوا في كل تلك المحاولات نتيجة لعوامل عديدة أهمها: العوامل الطبيعية التي يتمتع بها البحر الأحمر والمتمثلة في كثرة الشعاب المرجانية والعواصف البحرية التي أعاققت في كثير من الأحيان تحركاتهم داخل البحر الأحمر، بالإضافة إلى عدم تعاون مملكة الحبشة المسيحية معهم. وحسب

ما أوردته المصادر، فإن أهداف البرتغاليين من الوصول إلى البحر الأحمر وسواحه تلتخص في ثلاث نقاط رئيسية، أولاً: قطع الطرق التجارية التي كانت تمر بدولة المماليك أو التحكم بها وأخذ عائداتها، ثانياً: السيطرة على سواحل اليمن والحجاز والوصول إلى المقدسات الإسلامية، وأخيراً، محاولة الوصول إلى مملكة الحبشة المسيحية والتحالف معها، وكانت تسمى عندهم بمملكة القديس يوحنا⁽⁶⁾.

وقد تمكن البرتغاليون من الوصول إلى مداخل البحر الأحمر في بدايات العقد الثاني من القرن السادس عشر، بعد أن حققوا نجاحات في المحيط الهندي وسواحل الهند وهرمز، وتميزت سياستهم بالعنف والقسوة والتعصب الديني، وجاءوا إلى الشرق بأسلحة حديثة لم تكن معروفة لا في السواحل العربية ولا في الإمارات الهندية⁽⁷⁾.

أما المماليك فقد حرصوا على السيطرة على سواحل وموانئ البحر الأحمر الغربية لأسباب عدة، أهمها: وضع حد للأطماع البرتغالية الرامية إلى التوسع في البحر الأحمر، بالإضافة إلى استغلال تلك الموانئ اقتصادياً وعسكرياً، وتعود بداية التواجد المملوكي في سواحل البحر الأحمر إلى بدايات القرن السادس عشر، وذلك بعد أن أرسل السلطان المملوكي قانصوه الغوري حملة بحرية سنة 1505م بقيادة حسين الكردي لغرض صد الخطر البرتغالي الذي بدأ يهدد طرق التجارة الدولية، كما شكل تهديداً مباشراً لأطراف الدولة المملوكية الجنوبية. ومن الملاحظ أن الوجود المملوكي في سواحل وموانئ البحر الأحمر الغربية كان ضعيفاً نوعاً ما، إذا ما قارناه بالوجود العثماني، أو حتى بالوجود المملوكي في السواحل الشرقية.

أما العثمانيون فهم - أيضاً - اعتبروا سواحل وموانئ البحر الأحمر جزءاً لا يتجزأ من منظومة الدفاع عن البحر الأحمر والتجارة العالمية التي بدأ البرتغاليون في تهديدها آنذاك، وعملوا على إحكام السيطرة عليها، وأولوا للساحل الغربي وموانئه أهمية كبرى، توجت تلك الأهمية بالسيطرة على الحبشة وتحويلها إلى ولاية عثمانية في النصف الأول من القرن السادس عشر. وهكذا دخلت سواحل البحر الأحمر الغربية تحت السيادة العثمانية في النصف الأول من القرن السادس عشر، في إطار ضم العثمانيين للولايات العربية المطلة عليه والمتمتلة في مصر والحجاز واليمن والحبشة، وذلك بعد سقوط دولة المماليك في مصر سنة 1517م.

احتل البحر الأحمر مكانة خاصة عند العثمانيين نتيجة لموقعه الجغرافي الذي كان يمثل البوابة الجنوبية للإمبراطورية العثمانية آنذاك، بالإضافة إلى إشرافه على المقدسات الإسلامية في الحجاز. ويكاد يجمع أغلب المؤرخين على أن أهم سبب دفع العثمانيين إلى السيطرة على اليمن والبحر الأحمر كان ردع الخطر البرتغالي الذي بدأ يهدد العالم الإسلامي بشكل عام والجزيرة العربية والبحر الأحمر بشكل خاص، خصوصاً بعد وصولهم إلى هرمز عام 1507م وعدن عام 1513م. وبتوغل البرتغاليين في البحر الأحمر أصبحوا يشكلون تهديداً مباشراً للمقدسات الإسلامية في الحجاز، الأمر الذي وضع العثمانيين أمام مسؤولية مواجهتهم، إذا ما علمنا أن الدولة العثمانية كانت أكبر قوة في العالم الإسلامي آنذاك. وقد كانت حملة سليمان باشا الخادم⁽⁸⁾ عام 1538م أول حملة عثمانية هدفت إلى التحكم الفعلي المباشر في الأجزاء الجنوبية للبحر الأحمر.

موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر ودورها في تنشيط الحركة التجارية في البحر الأحمر
1450-1550م

تفاوتت الأدوار والأهمية بين موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر، فبعضها لعبت دورا تجاريا وبعضها أنيط بها دور عسكري، كما تفاوتت تلك الأهمية بين السلب والإيجاب، نتيجة لاعتبارات بشرية وطبيعية، ترجع الأولى إلى القوى والأنظمة التي تسيطر عليها، ومدى قوتها وضعفها، أما الثانية فتتعلق بالأحوال الطبيعية والجيولوجية لتلك الموانئ. وقد اخترنا هنا الحديث عن موانئالطور وسواكن لما لها من دور في الحركة التجارية في البحر الأحمر في الفترة 1450-1550م.

ميناء الطور:

جاءت تسمية ميناء الطور من اسم جبل الطور، وهو قريب من أيلة⁽⁹⁾، ويقع على الساحل الجنوبي الغربي لشبه جزيرة سيناء، على خليج السويس⁽¹⁰⁾، وقد شكل ميناء الطور أحد أهم موانئ البحر الأحمر في العصور الوسطى، وازدادت أهميته منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، بعد أن أصبح مركزا جمركيا للسلع الهندية ومعبرا رئيسيا للحجاج⁽¹¹⁾. وقد كان لقرب ميناء الطور من بر الحجاز عامل ساعد في ازدياد حركة الميناء التجارية، وكثرة وصول المراكب إليه على مر العصور، حيث كان يفضل التجار المرور عبره؛ لأن الذهاب إليه يسير بالقرب من البر، الأمر الذي يقلل من المخاطر البحرية⁽¹²⁾. ويذكر أن السفن الكبيرة لم تكن تصل إلى ميناء الطور من الهند مباشرة، بل كانت تفرغ حمولاتها في عدن أو جدة، ثم تتولى سفن أخرى نقل تلك البضائع في سفن صغيرة إليه، ثم تنقل تلك البضائع بالقوافل إلى القاهرة⁽¹³⁾.

ازدادت أهمية ميناء الطور بعد تحول ميناء السويس⁽¹⁴⁾ إلى ميناء عسكري في نهايات القرن الخامس عشر الميلادي، وما لبثت تلك الأهمية أن تراجعت تدريجيا بعد سيطرة البرتغاليين على مداخل البحر الأحمر الجنوبية⁽¹⁵⁾، وقد بقي حتى النصف الأول من القرن السادس عشر ميناء صالحا لاستقبال السفن التجارية بأنواعها، وأنشأ فيه المماليك قلعة للحراسة، ودبوانا لتحصيل الرسوم الجمركية⁽¹⁶⁾. ومن الملاحظ أن الازدهار التجاري لهذا الميناء كان مرتبطا بمدى ازدهار ميناء عيذاب⁽¹⁷⁾ من عدمه، فبقدر ما ينشط ميناء عيذاب نجده يؤثر عكسيا على ميناء الطور، والعكس من ذلك صحيح، نلاحظ ذلك من خلال إشارة القلقشندي الذي أشار إلى أن ميناء الطور بلغ أوج قوته وازدهاره من بعد سنة 1378م، وهي السنة التي تراجع فيها ميناء عيذاب⁽¹⁸⁾، ومن الملاحظ أن التأثير المتبادل بين مينائي الطور وعيذاب كان معياره الأساسي مدى ارتباط كل منهما بميناء جدة. شكل ميناء الطور محطة تجارية محورية في نقل السلع بين الشرق والغرب، فكانت تحط فيه السلع التجارية الآتية من الشرق، ثم يتم نقلها بالقوافل برا إلى القاهرة، كما كانت تمر عبره السلع التجارية الآتية من أوروبا والمتجهة إلى الهند والصين ودول حوض البحر الأحمر، وازدادت أهمية ميناء الطور أكثر خلال القرن الخامس عشر الميلادي، حيث كان محطة رئيسية لنقل الحجاج المسلمين القادمين من مصر والمغرب، أشار إلى ذلك القلصادي في رحلته، عندما ذكر أنه عندما أراد الحج سنة 1447م، ركب من ميناء الطور إلى ينبع⁽¹⁹⁾.

ازدادت أهمية ميناء الطور التجارية خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر، ووصفه ابن إياس بأنه يعادل بندر جدة⁽²⁰⁾، وكانت به مخازن ضخمة، وجمرك خاص بواردات الهند، وأتبع فيه نفس النظام التجاري الذي كان لميناء السويس، وكان ينشط العمل فيه في المواسم التجارية التي كانت تصل فيها بضائع الهند، والتي كانت عادة خلال شهري تشرين الثاني وكانون الأول، أما العودة فتعتمد على هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية خلال شهر نيسان⁽²¹⁾. كما كان محطة أساسية للحجاج سواء للمسلمين الذاهبين لمكة والمدينة، أو المسيحيين الوافدين إلى مصر من دير سانت كاترين⁽²²⁾. وما لبث ازدهار ميناء الطور التجاري أن تلاشى تدريجياً منذ وصول البرتغاليين إلى المياه الجنوبية للبحر الأحمر والمحيط الهندي كما ذكرنا سابقاً، وقلت القوافل الواردة إليه من البر والبحر⁽²³⁾؛ ليتحول دوره إلى ميناء عسكري، حيث خرجت منه بعض الحملات العسكرية لمواجهة البرتغاليين في بدايات القرن السادس عشر⁽²⁴⁾.

ميناء سواكن:

سواكن ميناء على الشاطئ الأفريقي للبحر الأحمر المواجه لليمن، شمال شرق السودان، احتل مكانة تجارية واستراتيجية مهمة على مر التاريخ، بسبب موقعه الجغرافي المهم، وكان يضاوي في أهميته ميناء جدة والمخا⁽²⁵⁾، وورد اسمه كميناء منافس أيام الصراع بين موانئ عدن وجدة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، بحيث كانت السفن التي تلاقى معاملة سيئة في عدن وجدة تتجه نحوه⁽²⁶⁾. وقد استفاد ميناء سواكن ونشط بسبب الخراب الذي لحق بعذاب على يد المماليك في النصف الأول من القرن الخامس عشر، الأمر الذي أدى إلى انتقال كثير من الناس والتجار إلى سواكن، وقد لعب دوراً كبيراً في تلك الفترة، وازدهرت حركة التجارة فيه، بعد أن أصبح ميناء عيذابغير صالح لخدمة الحركة التجارية آنذاك⁽²⁷⁾. واهتمت القوى الدولية التي كان لها موطن قدم في البحر الأحمر في الفترة 1450-1550م بميناء سواكن، وجعلته أشبه بمحطة رصد للحركة التجارية والعسكرية في البحر الأحمر، نلاحظ ذلك من زيارة الأسطول البرتغالي له سنة 1516م، لغرض معرفة أحوال موانئ البحر الأحمر ووضعها العام⁽²⁸⁾. وقد كانت للمماليك هيمنة عليه لفترات طويلة، وبالرغم من تلك الهيمنة إلا أنهم لم يولوه أهمية كبرى كالموانئ الأخرى مثل: جدة والسويس والطور. ويعتد ميناء سواكن من أهم مراكز بلاد الحبشة التي ورثها العثمانيون من المماليك بعد أن سيطروا على مصر⁽²⁹⁾، كما يعد المنفذ البحري الرئيسي لبلاد السودان والحبشة، وقد أدرك العثمانيون أن السيطرة على هذا الميناء تعني التحكم في ولاية الحبشة؛ لذلك حرصوا على السيطرة عليه، ونلاحظ ذلك من خلال الاهتمام الذي أبداه السلطان سليمان القانوني بأمر سواكن عندما ولي أوزدمير باشا عليه في النصف الأول من القرن السادس عشر، فقد شدد على أهمية بسط السيطرة العثمانية في الحبشة بشكل عام وسواكن بشكل خاص، الأمر الذي يؤكد أهمية سواكن ودوره الإستراتيجي في تدعيم السيطرة العثمانية في الأقاليم المحيطة به⁽³⁰⁾. وفي سنة 937هـ/1530، أحكم القائد العثماني سنان باشا السيطرة على سواكن ومصوع وزيلع، وذلك بعد أن تمكن من هزيمة الأسطول البرتغالي في البحر الأحمر، ثم عين في كل منها موظفاً تركيا ومعه

حامية صغيرة، وجعل الجميع تحت سلطة والي الحجاز، أما السلطة الإدارية فتركها بيد موظفين محليين⁽³¹⁾. وبدأت سواكن تفقد أهميتها في القرن السادس عشر، بسبب كثرة هجمات قطاع الطرق عليها، وسوء إدارتها، وأثبت هذا الميناء جدواه وأهميته التجارية والعسكرية في الفترة ما بين 1450-1550م، ليبدأ بالاضمحلال التدريجي بعد ذلك، حتى اقتصر دوره التجاري في النصف الثاني من القرن السادس عشر على التبادل مع ميناء جدة⁽³²⁾. ومن الموانئ الأخرى في الساحل الغربي للبحر الأحمر، وكان لها أهمية كبرى: ميناء السويس الذي كان له أهمية كبيرة خصوصاً في الجوانب العسكرية من تجهيز الحملات وصناعة السفن العسكرية. ومصوع الذي ورد عند كثير من المؤرخين والجغرافيين باسم باضع، وكان يتبع إمبراطور الحبشة المسيحية⁽³³⁾، وقد حاول البرتغاليون السيطرة عليه لما له من أهمية في تهديد ملاحه البحر الأحمر، وتمكنوا من احتلاله سنة 1520م، كما اهتم به العثمانيون منذ أن سيطروا على ولاية الحبشة في النصف الأول من القرن السادس عشر على يد القائد العثماني أوزدمير باشا، ومن الملاحظ أن أهميته كانت أهمية حربية وعسكرية بدرجة كبيرة، كونهم اتخذوه نقطة مهمة في سبيل إحكام السيطرة على سواحل الحبشة والجزء الجنوبي الشرقي من منطقة البحر الأحمر.

أما ميناء زيلع: فيعتبر من ضمن مراكز تجمع تجارة الحبشة والنوبة، وفيه كانت تعقد أسواق العبيد والمعادن. وفي نهايات القرن الخامس عشر وبدايات القرن السادس عشر كان من ضمن أملاك مملكة عدل الإسلامية، التي تعد من الإمارات الإسلامية في شرق أفريقيا، وكانت تربطهم علاقات ودية مع السلاطين والملوك خاصة في اليمن ومصر⁽³⁴⁾، وقد تعرض للتدمير من قبل البرتغاليين سنة 1513م، وذلك ضمن حملتهم على البحر الأحمر⁽³⁵⁾. وزاره القائد البرتغالي سواريز عام 1514م، ثم استولوا عليه ودمروه سنة 1518م⁽³⁶⁾، واستولى عليه الماليك سنة 1516م بقيادة القائد المملوكي حسين الكردي، وارتبطت مباشرة بالقاهرة، وعندما امتد نفوذ العثمانيين إلى سواحل البحر الأحمر الغربية كان زيلع أحد أملاكهم فيها، وجعلوه تحت إشراف حاكم جدة العثماني، تحت مسمى نيابة سواكن⁽³⁷⁾.

أما ميناء بربرة: فقد كان هو الآخر أحد أهم موانئ البحر الأحمر على الساحل الأفريقي، وكان يتبع حاكم الحبشة، ويذكر أنه كان يتردد عليه في مواسم التجارة ما لا يقل عن 10-15 ألف شخص، معظمهم يتاجرون في سلع الهند والصين والحبشة والنوبة، مثل العاج والقطن والتوابل. وقد دخله البرتغاليون عام 1518م ضمن حملتهم على البحر الأحمر آنذاك⁽³⁸⁾.

الخاتمة:

نخلص إلى القول أن موانئ ساحل البحر الأحمر الغربية لعبت دوراً مهماً وأساسياً في حركة التجارة الدولية على مر العصور، ولم يكن الدور الذي لعبته خلال الفترة 1450-1550م إلا امتداداً طبيعياً لتلك الأهمية التاريخية الطويلة، حيث كان يمر عبرها أغلب السلع العالمية وأهمها آنذاك، وكانت مراكز أساسية لتصدير بعض السلع مثل الرقيق والمعادن، وشكلت مورداً اقتصادياً مهماً للبلدان المشرفة عليها، من خلال عائداتها الجمركية والضريبية. وقد كان لمينائي الطور وسواكن دوراً

أساسيا في الحركة التجارية في البحر الأحمر في الفترة 1450-1550م، وكان لهما حضور في المجالين السياسي والعسكري، إضافة إلى كونهما جزءا لا يتجزأ من السياسة العامة للبحر الأحمر آنذاك. تفاوتت الأدوار والأهمية بين موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر، فبعضها لعبت دورا تجاريا، وبعضها أنيط بها دور عسكري، كما تفاوتت تلك الأهمية بين السلب والإيجاب، نتيجة لاعتبارات بشرية وطبيعية، ترجع الأولى إلى القوى والأنظمة التي تسيطر عليها، ومدى قوتها وضعفها، أما الثانية فتتعلق بالأحوال الطبيعية والجيولوجية لتلك الموانئ.

النتائج:

- لم تحظى موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر بالدراسات العلمية والاكاديمية الكافية خلال الفترة 1450-1550م، مقارنة ببعض موانئ الساحل الشرقي.
- لعبت موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر دور تجاري هام خلال الفترة 1450 - 1550م، وكانت محطات ترانزيت عالمية، تمر عبرها معظم السلع التجارية بين الشرق والغرب.
- شكل مينائي الطور وسواكن نقطة ارتكاز اساسية، ولعبا دور محوري في حركة التجارة في البحر الأحمر خلال الفترة 1450 - 1550م، كما كان لها أهمية سياسية وعسكرية، وشكلا نقاط انطلاق لبعض الحملات العسكرية المناهضة للبرتغاليين آنذاك.
- تفاوتت الأدوار والأهمية بين موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر، فبعضها لعبت دورا تجاريا، وبعضها أنيط بها دور عسكري، كما تفاوتت تلك الأهمية بين السلب والإيجاب، نتيجة لاعتبارات بشرية وطبيعية.

التوصيات:

- العمل على اظهار الأهمية التجارية لمواني البحر الأحمر بشكل عام وموانئ الساحل الغربي بشكل خاص من خلال الندوات والمؤتمرات العلمية التشاركية بين بلدان حوض البحر الأحمر.
- تشجيع الباحثين على تناول هذا الموضوعات من خلال تسهيل وصولهم للمادة العلمية، خصوصا تلك الوثائق المتناثرة في المكتبات والأرشفات المختلفة في دول حوض البحر الأحمر.

الهوامش:

- (1) القوسي، عطية، تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة، 2000م، ص 19-20.
- (2) القوسي، تجارة مصر في البحر الأحمر- مرجع سابق، ص 21.
- (3) أحمد محمد عيسى، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط (500-1100م)، مترجم، القاهرة، 1960م، ص 52-53.
- (4) القوسي، تجارة مصر في البحر الأحمر- مرجع سابق، ص 22.
- (5) الرمال، غسان علي محمد، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، 1981م، ص 27-28.
- (6) للمزيد عن علاقة البرتغاليين مع مملكة الحبشة في القرن السادس عشر انظر: الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، مرجع سابق، ص 79 وما بعدها.
- (7) أحمد، إبراهيم خليل، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516-1916م، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 2005م، ص 28-29.
- (8) سليمان باشا الخادم:- أحد خواص السلطان سليم الأول، وأحد المقربين منه، كان من الخصيان الذين تربوا في القصر السلطاني بين الحريم، وقد تولى حكم مصر عام 1525م، وقبله كان والي ولاية الشام، وظل والي مصر لحوالي عشر سنوات، شارك في فتح بغداد سنة 1534م، ثم عاد لولاية مصر للمرة الثانية في يناير سنة 1537م، واستمر بها حتى خرج في حملته المشهورة إلى اليمن والهند في يونيو عام 1538م. وقد وصل إلى اليمن والهند، ثم عاد إلى إسطنبول، وبعد رجوعه من الهند تولى الوزارة سنة 1538م، ثم الصدارة العظمى سنة 1540م، وقد اعتزل السياسة بعد ذلك بناء على خلاف نشب بينه وبين أحد الوزراء في الديوان السلطاني يدعى (خسرو باشا)، وأكمل باقي حياته في تركيا وتوفي فيها. انظر: حاجي خليفة، مصطفى عبد الله (ت 1658م)، فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار - تاريخ ملوك آل عثمان، تحقيق: د. سيد محمد السيد، أنقرة، مؤسسة تاريخ الأتراك للطباعة والنشر، ط 1، 2009م، ص 403.
- (9) الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج 4، ص 47-48.
- (10) العميرة، خالد محمد السالم، موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك 1250-1517م، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن، 2004م، 51. القلقشندي، أبي العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م، ج 3، ص 469.
- (11) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، منشورات وزارة الثقافة، مصر، 1963م، ج 8، ص 152.

- (12) القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج3، ص469.
- (13) فهمي، نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص134-135.
- (14) ميناء السويس/ القلزم: يقع ميناء السويس على الساحل الغربي للبحر الأحمر، بالقرب من رأس خليج السويس، وبينه وبين القاهرة ثلاث مراحل، والقلزم هي السويس الآن أو على بعد ميل واحد منها إلى الشمال. ومنذ القرن الثالث عشر الميلادي بدأ ميناء القلزم في التلاشي، وبدأ السويس يحل محله شيئاً فشيئاً، وقد ازدهر السويس وساهم في الحركة التجارية في البحر الأحمر خصوصاً في نقل الغلال من مصر إلى الحجاز، وكان أحد الموانئ الأساسية التي ترصد الخزينة المملوكية، وكانت تصل إليه السفن التجارية محملة بالبضائع من ميناء جدة، ثم تحمل تلك البضائع على الجمال عبر الصحراء إلى القاهرة، ثم عبر النيل إلى الإسكندرية فالبحر المتوسط وأوروبا. ومع بدايات القرن السادس عشر تحول ميناء السويس إلى ميناء حربي، وشكل أهمية عسكرية كبرى، وبنيت به ترسانات السفن الحربية، فمنه أرسل المماليك حملة حسين الكردي عام 1505م، ومنه كذلك أرسل العثمانيون حملة سنان باشا الخادم سنة 1538م إلى اليمن والهند. وبعد أن تحول ميناء السويس إلى ميناء مصر الحربي على البحر الأحمر، قام المماليك بتنشيط ميناء الطور ليقوم بالمهام التجارية التي كان يقوم بها. (أبو الفداء، تقويم البلدان، ص117. عبد العليم، الملاحه وعلوم البحار عند العرب، ص79. للمزيد حول دور ميناء السويس كقاعدة بحرية عسكرية انظر: بوسان، إدريس، أهمية ترسانة السويس وجدة وموفا في الصراع العثماني البرتغالي في البحر الأحمر، الندوة الدولية حول اليمن في العهد العثماني - ديسمبر 2009م - صنعاء، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 2011م، الصفحات 37-43. العميرة، موانئ البحر الأحمر، مرجع سابق، ص55. نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية، مرجع سابق، ص134.
- (15) خليل، سعيد صالح موسى، التجارة الداخلية في دولة المماليك الثانية، 1382-1516م، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1992م، ص99. فهمي، طرق التجارة، ص136.
- (16) العميرة، موانئ البحر الأحمر، مرجع سابق، ص51.
- (17) يعد ميناء عيذاب أحد أهم موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر، يقع مقابل ميناء جدة على الساحل الشرقي، ظهر كميناء دولي هام ابتداءً من القرن الحادي عشر الميلادي، ثم أخذت تلك الأهمية بالازدياد، وقد وصف ابن جبير في رحلته كثافة الحركة التجارية فيه، وأنواع السلع الواردة إليه، ومدى الأمن والاستقرار على الطرق التي ترتبط به، وصفه المقرئزي وابن إياس في زمانهم بأنه من أعظم مراسي الدنيا. وخلال الفترة 1450-1550م لم يكن لميناء عيذاب دور كبير في التجارة ولا في نقل الحجاج، فكان قد تلاشى دوره وأهميته في عهد دولة المماليك الثانية، خصوصاً بعد أن أغار عليه السلطان المملوكي برسباني عام 1426م، تأديباً وانتقاماً من سكانه الذين هاجموا قافلة مصرية كانت في طريقها إلى مكة، فقتل وأحرق ودمر كل شيء في عيذاب حتى فر معظم سكانه إلى سواكن. (المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، تحقيق:

- محمد زينهم - مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م، ص 566-567. ابن إياس، نزهة الأعم في العجائب والحكم، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م، ص 196. زين، نعيمة شديد محمد، أهمية الموانئ السودانية للتجارة الدولية عبر البحر الأحمر خلال العصر الإسلامي/ مجلة جامعة الملك عبد العزيز، مجلد 13، 2000م، ص 366. (376-351)
- (18) الفلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج 3، ص 537.
- (19) القلصادي، أبي الحسن علي، رحلة القلصادي، تحقيق: محمد أبو الاجفان، الشركة التونسية للنشر، تونس، 1978م، ص 129-130.
- (20) العميرة، موانئ البحر الأحمر، مرجع سابق، ص 53. ابن إياس، شهاب الدين أحمد، نشق الأزهار في عجائب الأقطار، مخطوط رقم 1052، ص 241.
- (21) حوراني، جورج فضلوا، العرب والملاحاة في المحيط الهندي، ترجمة، السيد يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 220-221. عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، منشورات دار المعرفة، الكويت، العدد 151، يوليو 1990م، ص 87.
- (22) فهمي، الطرق التجارية، مرجع سابق، ص 134-135.
- (23) فهمي، الطرق التجارية، مرجع سابق، ص 136.
- (24) ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ج 4، ص 103.
- (25) الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج 3، ص 276.
- (26) فهمي، طرق التجارة الدولية، مرجع سابق، ص 141.
- (27) حمد، حاتم الصديق محمد، إدارة سواكن في العهد العثماني، مجلة القلزم، مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر، الخرطوم، العدد الأول، إبريل 2020م، ص 48. (الصفحات 46-62).
- (28) ضرار، محمد صالح، تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الدار السودانية للنشر، الخرطوم، ط 1، 1981م، ص 42.
- (29) سالم، سيد مصطفى، الفتح العثماني الأول لليمن، القاهرة، دار الأمين، ط 5، 1999، ص 429.
- (30) سالم، الفتح العثماني، مرجع سابق، ص 211.
- (31) ضرار، تاريخ سواكن، مرجع سابق، ص 52.
- (32) زين، أهمية الموانئ السودانية، مرجع سابق، ص 370.
- (33) سالم، الفتح العثماني، مرجع سابق، ص 90.
- (34) سالم، الفتح العثماني، مرجع سابق، ص 85.
- (35) بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي ت 947هـ قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دار المنهاج، جدة، ط 1، 2008م، ج 6، ص 568.
- (36) فهمي، طرق التجارة الدولية، مرجع سابق، ص 142.
- (37) سالم، الفتح العثماني، مرجع سابق، ص 103.
- (38) فهمي، طرق التجارة الدولية، مرجع سابق، ص 142.

المصادر والمراجع:

- (1) أحمد، إبراهيم خليل، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516-1916م، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 2005م.
- (2) ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ج4.
- (3) ابن إياس، نزهة الأُمم في العجائب والحكم، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.
- (4) ابن إياس، شهاب الدين أحمد، نشق الأزهار في عجائب الأقطار، مخطوط رقم 1052.
- (5) بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي تـ 947هـ، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دار المنهاج، جدة، ط1، 2008م، ج6.
- (6) بوسان، إدريس، أهمية ترسانة السويس وجدة وموفا في الصراع العثماني البرتغالي في البحر الأحمر، الندوة الدولية حول اليمن في العهد العثماني - ديسمبر 2009م - صنعاء، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 2011م.
- (7) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، منشورات وزارة الثقافة، مصر، 1963م، ج8.
- (8) حاجي خليفة، مصطفى عبد الله (ت1658م)، فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار - تاريخ ملوك آل عثمان، تحقيق: د. سيد محمد السيد، أنقرة، مؤسسة تاريخ الأتراك للطباعة والنشر، ط1، 2009م.
- (9) حمد، حاتم الصديق محمد، إدارة سواكن في العهد العثماني، مجلة القلزم، مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر، الخرطوم، العدد الأول، إبريل 2020م، (الصفحات 46-62).
- (10) الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج4، ص47-48.
- (11) حوراني، جورج فضلوا، العرب والملاحه في المحيط الهندي، ترجمة، السيد يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، ص220-221.
- (12) خليل، سعيد صالح موسى، التجارة الداخلية في دولة المماليك الثانية، 1382-1516م، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1992م، ص99. فهمي، طرق التجارة.
- (13) الرمال، غسان علي محمد، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، 1981م.
- (14) زين، نعيمة شديد محمد، أهمية الموانئ السودانية للتجارة الدولية عبر البحر الأحمر خلال العصر الإسلامي/ مجلة جامعة الملك عبد العزيز، مجلد 13، 2000م.
- (15) سالم، سيد مصطفى، الفتح العثماني الأول لليمن، القاهرة، دار الأمين، ط5، 1999.
- (16) ضرار، محمد صالح، تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الدار السودانية للنشر، الخرطوم، ط1، 1981م.

- (17) عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، منشورات دار المعرفة، الكويت، العدد 151، يوليو 1990م.
- (18) العميرة، خالد محمد السام، موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك 1250-1517م، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن، 2004م.
- (19) عيسى، أحمد محمد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط (500-1100م)، مترجم، القاهرة، 1960م.
- (20) فهمي، نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973.
- (21) القلصادي، أبي الحسن علي، رحلة القلصادي، تحقيق: محمد أبو الجفان، الشركة التونسية للنشر، تونس، 1978م.
- (22) القلقشندي، أبي العباس احمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م، ج3.
- (23) القوصي، عطية، تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة، 2000م.
- (24) المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، تحقيق: محمد زينهم - مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م.

تطور العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية وتأثيرها على لبنان (1383 - 1387 هـ / 1964 - 1967 م)

باحثه دكتورة - قسم التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية

أ. وضى ملفي منفلح الخزامي

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى تقديم حقائق تاريخية إلى القارئ العربي والمدرسة الأكاديمية، وللمهتمين بالشأن التاريخي والعلاقات الدولية، فأن المتتبع لسير الأحداث خلال الحرب الباردة يرصد نشاط الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة العربية ومحاولاتها الدائمة والمتكررة في تكريس الهيمنة الإسرائيلية على الأراضي العربية في فلسطين وجنوب لبنان، ومن هذا المنطلق تقدم الدراسة حقائق على العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية وتأثيرها على لبنان في سياقها التاريخي بين عامي 1964_1967، فقد اقدمت واشنطن على تسليح إسرائيل بالمعدات العسكرية الحديثة آنذاك، والوقوف إلى جانبها وبشكل غير مباشر في حرب عام 1967، حيث اسهمت المساعدات الأمريكية لإسرائيل في تفكيك الواقع السياسي والحزبي في لبنان بسبب إنقسام الرأي العام فيها بين معارض للسياسة الأمريكية اعلاه وتبنتها الأحزاب والقوى التقدمية والأسلامية، وبين مؤيد لها وتبنى هذه الرؤية الأحزاب والتيارات المسيحية، سلط البحث الضوء على المساعدات الأمريكية لإسرائيل وتأثيرها على لبنان سياسياً واقتصادياً بقدر تعلق الأمر بفترة الدراسة. تكمن أهمية هذا البحث في دراسة جانب مهم من العلاقات الأمريكية الإسرائيلية في فترة يعيش فيها العالم العربي صراعات و تغيرات متصاعده على كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية. حيث كانت الولايات المتحدة الأمريكية على وعي وأدراك للخلافت العربية القائمة وحدث فيها إسرائيل الفرصة لتغيير الوضع الراهن وخلق واقع جديد تفرض فيه كيانها كادولة ذات شرعية في الوطن العربي. ويسلط البحث الضوء على حقيقة الموقف الأمريكي من أحداث عام 1967م وصراع الأسرائيلي العربي وتأثيره على الواقع اللبناني، بالإضافة لأهمية هذا البحث أنه يعتمد على الوثائق الأمريكية والعربية التي تعزز من البناء الأكاديمي للدراسة وتكشف الحقائق التاريخية المجردة. تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي والتحليلي للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية في فترة تاريخية معينة من خلال اعتمادها على المصادر والوثائق التي تساعد على تقديم دراسة أكاديمية موثقة وشاملة لتتبع سير الحدث التاريخي. توصل البحث لعدد من النتائج تعرض كما يلي: شكلت الصراعات السياسية داخل الدول العربية والمحيطية بإسرائيل. فرصة لإسرائيل لتحقيق أطماعها التوسعية. حاجة الولايات المتحدة الأمريكية في تلك المرحلة لدعم دولي لسياستها الخارجية بعد تورطها في حرب فيتنام. وبالأخص حاجة الرئيس الأمريكي ليندون جونسون لتأييد داخلي أكثر خاصة من الجماعات اليهودية بسبب سيطرتها على وسائل الإعلام الأمريكي. رأت الولايات المتحدة الأمريكية في إسرائيل ذخيرة استراتيجية ضد حركات التحرر والأستقلال الوطني في الشرق الأوسط. قوة النفوذ اليهودي على البيت الأبيض والخارجية الأمريكية خاصة في عهد إدارة الرئيس ليندون جونسون. وتكشف الوثائق ارتباط إسرائيل بعلاقات قوية مع الاستخبارات الأمريكية. توصلت الدراسة الى أن صنع القرار الأمريكي يقع تحت تأثير كثير من الأطراف كاجتماعات الضغط، وأجهزة الاستخبارات ووسائل الإعلام والرأي العام وتسهم في تشكيل السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.

الكلمات المفتاحية: العلاقات ، الأمريكية ، الإسرائيلية ، لبنان، الشرق الأوسط

The development of American-Israeli relations and their impact on Lebanon

(1964_1967 AD / 1383- 1387 AH)

Wadahaa Milafiy Muflih Alkhudhami

Abstract:

The study aims to provide historical facts to the Arab reader and the academic school, and to those interested in historical affairs and international relations. The follower of the course of events during the Cold War monitors the activity of the United States of America in the Arab region and its permanent and repeated attempts to perpetuate Israeli hegemony over the Arab lands in Palestine and southern Lebanon, and from this As a starting point, the study presents facts about US-Israeli relations and their impact on Lebanon in its historical context between 1964-1967. Washington armed Israel with modern military equipment at the time, and indirectly stood by it in the 1967 war, Where the American aid to Israel contributed to dismantling the political and partisan reality in Lebanon because of the division of public opinion in it between opponents of the above American policy and its adoption by the progressive and Islamic parties and forces, and between supporters of it and the adoption of this vision by Christian parties and currents, and thus the research sheds light on American aid to Israel and its impact on Lebanon politically And economically as far as the study period is concerned. The importance of this research lies in studying an important aspect of American -Israeli relations in a period in which the Arab world lives, struggles and escalating changes in all political, economic and social aspects. Where the United States of America was aware and aware of the existing Arab crossroads, in which Israel found the opportunity to change the current situation and create a new reality in which its entity imposes a legitimacy in the Arab world. The research highlights the reality of the American position on the events of 1967 AD and the Arab -Arab struggle and its impact on the Lebanese reality, in addition to the importance of this This research depends on the American and Arab documents that enhance the academic construction of the study and reveal the abstract historical facts. The study depends on the historical and analytical approach to American -Israeli relations in a specific historical period through its dependence on the sources and documents that help to provide a documented and comprehensive academic study to track the course Historical event. The research reached a number of results presented as follows: Political conflicts were formed within the Arab countries surrounding Israel. An opportunity for Israel to achieve its expansionary ambitions. The need of the United States of America at that stage to international support for its foreign policy after its involvement in the Vietnam War. In particular, US President Lindon Johnson needs more internal support, especially from Jewish groups because of its control over the American media. The United States of America saw in Israel astrategic ammunition against the liberation movements and national independence in the Middle East. The power of Jewish influence over the White and Foreign Ministry.

المقدمة:

شهدت السنوات الأخيرة اهتماماً متزايداً من الباحثين والأكاديميين دراسة علاقة الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل وتأثيرها على المنطقة العربية، وكانت حصة هذا الاهتمام عدداً لا بأس به من البحوث الأكاديمية والرسائل والأطاريح الجامعية، تناولت جوانب شتى من علاقة الولايات المتحدة مع إسرائيل والدول العربية، وتأني هذه الدراسة ضمن سياق هذه الجهود إذ تناولت الدراسة المرحلة التي شهدت فيها السياسة الأمريكية وعلاقتها مع إسرائيل تدخلا مباشرا او غير مباشر في شؤون الوطن العربي عموماً، وحاولت أن تسلط الضوء على تغلغلها وتدخلها وعلاقتها في لبنان بشكل خاص .

عاجت الدراسة تطور العلاقات الأمريكية- الإسرائيلية بين عامي 1964 حتى عام 1967، فقد كشفت الدراسة وبالوثائق عن تطورت الولايات المتحدة الأمريكية ومساندة إسرائيل في صراها الدائر مع الدول العربية وانعكاس ذلك على لبنان، خصوصاً حرب 1967 وتأثيرها في العلاقات اللبنانية - الأمريكية، فقد حرصت الأخيرة ومنذ قيام إسرائيل عام 1948 وحتى حرب حزيران 1967 على اضعاف طابع السرية على علاقاتها مع إسرائيل، ولهذا جاء دور الباحث في لقاء الضوء على طبيعة هذه العلاقة التي ادت إلى مكاسب كبرى لإسرائيل وبالتالي تغلغلها في لبنان فيما بعد مستغلة الدعم الأمريكي ورضوخ المجتمع الدولي انذاك.

اعتمدت الدراسة على مجموعة متنوعة من المصادر والوثائق التي غطت وأغنت جوانب مختلفة من الموضوع، حيث كان لوثائق وزارة الخارجية الأمريكية دوراً كبيراً ومهماً في رصد الدراسة وتزويدها بمعلومات ساهمت في تشكيل صورة الحدث التاريخي الذي عالجته الدراسة ، فقد اعتمدنا على المجلد الثامن عشر من الوثائق الأمريكية إذ ركز على الصراع العربي - الإسرائيلي 1964 - 1968 أي في حقبة الرئيس الأمريكي جونسون ، فقد تناول أحداث البلاد العربية بشكل عام ولبنان من ضمنها ، وتضم هذه الوثائق مادة غنية نقلها الدبلوماسيون العاملون في المنطقة العربية ولاسيما لبنان، وعلى الرغم من أحادية نظرة هذه الوثائق في إبراز السياسة الأمريكية في المنطقة العربية إلا أن أي باحث يروم الكتابة عن العلاقات الأمريكية- الإسرائيلية بحاجة إلى الرجوع إليها والإفادة منها، فضلاً عن الوثائق الفلسطينية والتي اسهمت بشكل كبير في تغطية الدراسة والمضمون، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من المصادر الأجنبية والعربية والصحف والمجلات.

تطور العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية وتأثيرها على لبنان:

اتسمت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية منذ عام 1964م 1383-هـ بطابع الصداقة التي شارفت حد التحالف غير المعلن رسمياً بين الجانبين وقد اوضح الرئيس جونسون في كلمة القاها مستشاره الخاص مايرفد لمان (Mire Fiddleman) في مؤتمر ((المنظمة الصهيونية - الأمريكية)) في أكتوبر 1964م 1383-هـ، ان حجر الزاوية في العلاقات الإسرائيلية الأمريكية هو ايمان الولايات المتحدة بأن ((إسرائيل وجدت لتبقى)) وتمسكها ((بكل ما في وسعها)) في تأكيد ذلك⁽¹⁾، كما توثقت العلاقات بين الجانبين بصورة متميزة عن الأعوام السابقة لان في عام 1964م 1383-هـ، وبسبب اجراء

انتخابات الرئاسة الأمريكية ولسعي الحزب الديمقراطي، والرئيس جونسون لكسب الاصوات اليهودية في الولايات المتحدة بالتقرب من اسرائيل والصهيونية لذا حمي وطيست المداھنة السياسة حول موضوع الشرق الأوسط بغية كسب الأصوات⁽²⁾. وقد حرصت الولايات المتحدة الأمريكية، منذ قيام « اسرائيل » عام 1948م 1367-هـ، وحتى حرب يونيو عام 1967م 1393-هـ، على احاطة علاقاتها مع اسرائيل بغموض متعمد وعلى استخدام مختلف اشكال التمويه لإخفاء حقيقة وخصوصية هذه العلاقات وذلك من خلال توزيع الأدوار على عدد من الدول الغربية مثل فرنسا وبريطانيا والمانيا الغربية، للقيام بدور الوسيط لايصال المساعدات الاقتصادية والعسكرية الأمريكية لاسرائيل وفي تقديم التغطية السياسية لأعمالها العدوانية⁽³⁾.

إن الأحداث التي خيمت على الشرق الأوسط قبل حرب 1967م 1386-هـ، هي حيلة تطورين رئيسيين في علاقات الولايات المتحدة باسرائيل، فقد حدث التطور الاول على صعيد الأمدادات العسكرية الأمريكية لإسرائيل وتناول، شكيلات تسليح اسرائيل وكمية ونوعية هذا التسليح، والتطور الثاني، على صعيد الاستراتيجية الأمريكية الدولية، ولابد من الاشارة على أن وجود جونسون على رأس الإدارة الأمريكية في هذه المرحلة وما أظهره من تجاوب كلي مع الرغبات الصهيونية، وربما من خضوع لها، كان عاملاً حيوياً في حصول التطورين المذكورين⁽⁴⁾، ان جونسون قد غير خلال مدة رئاسته طبيعة العلاقات الأمريكية الإسرائيلية بشكل جذري وغير بالتالي العلاقات مع الحكومات العربية، فأبعدھا عن الارضية الاكثر حياداً التي كان كينيدي يتظاهر بها، وينطلق منها⁽⁵⁾. وان التطور الأول، مارسته امريكا فقد ساهمت في تزويد « اسرائيل » بالأسلحة بطريقة غير مباشرة عن طريق المانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا، لاسيما عندما قام رئيس الوزراء الإسرائيلي ليفي اشكول بزيارة واشنطن في يونيو 1964م 1383-هـ، وابلغھ جونسون ان الولايات المتحدة ستساعد اسرائيل بكل وسيلة ممكنة للحصول على الدبابات البريطانية والالمانية⁽⁶⁾. وعلى الرغم من ذلك قامت الولايات المتحدة بتنفيذ قرارھا بامداد اسرائيل بـ 250 دبابة من طراز ام-14، و48 طائرة من طراز أي - 1 سكاي هوك (A-1 Sky Hook)، وتعهدت رسمياً بارسال دفعة من الطائرات من طراز اف 4 (F.4)، وطائرات ال اف - 4 (L.F.4) وهي اكثر تفوقاً بما لا يقاس من طائرات الميغ التي كانت تشكل بدورها عماد القوات الجوية المصرية والسورية كان من شأنھا منح اسرائيل القدرة التي كانت تفتقدها لتنفيذ غارات اختراقية في عمق الاراضي المصرية فيما بعد⁽⁷⁾.

إن السياسة الأمريكية تجاه المنطقة العربية وردة من لدى دين راسك وزير الخارجية الأمريكية من خلال المذكرة التي ارسلھا الى الرئيس جونسون والتي طالب الرئيس فيها، العمل بها إذ نصت على ما ياتي: ((يمكننا الحفاظ على علاقات مقبولة مع القاهرة، وهناك امكانية للاستمرار في تعزيز انظمة وقدرات الاردن والمملكة العربية السعودية ولبنان))، فضلاً عن ذلك ينبغي الاستثمار في التنافس مع الاتحاد السوفيتي في الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق من خلال تقديم بدائل للاعتماد الكامل على السوفييت، ويشمل ذلك استمرار برامج الغذاء من أجل السلام، واستعداداً لبيع معدات عسكرية الى الأردن ولبنان والمملكة العربية السعودية⁽⁸⁾.

وظهر التطور الثاني، على صعيد الاستراتيجية الأمريكية بشكل واضح عام 1966م 1386هـ، التي عبر عنها وزير الدفاع الأمريكي، روبرت مكنمارا (Robert McNamara)، في خطاب القاه في منتريال (كندا) وكشف فيه عن سياسة الولايات المتحدة التي ((تقوم على تشجيع تلك الدول التي تستطيع - ويجب عليها - ان تساهم في المسؤولية الدولية للمحافظة على السلام والتوصل الى تعاون عام مثمر معها))⁽⁹⁾، ولأشك ان تسليح اسرائيل بأسلحة «تفوق حاجتها الدفاعية» مرتبط عملياً، بهذا التحول في التخطيط الاستراتيجي الأمريكي، وقد دعت اسرائيل هذا التحول واستوعبته منذ موافقة حكومة جونسون على تزويدها بالسلاح مباشرة⁽¹⁰⁾، وتجدر الإشارة هنا الى ان (75) عضواً من اعضاء مجلس النواب الأمريكي بعثوا برسالة جماعية الى راسك وزير الخارجية في 3 فبراير 1966م- 1386هـ، تطالب بزيادة تسليح اسرائيل خشية هجوم خاطف عليها ((على نحو لا يستطيع التدخل الخارجي ان يمنعه))⁽¹¹⁾.

لقد زادت نسبة المعونات العسكرية من جملة المساعدات الأمريكية الى اسرائيل من 20 % في عام 1965م 1385هـ الى 70 % في العام التالي، وصار يعبر عن هذا الانحياز في سائر ارجاء الولايات المتحدة بأن الكونكرس قد تحول الى ((مصرف لإسرائيل))⁽¹²⁾، فقد كانت ميول الكونكرس والشعب الأمريكية منحازة لاسرائيل علماً أن في تلك الفترة ازدادت مصالح الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في المنطقة العربية، التي قدمت المعونات لمصر وسوريا والعراق⁽¹³⁾. ساهمت المواقف الأمريكية المؤيدة لاسرائيل لاسيما في المجالين العسكري والاستراتيجي الى ازدياد مواقف اسرائيل العدوانية تجاه الدول العربية بالإضافة الى انتهاج السياسة الأمريكية سياسة أكثر تواطؤ مع اسرائيل يقابله عداء وتوتر في العلاقات الأمريكية - العربية، لان من احد اسباب التوتر ايضا، استراتيجية الولايات المتحدة في المنطقة وهي تعارض مصالح الدول العربية وتظهر مصالح الولايات المتحدة في المنطقة من خلال مذكرة وزير الخارجية راسك الى الرئيس جونسون في 1 فبراير 1965م 1385هـ، وصدرت المذكرة حول المصالح الأمريكية في المنطقة :

1. صون السلام للحفاظ على حرية وسلامة اسرائيل والدول الأخرى في المنطقة .
 2. سهولة الوصول والحرور عبر المنطقة عن طريق الجو والبحر والبر .
 3. استمرار تدفق النفط، وتوافر حركتها الاقتصادية لاوروبا .
 4. حرمان أي جزء من المنطقة من السيطرة الشيوعية .
- وذكر راسك ان الدفاع عن هذه المصالح الكبرى (هو شغلنا الأساس)⁽¹⁴⁾، وفي ظل تلك الاجواء المشحونة بالتوتر في محاولة منها لتطوير جيشها لاسيما في ظل المخاوف التي بدأت تثير حفيظة الحكومة اللبنانية من صفقات الاسلحة الأمريكية لاسرائيل، وقعت الحكومة اللبنانية في 4 فبراير 1966م 1386هـ اتفاقية مع فرنسا بخصوص تقديم معونات عسكرية فرنسية الى لبنان هذه المعونات التي لم تساهم كثيراً في تطوير اسلحة الجيش اللبناني⁽¹⁵⁾.
- اثارت السياسة الأمريكية تجاه اسرائيل مخاوف واحتجاج الحكومة اللبنانية لانها رأت في تلك السياسة تأجيج الصراع العربي - الاسرائيلي وعدت سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق

الأوسط بمثابة اعطاء الضوء الاخضر لإسرائيل لشن اعتداءات على البلاد العربية المجاورة لها ، لذلك وجب على الأوساط السياسية والدبلوماسية في لبنان ان تتحرك في سبيل الضغط على سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط، فقد استدعى جورج حكيم وزير الخارجية والمغتربين اللبنانيين في 8 فبراير عام 1966م 1386-هـ، دوايت بورتير السفير الأمريكي في بيروت، واعرب له عن قلق لبنان لصفقة الأسلحة الأمريكية إلى إسرائيل ، واكد حكيم للسفير ان هذه الصفقة تزيد قوة إسرائيل العدوانية ، الا ان بورتير صرح اثر المقابلة ان بلاده باعت الأسلحة لإسرائيل وفقاً لسياستها ببيع اسلحة بين آن وآخر ، لاغراض الدفاع لبلدان الشرق الادنى وهي لا تستطيع ان تقف موقف اللامبالاة من تدفق الاسلحة الى هذه المنطقة⁽¹⁶⁾.

كما ان الوزير اللبناني حكيم ادلى في 15 فبراير ببيان امام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب اللبناني اكد فيه التزام لبنان بميثاق جامعة الدول العربية ، ومعاهدة الدفاع المشترك ، ومقررات القمة العربية ، وقد ادلى حكيم بهذا البيان اثناء مناقشة موضوع ((الحلف الإسلامي)⁽¹⁷⁾ وقد اكد استنكار⁽¹⁸⁾ لبنان أن ((لكل عمل مهما كان مصدره من شأنه ان يعزز القوى العدوانية المتربصة في إسرائيل))⁽¹⁹⁾، وفي 27 أبريل 1966م 1385-هـ تحدث عبد الله اليافي رئيس الحكومة اللبنانية، في بيانه الوزاري عن الأحلاف والتكتلات واعلن رفض حكومته لها ، كما اعلن تمسك لبنان بميثاق الجامعة العربية والتزامه بمعاهدة الدفاع العربي المشترك ومقررات مؤتمرات القمة⁽²⁰⁾.

ادركت الولايات المتحدة تنامي الرفض العربي تجاه سياستها في المنطقة فسعت الى تخفيف التوتر عن طريق ارسال الدبلوماسيين الى المنطقة فضلاً عن انها كانت لا تزال ترغب في زيادة نفوذها في المنطقة عن طريق تقوية إسرائيل عسكرياً وتهئية الاجواء لزيارات الأسطول السادس الأمريكي في المنطقة العربية لاسيما ميناء بيروت ، فقد ارسلت في 25 أبريل 1966م 1385-هـ ريموند ارثر هير (Rymond Arther Her) مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأدنى وجنوب اسيا ، الذي وصل الى بيروت قادماً من عمان لترؤس مؤتمر للدبلوماسيين الأمريكيين في الشرق الأوسط ، وانعقد المؤتمر في 27-28 أبريل 1966م 1385-هـ في بيروت الذي ترأسه ريموند ارثر هير ، بحث المشاكل السياسية والاقتصادية للمنطقة ، ومن الجدير بالملاحظة ان الصحف السورية هاجمته ووصفته بأنه ((مؤامرة)) فضلاً عن ذلك فان المؤتمر كان يعقد اثناء زيارة يقوم بها الاسطول السادس الأمريكي الى بيروت⁽²¹⁾ . وفي الصد ذاته أعد فيليب تقلا وزير الخارجية اللبناني . تقريراً في 2 يونيو 1966م- 1385هـ، حول صفقة الأسلحة الأمريكية لإسرائيل ، أمام لجنة الشؤون الخارجية البرلمانية إذ أكد أن الجديد في الأمر هو ((كون الولايات المتحدة دخلت فريقاً مباشراً في عمليات تسليح إسرائيل⁽²²⁾ ، ذاكراً بأنه قد تمت ((اتصالات بيننا وبين سفارتنا في واشنطن فعلماً أن الاتفاق بين الولايات المتحدة وإسرائيل تم في شهر شباط الفائت وتناولت عدداً من الطائرات النفاثة...، وقد قام سفيرنا بمراجعة الخارجية الأمريكية بهذا الموضوع في 23 أيار من العام نفسه)) وقال نقلاً في تقريره ، ((بعدما استكملنا معلوماتنا قدر الإمكان عن هذه الصفقة اجتمعت بتاريخ 27 أيار الفائت بالسفير الأمريكي في بيروت وأبدت له أسف الحكومة اللبنانية لكون الولايات المتحدة اتخذت

هذه الخطوة الجديدة على صعيد مساعدتها لإسرائيل ، وبينت له المخاطر والمحاذير التي يخلقها تمكين إسرائيل من تكديس الأسلحة والمعدات بشكل يؤدي بالعرب إلى التفتيش عن مصادر أسلحة أينما وجدوها للدفاع عن أنفسهم ويزيد بالتالي في سرعة سباق التسلح في الشرق الأوسط التي تزعم دول الغرب أنها لا ترغب في تمويلها⁽²³⁾.

تبين للسفير الأمريكي في بيروت أن الدول العربية لا يمكن أن تقبل الحجة القائلة بأنه لا بد من إعطاء السلاح لإسرائيل حفظاً لتوازن القوى في المنطقة بعد تدفق السلاح على عدد من الدول العربية ، إذ لا مجال للقياس ولا للمقارنة بين الدول العربية من جهة وإسرائيل من جهة أخرى إذ لا يمكن من حيث الحق والعدالة، وعندما دارت مناقشات في اجتماع لجنة الشؤون الخارجية والبرلمانية اللبنانية التي تميزت بمناقشة موضوع صفقة الأسلحة ، ومطالبة النواب الحكومة اللبنانية بعدم الاكتفاء بالاحتجاج على الصفقة وأن تبادر إلى اتخاذ إجراء أكثر حزماً⁽²⁴⁾، كما أعلنت اللجنة في بيان لها ((أن لجنة الشؤون الخارجية البرلمانية بعد أن استمعت إلى بيان معالي وزير الخارجية عن صفقة الأسلحة بين الولايات المتحدة وإسرائيل توافق على ما جاء في البيان ، وتؤيد موقف الحكومة وتعلن استنكارها لهذه الصفقة وتصفها بأنها عمل لا يتلائم مع الصداقة بين الولايات المتحدة ولبنان وتوصي الحكومة أن تتخذ مع الحكومات العربية الشقيقة موقفاً حازماً موحداً في إطار الجامعة العربية حيال هذه القضية وحيال كل ما يتصل بتسليح إسرائيل إياها كان مصدره⁽²⁵⁾. وقد أصدر ممثلو «هيئة الأحزاب والشخصيات التقدمية والوطنية في لبنان»⁽²⁶⁾، بياناً أعلنوا فيه استنكارهم لصفقة الأسلحة الأمريكية الأخيرة لإسرائيل ودعوا الدول العربية إلى استخدام البترول في الضغط السياسي والاقتصادي على الولايات المتحدة الأمريكية ، والدول الغربية بشأن موقفها من إسرائيل⁽²⁷⁾، واستنكر البيان أيضاً «الحلف الإسلامي» الذي وصفه البيان بأنه كان الهدف الرئيس هو تجميع القضايا الوطنية والعربية وفي رأسها قضية فلسطين وتغطية المؤامرات الأجنبية والصهيونية، وأن صفقة الأسلحة الأمريكية مع أي دولة عربية أو خليجية ماهي الا ستار يغطي نية الولايات المتحدة في دعمها وعقد لصفقة الأسلحة مع إسرائيل ، كما حذرت (هيئة الأحزاب والشخصيات التقدمية الوطنية في لبنان) جميع الأوساط الوطنية العربية من ملابسات هذه الصفقة وتوقعت ما حدث فيما بعد أثر هذه المنحة التي كانت تغطية لشحنات الأسلحة لإسرائيل⁽²⁸⁾، إن مخاوف لبنان من قضية التسليح الإسرائيلي المتطور ، تكمن في أن استراتيجية لبنان العسكرية استراتيجية دفاعية، وغايتها الصمود في وجه الخطر الصهيوني وليست هجومية بالقدر المتكافئ⁽²⁹⁾. وبعد تزايد التوتر بين الدول العربية من جهة وإسرائيل من جهة أخرى وما رافقه من إزدیاد حساسية نظرة الدول العربية للأسطول السادس الأمريكي في البحر المتوسط ، لاسيما تصريحات قياداته ، فقد ذكرت وكالات الأنباء الغربية في 27 - 28 ، نوفمبر 1966م 1385-هـ أن متحدثاً باسم قيادة الأسطول السادس في البحر الأبيض المتوسط صرح بقوله : (إن الأسطول مستعد للتدخل في منطقة الشرق الأوسط المضطربة ، إذ أعطت واشنطن الأمر بذلك) ، فقد تزامنت تلك التصريحات لزيارة وفد الكونغرس لبنان برئاسة أدوارد كنيدي (Edward Kennedy) في عام

1966م-1385هـ ، الذي أوضح له الدكتور أمين الحافظ عضو مجلس النواب اللبناني ، أن أول ما تطالب به لبنان من الولايات المتحدة هو التدخل لتنفيذ مقررات الأمم المتحدة تحقيقاً للعدالة من جهة ، وتعبراً عن رفضها سياسة التسلط والعدوان التي تجسدها إسرائيل من جهة ثانية ، وقال إن الشعب العربي يأخذ على الولايات المتحدة مناداتها بالديمقراطية بينما تستمر في مساندة إسرائيل مع إدراكها أن أهداف إسرائيل توسعية ونازية⁽³⁰⁾ ، كما اجتمع كنيدي مع شارل حلو رئيس الجمهورية اللبنانية ، وجرت محادثات بالشأن نفسه ، فضلاً عن اجتماع جرى بينه وبين طلاب الجامعات في لبنان إذ ندد الطلاب بسياسة أمريكا تجاه إسرائيل⁽³¹⁾ . ومن الجدير بالذكر أن سلطة الكونغرس الأمريكي في مجال السياسة الخارجية تعدّ محددة إذ ما قورنت بسلطة الرئيس ، فعلى الرغم من أن الكونغرس لا يقوم بدور المبادرة في صنع السياسة الخارجية ، فأن له دوراً واسعاً في المشاركة في المراحل المختلفة لإعداد هذه السياسة ، فالكونغرس يمكن أن يؤثر في السياسة الخارجية مستخدماً سلطة التشريع⁽³²⁾ .

سعت الولايات المتحدة بحلول عام 1967م-1386هـ الى تعزيز علاقاتها مع لبنان ولاسيما عندما طلب لبنان من الحكومة الأمريكية تزويده بالدبابات ، ولا ننسى أن هذا الطلب في هذا الوقت يخدم ويصب في مصالح الولايات المتحدة في المنطقة ، لاسيما في التخفيف من استياء الدول العربية تجاهها ، الى أن الطلب اللبناني كان قد مضى عليه قرابة عام ، وتضمن طلب لبنان من الدبابات من طراز (أم 48) ، ولتوفير اثنين من بطاريات صواريخ هوك بشروط إئتمانية ميسرة ، لكن الذي أثار شكوك الحكومة الأمريكية في مقدرة لبنان على تسديد قيمة هذه الأسلحة أنها كانت ملتزمة مع فرنسا لشراء طائرات مقاتلة ، وهذا من جانبه عدّته الولايات المتحدة يؤثر على لبنان سلباً في تسديد قيمة الأسلحة الأمريكية التي تنوي أمريكا بيعها ، فضلاً عن الأموال التي التزمت لبنان في تقديمها للقيادة العربية المتحدة ، والميزانية الأقتصادية المضطربة في لبنان ، كما لاحظ الفريق ((الذي دار بينه النقاش حول هذا الموضوع))⁽³³⁾ ، أن الأهمية التي توليها حكومة لبنان لشراء الدبابات ، وبين أهمية استمرار دعم القوات المسلحة اللبنانية في تحقيق الأستقرار برئاسة الرئيس حلو⁽³⁴⁾ ، واتفق الفريق على أنه وبسبب عوامل مختلفة أشير إليها اعلاه ، وبسبب الحجم الصغير نسبياً للمسألة - وحسب الاتفاقية التي تم الموافقة عليها لتوريد عدد محدود من الدبابات ام 48 الى لبنان ، بأن هذا لن يكون (متعارضاً مع شركائنا) في السياسة الأوسع نطاقاً لنا ، على توريد الأسلحة الى منطقة الشرق الأدنى ولن يشكل عاملاً رئيساً في تسريع وتيرة سباق التسلح ، واتفاقاً على أننا يمكن أن نقدم ما يصل الى 35 دبابة ام 48 الى لبنان ، مع ما يلزم من دعم وقطع الغيار الأساسية وتحميل الذخائر ، في وقت يستغرق الأمر نحو 24 شهر على تسليم الدبابات ، وتبلغ التكلفة التقديرية للمجموعة بأكملها 4.25 مليون دولار⁽³⁵⁾ . واتضح مما سبق ان تلك الاتفاقيات قد تم النقاش عليها من قبل الفريق الأمريكي في شهر مارس من عام 1967م-1386هـ ، وفي الشهر نفسه ايضاً ، توجهت الحكومة الأمريكية بتقديم طلب الى الحكومة اللبنانية تضمن الموافقة على زيارة الأسطول السادس الأمريكي الى ميناء بيروت ، لكن قبل اعلان الحكومة اللبنانية عن للموافقة لزيارة الأسطول ، نشب خلاف بين الأوساط السياسية والدبلوماسية اللبنانية⁽³⁶⁾ .

فقد نشب في شهر نيسان خلافاً بين الأوساط السياسية والدبلوماسية اللبنانية كان سببه تصريح رئيس الوزراء الاسرائيلي ليفي اشكول ، لمجلة ((يواس نيوز آند وورلد ريبورت)) (U.S.News and World Report) حيث صرح حسب ادعائه ((بأن لبنان من الدول التي يمكن ان تكون صديقة لنا ، في حال وقوفها على جانب الحياد اذ قامت الحرب)) وأثار هذا التصريح أنور الخطيب عضو مجلس النواب اللبناني إذ وجه الى الحكومة اللبنانية استجواباً ضمن تصريح اشكول فضلاً عن تصريح وزير الدفاع الاسرائيلي الذي اثار تصريحه موجة من الاحتجاجات حيث تكلم ((عن استعداد امريكا واسطولها السادس للتدخل لصالح اسرائيل))⁽³⁷⁾.

حملت تلك التصريحات الاسرائيلية ، ردة فعل داخل الأوساط اللبنانية مما حمل وزير الخارجية اللبناني جورج حكيم بأن يجري اتصالات مع الجانب الأمريكي بخصوص الأسطول السادس وتصريح رئيس مجلس الوزراء الاسرائيلي⁽³⁸⁾ ، فقد استقبل الوزير اللبناني سفير الولايات المتحدة دوايت بوترر في 17 أبريل 1967م 1387-هـ ، واعرب له عن قلق الحكومة اللبنانية من تصريحات رئيس وزراء اسرائيل المتعلقة بحماية الأسطول السادس لأسرائيل⁽³⁹⁾ ، وكان جواب السفير بوترر ان هذه التصريحات لا تعبر عن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية⁽⁴⁰⁾ ، وأشار الى ان هذه التصريحات وردت في حديث نشر في مجلة خاصة ، كما ادعى السفير ان السياسة الأمريكية هي نفسها التي حددها الرئيس الراحل جون كنيدي في 8 مايو 1963م 1383-هـ ، واكدتها حكومة الولايات المتحدة الحالية ولم يطرأ عليها تعديل منذ ذلك التاريخ وهي تقوم في الأساس على مقارعة الاعتداء او استعمال القوة او التهديد بالقوة في الشرق الأوسط⁽⁴¹⁾.

نتج عن تلك التصريحات ردود فعل عدد من الشخصيات اللبنانية ، ففي 17 أبريل 1967م 1386-هـ ، اقترح سهيل شهاب عضو مجلس النواب اللبناني ان يعتذر لبنان عن عدم استقبال قطع الأسطول السادس الأمريكي في المياه اللبنانية وذلك بعد تصريحات ليفي اشكول بان الأسطول السادس يحمي اسرائيل⁽⁴²⁾ ، واعقب اقتراح سهيل شهاب تصريحات اخرى لعدد من اعضاء مجلس النواب اللبناني امثال انور الخطيب وانور الصباح ، الذين ادلوا بتصريحات متشابهة طالبوا فيها وزارة الخارجية اللبنانية اتباع مختلف الوسائل الدبلوماسية لحمل وزارة الخارجية الأمريكية على اصدار بيان رسمي يوضح موقفها من اسرائيل واسباب وجود الأسطول السادس الأمريكي في مياه البحر المتوسط⁽⁴³⁾.

استقبل الرئيس اللبناني شارل حلو في يوم 17 أبريل السفير الأمريكي في بيروت بوترر ، وربطت المصادر الدبلوماسية بين المقابلة وبين التطورات التي طرأت على موضوع زيارة الأسطول السادس الى المياه اللبنانية ، وقال السفير الأمريكي ((بان ردي على هذا - أي يقصد التصريح الاسرائيلي بشأن حماية الأسطول السادس لهم - هو ان لا يملك للأسطول السادس اتاحته الفرصة الكافية لسبب او لآخر لحماية اسرائيل في تلك الفترة ...، لذلك يجب على اسرائيل ان تكون قوية من تلقاء نفسها))، وذكر السفير ايضا بان هناك هجمة دعاية تشنها الصحافة ضد الأسطول السادس الأمريكي⁽⁴⁴⁾ . وأوضح السفير الأمريكي للرئيس حلو ان الغرض الأساس من وجود الأسطول السادس

في البحر المتوسط ذات شقين الأول : معارضة العدوان الشيوعي ، والثاني الحفاظ على السلام في المنطقة ، كما اشار الى العلة من وجود الأسطول السادس لا حماية أية دولة معينة ، ولكن لدرء العدوان ، الا ان حلو علق على ما ذكره السفير بان لبنان يؤدي دوراً أساسياً في جامعة الدول العربية في تجنب كل انتقاد من وجود اسلحة نووية في البحر الأبيض المتوسط كما علق حلو على أنه لا يستطيع وقف الهجمات من السياسيين والصحف ضد القوات الأمريكية والأسطول السادس ... ، ((ولو كان يستطيع بالفعل)) ، وأضاف ((انا لست الملك حسين ولا الملك فيصل ، ولا الرئيس جمال عبد الناصر ، بل انا رئيس الدولة في لبنان)) ومعلوم من طبيعة لبنان الطائفية في المجتمع ، وان أي عمل ضد الهجمات الدعائية سوف يولد حساسية اكثر اذا اردنا مواجهة تلك الادعاءات المختلفة ، والتي سوف تنبثق من داخل لبنان ، وقال ((انه يتعين ان ياخذ في عين الاعتبار وجهات النظر لمختلف المجموعات الطائفية في لبنان ، كما قال بأن «نصف سكان لبنان يتطلع الى عبد الناصر والاتاسي» وقال انه يجب ان اعمل ضمن هذه المطعيات)) كما قال ايضا ((إن الموقف بالنسبة لرئيس كرامي المعارض الذي لا يمكن تجاهله فضلاً عن الضغوط النابعة من القاهرة ودمشق)) ، وأشار الى الضغوط المحلية التي تواجه كرامي اذا لم يعارض تلك الزيارة ، وقال حلو انه ناقش مع كرامي في محاولة لاحباط أي عمل من شأنه ان يفاقم المشكلة من الزيارات في المستقبل للأسطول السادس⁽⁴⁵⁾ . واستمر النقاش بين الطرفين وتناول التأثير السوري على لبنان ، فقد ذكر حلو ((انه وللأسف لا يوجد أي مانع او سلطة على الحدود بين لبنان وسوريا ، وهذا يساعد على حرية المرور وانتقال الأفكار والدعايا الى داخل لبنان)) ، كما ربط حلو قضية زيارات الأسطول السادس بسياسة الولايات المتحدة لتقديم المساعدة الى لبنان ... ، وكان من وجهة النظر الأمريكية أن هناك ضغوطاً ملموسة ومتزايدة على لبنان لالغاء زيارات الأسطول السادس الأمريكي⁽⁴⁶⁾ . وفي 21 أبريل 1967م- 1386هـ ادلى ناطق بلسان هيئة الأحزاب والشخصيات التقدمية والوطنية في لبنان ببيان طالب فيه برفض زيارة الاسطول السادس للموانئ اللبنانية بوصفه حامياً إسرائيل واداة للعدوان والمؤامرات على قضية فلسطين وعلى الشعور العربي وعلى شعوب العالم المحررة ، لذا لن يستقبله شعب لبنان⁽⁴⁷⁾ . وفي الشأن ذاته اوردت جريدتنا ((المحرر وصوت العروبة)) في نفس الشهر نبأ مفاده ان الحكومة اللبنانية كلفت جورج حكيم وزير الخارجية والمغتربين اللبناني ، اجراء محادثات مع السفير الأمريكي في بيروت بوتر ، حول قضية زيارة الأسطول السادس الأمريكي للموانئ اللبنانية ، الصحيفتان قالتا ان حكيم سيطلب من السفير الأمريكي احد الامرين : اما ان تطلب السفارة تاجيل البت بالموضوع ، واما ان تلغي طلب الزيارة⁽⁴⁸⁾ ، كما وجهت جريدة (المحرر) سؤالاً في 26 أبريل 1967م- 1386هـ لعضو مجلس النواب اللبناني رشيد الصلح ، حول زيارة الأسطول السادس الأمريكي المرتقبة للبنان فقال ((لا يجوز مطلقاً السماح للأسطول السادس بالمجيء الى لبنان لان في ذلك ذروة التحدي للشعور الوطني وتركيز ومساندة للعدوان الإسرائيلي على سوريا))⁽⁴⁹⁾ .

لم تخفف الاتصالات الدبلوماسية التي قامت بها الحكومة اللبنانية مع السفير الأمريكي في بيروت من الخلافات ، لاسيما بعد ان اكتفت واشنطن باعلان ما معناه ((ان اشكول هو الذي

صرح بذلك وليست هي الحكومة الأمريكية ((فقد استمرت الاحتجاجات وتوجيه الاسئلة من قبلعدد من النواب اللبنانيين الى الحكومة اللبنانية ، فقد وجه النائب كمال جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي سؤالاً في 3 مايو 1967م 1386-هـ ، الى الحكومة اللبنانية حول موقفها ازاء زيارة الأسطول السادس الامريكي للمياه اللبنانية ، في سؤال مطول استعرض فيه زيارات الأسطول التي كان يقوم بها منذ ان اعلنت سياسة الحياد التي تتبناها الحكومة اللبنانية تقليدياً بين المعسكرين الكبيرين⁽⁵⁰⁾ ، وهو يشير في هذا لسياسة التناقض التي تنتهجها الحكومة الأمريكية. ومن الجدير بالذكر انه في تعليق جاء فيها ما يلي ((وبطبيعة الحال فان الرئيس اللبناني حلو دائماً مؤيداً قوياً لزيارات الأسطول السادس ، وان حلو ليس بحاجة الى التذكير باهمية زيارة الأسطول الى لبنان ، في ظل المأزق السياسي الصعب الذي كانت تواجهه لبنان))⁽⁵¹⁾ . وفي ظل تلك الاحتجاجات الراضة لزيارة الأسطول السادس الأمريكي وكذلك المؤيده على تردد ، عقد مجلس الوزراء اللبناني جلسة في 17 مايو 1967م 1386-هـ قرر فيها ((الموافقة على مبدا زيارة الأسطول السادس للبنان على ان تتم هذه الزيارة في ظروف اكثر ملاءمة))⁽⁵²⁾ ، واستدعى جورج حكيم وزير الخارجية والمغتربين اللبناني، السفير الأمريكي في بيروت دوايت بورتير وابلغه قرار مجلس الوزراء اللبناني بالموافقة على مبداً لزيارة الأسطول السادس الأمريكي للموانئ اللبنانية وطلب تأجيل هذه الزيارة الى ظروف اكثر ملاءمة ، ((ومصادر وزارة الخارجية اللبنانية)) قالت ان السفير الأمريكي ((ابدى تفهماً)) لموقف لبنان⁽⁵³⁾ ، لاسيما ان التطورات في المنطقة والضغط على الحكومة اللبنانية ادى بها الى اتخاذ قرار تتردد في ارجاء الزيارة للأسطول السادس التي كان مقرراً لها يوم 26 مايو 1967م 1386-هـ⁽⁵⁴⁾ .

سعت الولايات المتحدة للابقاء على علاقتها بوتيرة حسنة مع لبنان ، وسعت في نفس الوقت الى عدم تركهوفسح المجالفتوحاً للنفوذ السوفيتي في لبنان ، وعلى الرغم من الموقف اللبناني في عدم الموافقة الكامله على زيارة الأسطول السادس الأمريكي للمياه اللبنانية، فقد جرت مفاوضات بين بورتير السفير الأمريكي في بيروت وحكيم في يوم 18 مايو 1967م 1386-هـ على تقديم قرض امريكي الى لبنان ، وان الولايات المتحدة وافقت على منح القرض الذي يصل قيمته الى 12 مليون دولار من مجلس التعاون الكمري الانتمائي⁽⁵⁵⁾ ، من جهة ومن جهة اخرى ادركت الولايات المتحدة وجود عناصر من الشعب اللبناني لا ترغب في نفوذ السياسة الأمريكية تجاه لبنان وهذا مايجعل الساسة الأمريكيين يقولون ، ((وفي رأينا ان الرئيس حلو لن يقف مكتوف الايدي في مواجهة هذا الوضع)) ، كما صدر تقرير من السفارة الأمريكية في بيروت الى وزارة الخارجية الأمريكية ورد فيه ، فقد ذكر التقرير (انه على الرغم من ان معظم القادة السياسيين اللبنانيين يفضلون اتباع الحياد الموالي للغرب ، وهذا غير موجود عند المصريين والسوريين ، فضلاً عن السوفيت الذين كانوا يهاجمون الولايات المتحدة لاسباب متنوعة بما في ذلك السياسة تجاه اسرائيل ، وفيتنام ، والمساعدات الى الجمهورية العربية المتحدة وازاد التقرير ان من المستحيل اذا كان السوفيت قدموا مساعدات كبيرة الى لبنان ، والولايات المتحدة لم تفعل شيئاً ، فانه حسب فكر وتحليل السفارة الأمريكية في بيروت لا يمكن ان تبقى الحكومة اللبنانية ترفض المساعدات السوفيتية في ظل تلك الظروف

الأقتصادية التي قد تكون لبنان احوج ما تكون اليه وإنتهى التقرير الى انه اذا كانت الولايات المتحدة تسعى الى الإبقاء على المزايا الموجودة في لبنان من النظم الأقتصادية والسياسة الحرة فضلاً عن الموقف المؤيد للغرب ، فانه سيتعين على الولايات المتحدة تقديم الدعم على غرار ما طلبته القيادة اللبنانية⁽⁵⁶⁾.

عندما اتمت القيادة الصهيونية تحضيراتها للعدوان الجديد بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية، من خلال الدعم الأمريكي الذي شمل الدعم السياسي والدبلوماسي ، ناهيك عن تزويدها بالسلاح بالاضافة الى حملة الدعايات التي شنتها على الدول العربية بغية تهيئة الأذهان لدى الغرب لتقبل عدوانها ، وتصور الدول العربية بأنهم هم المعتدون ، كما لا ننسى الدور الأمريكي في ممارسة الخديعة الدبلوماسية والتظاهر بالحياد وطمأنة العرب⁽⁵⁷⁾.

بدأت في الساعة (السابعة وخمس واربعين دقيقة صباحاً) بتوقيت اسرائيل، و (الثامنة وخمس واربعين دقيقة صباحاً) في يوم الأثنين الخامس من يونيه عام 1967م 1386-هـ بتوقيت القاهرة ، القوات العسكرية الصهيونية عدوانها على الدول العربية⁽⁵⁸⁾، اذ قام السلاح الجوي الإسرائيلي بشن هجوم خاطف ومركز على القواعد والمطارات العسكرية المصرية ، مما اسفر عن تدمير السلاح الجوي المصري بالكامل خلال ساعات من بدء المعركة ، وهكذا اصبحت القوات المسلحة المصرية في سيناء بغير غطاء جوي يحميها ، مما كان يعني قلب ميزان القوة لصالح اسرائيل - قبل بدء القتال - بصورة كاملة ونهائية ، وفي اعقاب انهيار قدرة مصر الدفاعية على هذا النحو الكامل والمفاجيء اصبحت لدى اسرائيل الفرصة السانحة لمهاجمة كل من سوريا والأردن وتحقيق تفوق عسكري على الجبهات الثلاثة⁽⁵⁹⁾.

أما بالنسبة الى احداث الحرب على لبنان فما ان تلقت السلطات اللبنانية نبأ العدوان الإسرائيلي على الجمهورية العربية المتحدة في 5 يونيه، حتى دعا الرئيس شارل حلو مجلس الوزراء الى عقد جلسة استثنائية قرر فيها اعتبار المجلس في حالة انعقاد دائم ، كما شدد على تعبئة جميع الطاقات الرسمية والخاصة كي يضطلع لبنان بدوره على افضل وجه في معركة المصير ، لانه مدعو الى تأدية واجبه مع اخوانه العرب لاستعادة فلسطين، وطلب من قائد الجيش الذي حضر قسماً من الجلسة الى ((تنسيق التعاون بين القوات اللبنانية والقوات العربية ، وأشار الى ان الدفاع المدني على اهبة الاستعداد لكل طارئ وقد اتخذت جميع الترتيبات على هذا الصعيد))⁽⁶⁰⁾. وفي الأطار ذاته اذاع رئيس الوزراء ، رشيد كرامي ، بياناً اعلن فيه بأن لبنان لن يتأخر عن القيام بدوره وواجباته ((لاننا نعتبر ان هذه هي معركة لبنان)) ، كما هي معركة العرب ، وقال ايضاً ((وانا على ثقة بان تظافر اللبنانيين وراء هذه الأهداف السامية تجعلنا على استعداد لتحمل كل المسؤوليات من اجل شرف الدفاع عن سيادتنا وكرامتنا ومن اجل نصره الحق للوطن السليب فلسطين، ولذلك فأنني اهاب بالجميع ان يكونوا شخصاً واحداً في المعركة الفاصلة⁽⁶¹⁾. وعلى الاثر تجاوب المجلس النيابي بحماس شديد مع مناشدات رئيس البلاد ورئيس الحكومة ، وعلن في جلسة 5 يونيه 1967م 1386-هـ، موافقته على اعلان حالة الطوارئ وفقاً للدستور وعلى اعطاء

الحكومة ((حق التشريع لمدة شهرين ، بمراسيم تتخذ في مجلس الوزراء في القضايا الاقتصادية والمالية والسلامة العامة والأمن الداخلي والأمن العام ، وكذلك حق تعديل الأحكام التشريعية المتعلقة بالجيش وسائر الأحكام الأخرى⁽⁶²⁾ .

وصدرت كذلك من المؤتمر الوطني العام لجبهة الأحزاب والهيئات والشخصيات الوطنية والتقدمية في لبنان جملة قرارات في الخامس من يونيه، فقد بحث المؤتمر الأوضاع الخطيرة الناجمة عن المؤامرة الكبرى المتمثلة بالعدوان الإسرائيلي على البلدان العربية ، كما حملوا الولايات المتحدة الأمريكية المسؤولية الكاملة ، بالإضافة الى الاستعمار الأمريكي الذي يقف وراء اسرائيل وابرز ما خرج المؤتمر بقرارات هي :

1. التأييد المطلق للجمهورية العربية المتحدة وسوريا .
2. الترحيب بالتعاون العسكري القائم بين البلدان العربية ، ومطالبة لبنان بتوقيع اتفاقية دفاع مشترك مع مصر وسوريا .
3. اعلان السخط الشديد على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية التي تقف وراء العدوان الاسرائيلي ، وشجب مواقف الدول التي تدعم العدوان وتشارك فيه وخاصة بريطانيا والمانيا الغربية .
4. تحية بموقف الدول الصديقة التي اعلنت تأييدها ومساندتها لنا وتوجيه الشكر الى الموقف الذي اتخذه الاتحاد السوفيتي بأعلانه الوقوف الى جانب العرب لصد أي عدوان .
5. مطالبة الحكومة بموقف رسمي صريح وحازم ضد سياسة الولايات المتحدة الأمريكية والدول الاخرى التي تؤيد اسرائيل .
6. اعلان الرفض القاطع النهائي لزيارات الأسطول السادس .
7. مكافحة النشاط التخريبي والتجسسي للمخابرات الأمريكية والبريطانية والألمانية الغربية .
8. اقفال الموانئ اللبنانية في وجه كل البواخر التي تنتمي الى الدول التي تنحاز الى اسرائيل.
9. تجنيد الفلسطينيين النازحين الى لبنان وتكوين لواء كامل منهم باشراف الجيش اللبناني⁽⁶³⁾ .

ودعا الحزب التقدمي الاشتراكي اللبناني في بيان شامل الى التجنيد الإجباري والتعبئة العامة، وتنفيذ مقررات مقاطعة اسرائيل فوراً ، واقفال الموانئ اللبنانية بوجه أساطيل الدول الحليفة لأسرائيل وتسليح المواطنين في القرى المحاذية للحدود مع اسرائيل⁽⁶⁴⁾ .

كما ناشد راديو بيروت جميع المواطنين بعدم الاخذ بما يذيعه راديو اسرائيل من انباء عن الاشتباكات مع القوات العربية وقال ان الغاية مما يذيعه راديو العدو انما هي اضعاف المعنويات، وطلب من المواطنين ان يستمعوا ويثقوا فقط بالأذاعات العربية والأذاعة اللبنانية، كما شهدت

بيروت تظاهرة في احد احيائها الرئيسية بعد ظهر يوم 5 حزيران ، تأييداً لفلسطين وكان المتظاهرون يهتفون بتأييداً لموقف الدول العربية ويطالبون بارسالهم الى الحدود للأشتراك في القتال ، ومن الجدير بالذكر ان قوات الأمن عززت الحراسة على دار السفارة الأمريكية في بيروت⁽⁶⁵⁾. وفي ظل تلك التطورات التي ظهرت على الساحة اللبنانية ، صدر بلاغ في الخامس من يونيو 1967م 1386-هـ من قيادة الجيش اللبناني الى الفلسطينيين المقيمين في لبنان جاء فيه ((على جميع الفلسطينيين المقيمين في لبنان والذين سبق لهم خلال الأيام الأخيرة ان سجلوا اسماءهم متطوعين في مراكز الجيش في المخيمات، عليهم الحضور فوراً الى مخيماتهم لتلقي الأوامر من اجل تطويعهم لمعركة التحرير))⁽⁶⁶⁾. وفي ظهر اليوم الأول للحرب حصل اشتباك جوي في محلة فج البلقيس قرب قرية كفر مشكبي اسقط فيه سلاح الجو اللبناني طائرة اسرائيلية من طراز ميستر (Mister)، حسبما جاء في بلاغ للجيش اللبناني ، ثم اعقب ذلك اشتباك اخر استمر دقيقتين فوق سد القرعون اللبناني مع طائرات اسرائيلية من طراز فوتوم (Phantom) وقد ذكر البلاغ العسكري اللبناني ان الطائرات الإسرائيلية ((اجبرت على الانسحاب)) ، وبعد ظهر اليوم نفسه اسقطت المدفعية اللبنانية المضادة للطائرات طائرة اسرائيلية سقطت في منطقة المنارة في المنطقة المحتلة⁽⁶⁷⁾. ومما تجدر اليه الإشارة هنا ان سلاح الجو اللبناني يتكون من 12 طائرة مقاتلة معترضة من طراز ميراج 3 ي ، و 8-10 هوكر هنتر ، و 6 طائرات قاذفة - مقاتلة من طراز فامبير ، و 10 طائرات هليكوبتر من نوع الويت ، وفي اليوم الثاني من الحرب ، أي في 6 يونيو تحركت طائرتان قاذفتان مقاتلتان من طراز هوكر هنتر، في دورية حراسة على الحدود الجنوبية ودخلتا المجال الجوي الإسرائيلي في الشمال، وعلى الفور تصدت لهما الطائرات المقاتلة الإسرائيلية فحدث اشتباك جوي صغير اسقطت فيه طائرة لبنانية⁽⁶⁸⁾. وبهذا وضعت البلاد في جو الاشتراك في الحرب ، وبرز الالتفاف الواضح حول المصير الواحد اندفاع مختلف الهيئات السياسية والشعبية للتعبير عن مواقفها المؤيدة للعرب ، كما ذكرت جريدة الحياة اللبنانية بان الرئيس السابق شمعون ابرق للرئيس حلو في خطوة ادعى بأنه يريد ان يصحح فيها مواقفه السابقة ليضع نفسه بتصرف الجيش ، وأخذت تنهال البرقيات العديدة على القصر الجمهوري والسرايا والمجلس ودور الصحف والهيئات المختصة مستنكرة العدوان الإسرائيلي على الاراضي العربية ومؤكدة فيها تضامن ابناء الشعب ووقوفهم الى جانب الجيش لدرء الخطر وتأيد مواقف البلدان العربية في المعركة المصرية فقد عقد كمال جنبلاط إجتماع شجبت فيه العدوان الإسرائيلي واعلنت سخطها على موقف الولايات المتحدة الأمريكية⁽⁶⁹⁾ ، كما وجه جنبلاط برقية باسم جبهة الأحزاب التقدمية والوطنية في لبنان الى حاكم الكويت يناشده فيها سحب ارصدة الكويت من مصارف الدول الغربية المؤيدة لإسرائيل وخاصة المصارف البريطانية والأمريكية⁽⁷⁰⁾. واعلنت القيادة العليا للجيش اللبناني في عن اصدار امرا بمنع تحميل او تزويد اية سفينة من أي نوع كان بالبترو في الموانئ اللبنانية اعتباراً من اليوم وحتى شعاراً آخر ، وفي اليوم 6 يونيو نفسه احترقت خزانات شركة للبترو في بيروت نتيجة القاء قنبلة يدوية ادت الى انفجار كبير ، لكن لم تحدث اية خسائر في الأرواح⁽⁷¹⁾.

اذاعت السلطات العسكرية اللبنانية في 7 يونيو بلاغا قالت فيه ان الطائرات الإسرائيلية حاولت الأغارة على المواقع العسكرية المتقدمة في المنطقة الشرقية للجهة ، وان المدفعية اللبنانية المضادة اسقطت طائرة من طراز فوتور، سقطت في الأراضي السورية⁽⁷²⁾، مما ادى الى ان رئيس الحكومة الإسرائيلية وجه سؤالاً الى السلطات اللبنانية بواسطة لجنة الهدنة اللبنانية الإسرائيلية المشتركة حول ما اذا كان لبنان يتمسك باتفاقية الهدنة⁽⁷³⁾، ام لا وكان ذلك بمناسبة سقوط الطائرة الحربية الإسرائيلية في الأراضي السورية وهبوط طيارها في الأراضي اللبنانية ، وقد أجاب لبنان بالإيجاب⁽⁷⁴⁾، لأن استراتيجية لبنان العسكرية هي في الأساس استراتيجية دفاعية غايتها الصمود في وجه الخطر الاسرائيلي⁽⁷⁵⁾.

كما اذاعت السلطات العسكرية بلاغاً آخر جاء فيه ، بأن منذ صباح يوم الاثنين في الخامس من يونيو قامت اسرائيل بست غارات جوية لقصف المواقع اللبنانية⁽⁷⁶⁾، وكانت حصيلة هذه الغارات تكبيد العدو الإسرائيلي ثلاث طائرات⁽⁷⁷⁾.

واضافة الى ذلك شجب النواب التدخل الأجنبي في المعركة القائمة واعتبروه غير مستغرب ابداً ، وطالبوا بمواجهة الموقف بما تفرضه المصلحة العربية ، فأعلن عضو مجلس النواب اللبناني منير ابو فاضل ان الدول العربية باتت مطالبة بالرد على اشتراك امريكا وبريطانيا في مساندة العدوان الإسرائيلي باتخاذ التدابير التالية :

أولاً : سحب الأموال التي تودعها الحكومات والشعوب العربية في مصارف هاتين الدولتين ، وبصورة خاصة اموال دولة الكويت في مصارف بريطانيا ...
ثانياً : قطع البترول العربي عن هاتين الدولتين .

ثالثاً : دراسة مسألة مقاطعة هاتين الدولتين اقتصادياً ودبلوماسياً ، على ان يتخذ الرسميون في الدول العربية قراراً بهذا الصدد في ضوء ما تفرضه المصلحة العربية العليا⁽⁷⁸⁾.

وعلى اثر اتهام الولايات المتحدة وبريطانيا بالاشتراك مع اسرائيل في العدوان اتخذ مجلس الوزراء اللبناني قراراً بطلب سحب سفيرى البلدين من لبنان واستدعاء سفيرى لبنان في كل من البلدين⁽⁷⁹⁾، واصدرت السلطة العسكرية العليا في لبنان قراراً يقضي بفرض الرقابة المسبقة على الصحف والمجلات والمطبوعات والخرائط والافلام المصورة وكافة المنشورات ، بالاضافة الى انها قررت فرض منع التجول من أول يوم الحرب وحتى شعار آخر ابتداء من الساعة الثامنة مساء وحتى الرابعة صباحاً على مدينة بيروت وضواحيها ومدينة طرابلس ومحافظة الجنوب بكاملها⁽⁸⁰⁾. واثناء فترة الحرب اصدرت الحكومة اللبنانية قراراً منع التظاهر والتجمع ، لكن على الرغم من هذا القرار ، فقد صعد المواطنون اللبنانيون موافقهم إذ شهدت معظم المناطق اللبنانية وخاصة العاصمة بيروت مظاهرات عنيفة ، ندد خلالها المتظاهرون بسياسة الولايات المتحدة الأمريكية ، كما حاولوا إقتحام مبنى السفارة الأمريكية والسفارة البريطانية ، وإشعال النار بعدة سيارات دبلوماسية ، هذا ما استدعى تدخل قوى الأمن والفرقة 16 وإطلاق العيارات النارية لتفرقة المتظاهرين ، لكن حركة التظاهرات التي استهدفت السفارتين دفعتهما إلى الإسراع بتحريك رعاياها⁽⁸¹⁾، فقد اقلعت 15 طائرة

من مطار بيروت الدولي تحمل 1500 من الرعايا الأمريكيين والهولنديين والألمان ، فقد صرح مصدر رسمي بأن معظم هؤلاء من الأمريكيين الذين بدأ ترحيلهم منذ يوم 6 يونيه⁽⁸²⁾.

فكان ذلك موضع اهتمام من قبل المسؤولين والأوساط السياسية في لبنان وخاصة حزب الوطنيين الأحرار والكثائب الذين عمدوا إلى إصدار بيانات أعلنوا فيها شجب الدعوات إلى الشعب والإخلال بالأمن وضرورة التقييد بالقوانين والأنظمة، كما شجبوا كل تدخل أجنبي في النزاع العربي الإسرائيلي، وأجرى الشيخ بيار الجميل بنفسه اتصالات متعددة مع كبار المسؤولين اللبنانيين (من أجل التشدد في منع التظاهرات وكل عمل من شأنه الإساءة إلى النظام)⁽⁸³⁾.

استدعى رئيس الحكومة اللبنانية رشيد كرامي في 8 يونيه، سفير الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، ونقل إليهما قرار مجلس الوزراء الصادر يوم 7 يونيه بسحب السفيرين من لبنان ، وفي اليوم نفسه استقبل كرامي سفير الاتحاد السوفيتي في لبنان وتباحث معه في الوضع الراهن في الشرق الأوسط وفي قرار مجلس الأمن الذي يدعو إلى وقف إطلاق النار في المنطقة⁽⁸⁴⁾. وعلى أثر إعلان الرئيس جمال عبد الناصر استقالته في 9 يونيه الذي أعلن في خطابه عن استقالته من بعد الخسارة التي منيت بها مصر في الحرب⁽⁸⁵⁾، اتصل به بعض الملوك والرؤساء والأمراء العرب برقيا أو هاتفيا مناشدين إياه العدول عن استقالته وبهذا الصدد فقد رفع الرئيس شارل حلو برقية في 10 يونيه إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، يناشده بالعدول عن الاستقالة⁽⁸⁶⁾. وبعد توقف الحرب في 11 يونيه 1967م 1386- هـ ، أعلنت الحكومة اللبنانية دفع مليوني ليرة لكل من سوريا والأردن كمساعدة مادية وتقسيم هذا المبلغ بالتساوي بين البلدين⁽⁸⁷⁾. وفي 13 يونيه أصدرت جبهة الأحزاب والهيئات والشخصيات الوطنية والتقدمية في لبنان بياناً حول العدوان الإسرائيلي، حيث تضمن شجب المؤامرة الاستعمارية الصهيونية المشتركة التي خططت لها في الأساس الولايات المتحدة ولعبت فيها إسرائيل دور الأداة التي تلقت الدعم بلا حساب ، كما جاء في البيان بأنها انكشفت حقيقة المؤامرة منذ اللحظة الأولى للعدوان الإسرائيلي ولم يكن هناك أي مجال للشك بأن العملية قد بدأت في الأساس بتواطؤ أمريكي - بريطاني صهيوني كامل ، وأن الولايات المتحدة ومعها بريطانيا ، كانت في المعركة بكل ثقلها العسكري وكل نفوذها السياسي والدبلوماسي وأن جبهة الأحزاب والهيئات والشخصيات الوطنية والتقدمية إذ تتوجه ببيانها هذا إلى الرأي العام الشعبي في لبنان ، تحيي موقف التجاوب الرائع الذي وقفه الشعب اللبناني وهو يتابع معركة الأمة العربية ضد العدو الصهيوني الاستعماري والجبهة تتوجه بنداؤها إلى الشعب كي يبقى في جو من التنبه للمؤمرات التي تحيكها الأوساط الاستعمارية⁽⁸⁸⁾.

الخاتمة:

بدأت تتدهور العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية مع لبنان في بداية حكم الرئيس اللبناني شارل حلو الذي تولى الحكم عام 1964 وكان ذلك التدهور ناتج عن دعم الحكومة الأمريكية الكيان الصهيوني من خلال ارسال الأسلحة الهجومية المتطورة إليه مما أثار مخاوف الأقطار العربية ولاسيما لبنان لأنها تحادي الكيان الصهيوني ، فقد بدأت المباحثات بين الحكومة اللبنانية

والأمريكية وقدمت الحكومة اللبنانية جملة من الاحتجاجات الى الجانب الأمريكي خاصة وان تلك الفترة شرعت اسرائيل باقامة سلسلة من المشاريع التي تهدف الى تحويل مجرى نهر الأردن الى صحراء النقب ، فقد تباينت تلك العلاقات اللبنانية - الأمريكية في تلك المرحلة حسب الدعم الأمريكي لإسرائيل من جهة ، والدعم الأمريكي للحكومة اللبنانية من جهة أخرى ، ان الدعم الأمريكي لإسرائيل ساعدها على تقوية مركزها التي بدأت ببعض الأعتداءات الحدودية مع الدول العربية ومن ضمنها لبنان. وفي عام 1967م مني العرب بهزيمة كبيرة وذلك في الخامس من حزيران ، أدت الى إحتلال ما تبقى من فلسطين وكذلك احتلال الكيان الصهيوني بعض الأراضي المصرية والسورية، ان هذه الحرب دفعت الحكومة الأمريكية الى مساندة اسرائيل بكل ما تستطيع من قوة وان ذلك الدعم ساهم في توتر العلاقات العربية الأمريكية ومن ثم اللبنانية ، لكن ذلك التوتر بين الجانب الأمريكي واللبناني لم يستمر طويلاً لأن بعض من الساسة اللبنانيين الموالين للغرب وقفوا ضد قطع العلاقات اللبنانية الأمريكية، بالاضافة إلى ذلك فأمن اثار هزيمة حرب 1967م على لبنان هو تحول المقاومة الفلسطينية إلى الجنوب اللبناني والتي اتخذها بمثابة قاعدة له لشن عملياته الفدائية ضد إسرائيل حيث اتخذت الأخيرة منه مبرراً لاجتياح الجنوب اللبناني فيما بعد. وخلاصة ذلك يمكننا القول أن اغلب التطورات والأحداث السياسية في لبنان كانت خاضعة لعوامل عديدة منها خارجية ودولية ابرزها تتمثل بدور الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة من خلال اقامة علاقات قوية مع إسرائيل وذلك لبنان التي انحازت بعض حكوماتها الى الجانب الأمريكي ، وأقليلية تمثلت بالاعتداءات والتهديدات الإسرائيلية على لبنان.

الهوامش:

- (1) منذر عنتاوي وآخرون ، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1964 ، (بيروت : 1966) ، ص255.
- (2) الفرد لينتال ، ثمن اسرائيل، ترجمة حبيب نحولي وياسر هوارى، (بيروت: د.ت)، ص380 .
- (3) حبيب قهودي وآخرون، اسرائيل خنجر امريكا، سلسلة دراسات مؤسسة الارض 8، مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية، (دمشق:1979)، ص73 .
- (4) برهان الدجاني وآخرون، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1967، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت:1969)، ص691 .
- (5) جيرمي سالت ، «الخامس من حزيران 1967 وجهة نظر استراتيجية» ، مجلة المستقبل العربي السنة الحادية والعشرون ، عدد 232 ، حزيران 1998 ، ص35 .
- (6) F.R. 1964 – 1968 , Volume XV III , , U.S. Effect as Neas East Arms Control .
- (7) سالت ، المصدر السابق ، ص36 .
- (8) F.R. 164 – 1968 , Volume XV III , No. (129) , Memorandum From Secm Secretery of State Rusk to Oresident Jounson , Washington , February 1 , 1965 .
- (9) وليد مرشد وآخرون ، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1966، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت : 1968) ، ص243 .
- (10) F.R. 1964 – 1968 , Volume XV III, No. (168) , Telegram From the Embassy Isreal to the Department of state , Telaviv , February 28 , 1965 .
- (11)اليوميات الفلسطينية، المجلد الثالث، منشورات مركز الابحاث_ منظمة التحرير الفلسطينية، (بيروت:1967)، ص43.
- (12) سالت ، المصدر السابق ، ص36 .
- (13) كولن باول وبيير فوني ، من الحرب الباردة حتى الوفاق 1945 – 1980 ، تعريب : صادق ابراهيم عودة، (د.م : د ت) ، ص223 .
- (14) F.R. 1964 – 1968 , Volume , XV III, No. (129) , Memorandum from secm secretary of state rusk to president Johnson , Washington , February 1 , 1965 .
- (15) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1966 ، المصدر السابق ، ص181 .
- (16)اليوميات الفلسطينية ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص47 .
- (17) يذكر بعض المؤرخين بأنه حلف بغداد وقد دعى اليه الرئيس الأمريكي داويت آيزنهاور ويهدف لكسب الدول العربية وتحالفها مع الغرب ضد الفكر الشيوعي في تلك الفترة. وتشير بعض المصادر ذات السياسة المعادية للمملكة العربية السعودية بأن الملك سعود بن عبد العزيز قد ناقش هذا الحلف مع كلاً من الرئيس التركي جلال بايار والرئيس الأمريكي دوايت آيزنهاور لغزو سوريا وأن الملك فيصل بن عبد العزيز استجاب لما يراه الغرب مناسباً له.ولكن

العدوان الإسرائيلي عام 1967م-1386هـ اظهر كذب ادعاءات هذه المصادر المعادية ، فقد رفع الملك فيصل لواء المؤتمر التضامن الإسلامي بين دول العالم الإسلامي لوقف هذا العدوان على الأراضي الفلسطينية، ويستغل البعض بذكر أن بعض اقطاب هذا التحالف على صلة بشكل او بآخر مع « إسرائيل » كالمملك حسين والحييب بو رقية وشاه ايران والمملك فيصل . وانه اعلن الملكان فيصل بن عبد العزيز وحسين بن طلال في يوم 1 فبراير 1966م-1385هـ عن إتفاق الحلف الإسلامي، ولكن في حقيقة الأمر كان موقف ال سعود من هذا الحلف يصب في مصلحة النظام الملكي المعتدل القائم على الأسلام الذي يرفض الاشتراكية التي تتسم بالاحاد والعلمانية والشيوعية التي تناقض مبدأ الشريعة الإسلامية التي كانت يبرر لها بعض الزعماء العرب . أنظر :

<http://www.allAsyria.info/content/view/6429124/>.

- (18) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1966 ، المصدر السابق ، ص 182 .
- (19) اليوميات الفلسطينية ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص 139 .
- (20) اليوميات الفلسطينية ، المجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص 137 - 140 .
- (21) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1966 ، المصدر السابق ، ص 182 .
- (22) الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1966 ، جمع وتحرير منذر فائق عنتاوي منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، (بيروت : 1968) ، وثيقة 103 ، ص 253.
- (23) اليوميات الفلسطينية مجلد الثالث ، المصدر السابق ، ص 209 .
- (24) الوثائق الفلسطينية لعام 1966 ، المصدر السابق ، وثيقة 103 ، ص 254 .
- (25) هيئة الاحزاب والشخصيات التقدمية والوطنية في لبنان : هو برنامج يجمع الشيوعي وحركة الشعب والتنظيم الناصري وشخصيات مستقلة في لبنان هدفه هو من اجل ان يكون لبنان وطناً لا ساحة ومن اجل اعادة بناء الدولة والمجتمع على اسس وطنية سليمة، للمزيد من التفاصيل ينظر: يوسف ادريس زكو الطائي، مواقف الاحزاب اللبنانية من الصراع العربي الإسرائيلي 1948م، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، (عمان:2021).
- (26) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1966م المصدر السابق ، ص 182 .
- (27) الوثائق الفلسطينية لعام 1966م -المصدر السابق ، وثيقة 105 ، ص 257 .
- (28) باسم جسر وداد الصائغ ، لبنان والتحدي الإسرائيلي ، مجموعة 22 تشرين الثاني ، ط 1 ، (بيروت : 1969)، ص 44 .
- (29) اليوميات الفلسطينية، المجلدان الرابع والخامس، منشورات مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، (بيروت:1967)، ص 245 .
- (30) المصدر نفسه، ص 248 .
- (31) هالة ابو بكرسعودي ، السياسية الامريكية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي 1967-1973، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2 ، (بيروت :1986) ، ص 173 - 174 .

(32) الفريق : يقصد بالفريق هنا الاعضاء الحاضرين بمن فيهم الرئيس التنفيذي بالنيابة هويس (Hoopes) وساوندرز وليامز وكروتجبيلد (Crotchpield) من وكالة المخابرات المركزية ، والعميد سييلي من هيئة الاركان المشتركة للموظفين ، ونيفينز من وكالة الاعلام الامريكي ، ومجموعة اخرى من الحاضرين.

(33) F.R. 1969 – 1968 , Volume XV III , No. (400), Record of Metting of the Inter department Region Group for East and South Asia , Washington March 28 , 1967 .

(34) F.R. 1969 – 1968 , Volume XV III , No. (400), Record of Metting of the Inter department Region Group for East and South Asia , Washington March 28 , 1967 .

(35) اليوميات الفلسطينية المجلدان الرابع والخامس ، المصدر السابق ، ص 421 .

(36) F.R. 1967 – 1968 , Volume XV III , No. (409) , Telegram from tyher Emabssy in Lebanon to the Department of state , Beirut , April 20 , 1967

(37) F.R. 1964 – 1968 Volume XV III, No. (409) , Telegram From the Embassy in Lebanon to the Department of state Beirut , April 20 , 1967

(38) الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1967 ، المصدر السابق ، وثيقة 85 ، ص 124 .

(39) F.R; 1964 – 1968 , Volume Xv III , No. (409) , Telegram from the Embassy in Lebanon to the Department of state , Beirut , April 20 , 1967 .Ibid ;

(40) جورج نصرالله، الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1967، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت:1967)، وثيقة 85، ص 124 .

(41) اليوميات الفلسطينية المجلدان الرابع والخامس ، المصدر السابق ، ص 417 .

(42) المصدر نفسه ، ص 419 .

(43) F.R. 1964 – 1968 , Volume , XV III, NO. (409) , Telegram From the Embassy in Lebanon to the department of state , Beirut , April 20 , 1967 .

(44) F.R. 1964 – 1968 , Volume XV III, No. (909) , Telegram From the in Lebanon to the Department of state , Beirut April 20 , 1967 .

(45) F.R. 1964 – 1968 , Volume XV III, No. (909) , Telegram From the in Lebanon to the Department of state , Beirut April 20 , 1967 .

(46) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1967 ، المصدر السابق ، ص 312 .

(47) اليوميات الفلسطينية ، المجلدان الرابع والخامس ، المصدر السابق ، ص 422 .

(48) المصدر نفسه ، ص 428 .

(49) الوثائق الفلسطينية لعام 1967 ، المصدر السابق ، وثيقة 102 ، ص 147 – 148 .

(50) F.R. 1964 – 1968 , Volume XV III, No. (409) , Telegram from the Embassy Lebanon to the Deparetment of state , Beirut , April 20 , 1967 .

- (51) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1967 ، المصدر السابق ، ص 311 .
- (52) اليوميات الفلسطينية ، المجلدان الرابع والخامس ، المصدر السابق ، ص 463 .
- (53) F.R. 19 , 4 – 1968 , Volume XV III, No. (409) , Telegram from the Embassy in Lebanon to the Department of state , Beirut , April 20 , 1967 .
- (54) F.R. 1964 – 1968 , Volume XV III, No. (411) , Telegram From the Department of State to the Embassy in Lebanon , Washington , April 21 , 1967 .
- (55) F.R. 1964 – 1968 , Volume XV III, No. (411), Telegram From the Department of State to the Embassy in Lebanon , WEashington , April 21 , 1967 .
- (56) هلال ، المصدر السابق ، ص 188 .
- (57) حسين عويضة ، الطيران ودوره في حرب حزيران ، مجلة شؤون فلسطينية، عدد 106، ايلول 1980، ص 83.
- (58) عبد الله سلوم السامرائي ، الولايات المتحدة والمؤامرة على الامة العربية ، القسم الاول ، سلسلة دراسات (بغداد: 1979) ، ص ص 20 – 21 .
- (59) رعد ، المصدر السابق ، ص 164 .
- (60) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1967 ، المصدر السابق ، ص 312 .
- (61) رعد ، المصدر السابق ، ص ص 164 – 165 .
- (62) الوثائق الفلسطينية لعام 1967 ، المصدر السابق ، وثيقة 228 ، ص ص 309 – 311 .
- (63) فتحي عباس خلف مهنا الجبوري ، الحزب التقدمي الاشتراكي اللبناني ، دراسة تاريخية في دوره السياسي 1949 – 1975 ، اطروحة دكتوراه غير منشورة (كلية التربية جامعة الموصل : 2007)، ص 202 .
- (64) اليوميات الفلسطينية ، المجلدان الرابع والخامس ، المصدر السابق ، ص 537 .
- (65) الوثائق الفلسطينية لعام 1967 ، المصدر السابق ، وثيقة 225 ، ص 308 .
- (66) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1967 ، المصدر السابق ، ص 313 .
- (67) السامرائي، المصدر السابق ، ص 21 .
- (68) رعد ، المصدر السابق ، ص 165 .
- (69) اليوميات الفلسطينية ، المجلدان الرابع والخامس ، المصدر السابق ، ص 552 .
- (70) اليوميات الفلسطينية ، المجلدان الرابع والخامس ، المصدر السابق ، ص 552 .
- (71) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1967 ، المصدر السابق ، ص 313 .
- (72) اتفاقية الهدنة : وقعت بين لبنان واسرائيل في 23 آذار 1949 وهي الثانية حسب الترتيب الزمني للتوقيع الذي جرى في راس النافورة لمزيد من التفاصيل حول هذه الاتفاقية انظر : عادل مالك ، من رودس الى جنيف ، الصراع العربي الاسرائيلي في ماضيه وحاضره ومستقبله ؟ ، تقديم الدكتور شارل مالك ، رؤيا الرئيس شارل حلو ، تحليل محمود رياض، دار النهار للنشر (بيروت: 1974) ، ص ص 136 – 141 .

(73) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت: 1977)، ص 574.

(74) جسر والصائغ، المصدر السابق، ص 44.

(75) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1967، المصدر السابق، ص 313.

(76) اليوميات الفلسطينية، المجلدان الرابع والخامس، المصدر السابق، ص 569.

(77) رعد، المصدر السابق، ص 165 - 166.

(78) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1967، المصدر السابق، ص 313 - 314.

(79) اليوميات الفلسطينية، المجلدان الرابع والخامس، المصدر السابق، ص 569.

(80) رعد، المصدر السابق، ص 166.

(81) اليوميات الفلسطينية المجلدان الرابع والخامس، المصدر السابق، ص 575.

(82) وعد، المصدر السابق، ص 166.

(83) اليوميات الفلسطينية المجلدان الرابع والخامس، المصدر السابق، ص 584.

(84) السامرائي، المصدر السابق، ص 25.

(85) الوثائق الفلسطينية لعام 1967، المصدر السابق، و 283، ص 362.

(86) المصدر نفسه، ص 362.

(87) اليوميات الفلسطينية، المجلدان الرابع والخامس، المصدر السابق، ص 626.

(88) الوثائق الفلسطينية لعام 1967، المصدر السابق، و 296، ص 375 - 376.

المصادر والمراجع:

أولاً: وثائق العلاقات الخارجية الامريكية:

- (1) F.R. 1964 – 1968 , Volume XV III, , U.S. Effect as Neas East Arms Control .
- (2) F.R. 164 – 1968 , Volume XV III , No. (129) , Memorandum From Secm Secretery of State Rusk to Oresident Jounson , Washington , February 1 , 1965 .
- (3) F.R. 1964 – 1968 , Volume XV III, No. (168) , Telegram From the Embassy Isreal to the Department of state , Telaviv , February 28 , 1965 .
- (4) F.R. 1964 – 1968 , Volume , XV III, No. (129) , Memorandum from secm secretary of state rusk to president Johnson , Washington , February 1 , 1965 .
- (5) F.R. 1969 – 1968 , Volume XV III , No. (400), Record of Metting of the Inter department Region Group for East and South Asia , Washington March 28 , 1967 .
- (6) F.R. 1969 – 1968 , Volume XV III , No. (400), Record of Metting of the Inter department Region Group for East and South Asia , Washington March 28 , 1967 .
- (7) F.R. 1967 – 1968 , Volume XV III , No. (409) , Telegram from tyher Emabssy in Lebanon to the Department of state , Beirut , April 20 , 1967 .
- (8) F.R. 1964 – 1968 Volume XV III, No. (409) , Telegram From the Embassy in Lebanon to the Department of state Beirut , April 20 , 1967 .
- (9) F.R; 1964 – 1968 , Volume Xv III , No. (409) , Telegram from the Embassy in Lebanon to the Department of state , Beirut , April 20 , 1967 .
- (10) F.R. 1964 – 1968 , Volume , XV III, NO. (409) , Telegram From the Embassy in Lebanon to the department of state , Beirut , April 20 , 1967 .
- (11) F.R. 1964 – 1968 , Volume XV III, No. (909) , Telegram From the in Lebanon to the Department of state , Beirut April 20 , 1967 .
- (12) F.R. 1964 – 1968 , Volume XV III, No. (909) , Telegram From the in Lebanon to the Department of state , Beirut April 20 , 1967 .
- (13) F.R. 1964 – 1968 , Volume XV III, No. (409) , Telegram from the Embassy Lebanon to the Deparetment of state , Beirut , April 20 , 1967 .
- (14) F.R. 19 , 4 – 1968 , Volume XV III, No. (409) , Telegram from the Embassy in Lebanon to the Department of state , Beirut , April 20 , 1967 .
- (15) F.R. 1964 – 1968 , Volume XV III, No. (411) , Telegram From the Department of State to the Embassy in Lebanon , Washington , April 21 , 1967 .
- (16) F.R. 1964 – 1968 , Volume XV III, No. (411), Telegram From the Department of State to the Embassy in Lebanon , WEashington , April 21 , 1967 .

ثانياً: الوثائق الفلسطينية:

- (1) الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1966 ، جمع وتحرير منذر فائق عنبتاوي منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، (بيروت : 1968).
- (2) جورج نصرالله، الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1967، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت: 1967).

ثالثاً: الكتب الوثائقية:

- (1) منذر عنتاوي وآخرون ، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1964 ، (بيروت : 1966) .
- (2) برهان الدجاني وآخرون، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1967، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت:1969).
- (3) وليد مرشد وآخرون ، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1966، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت : 1968) .
- (4) اليوميات الفلسطينية، المجلد الثالث، منشورات مركز الأبحاث_ منظمة التحرير الفلسطينية، (بيروت:1967).
- (5) اليوميات الفلسطينية، المجلدان الرابع والخامس، منشورات مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، (بيروت:1967).

رابعاً: الكتب العربية:

- (1) حبيب قهودي وآخرون، اسراييل خنجر امريكا، سلسلة دراسات مؤسسة الارض 8، مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية، (دمشق:1979).
- (2) يوسف ادريس زكو الطائي، مواقف الاحزاب اللبنانية من الصراع العربي الاسرائيلي 1948م، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، (عمان:2021).
- (3) باسم جسر وداود الصائغ ، لبنان والتحدي الاسرائيلي ، مجموعة 22 تشرين الثاني ، ط 1 ، (بيروت : 1969).
- (4) هالة ابو بكرسعودي ، السياسية الامريكية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي 1967-1973، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2 ، (بيروت :1986).
- (5) عبد الله سلوم السامرائي ، الولايات المتحدة والمؤامرة على الامة العربية ، القسم الاول ، سلسلة دراسات (بغداد: 1979).
- (6) عادل مالك ، من رودس الى جنيف ، الصراع العربي الاسرائيلي في ماضيه وحاضره ومستقبله ؟ ، تقديم الدكتور شارل مالك ، رؤيا الرئيس شارل حلو ، تحليل محمود رياض، دار النهار للنشر (بيروت: 1974).

- (7) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت:1977).

خامساً: الكتب المعربة:

- (1) الفرد لينتال ، ثمن اسراييل، ترجمة حبيب نحوي وياسر هوارى، (بيروت: د.ت)، ص 380 .
- (2) كولن باول وبيير فوني ، من الحرب الباردة حتى الوفاق 1945 - 1980 ، تعريب : صادق ابراهيم عودة، (د.م : د.ت) .

سادساً: الرسائل الجامعية:

- (1) فتحي عباس خلف مهنا الجبوري ، الحزب التقدمي الاشتراكي اللبناني ، دراسة تاريخية في دوره السياسي 1949 - 1975 ، اطروحة دكتوراه غير منشورة (كلية التربية جامعة الموصل : 2007).

سابعاً: المجلات العلمية:

- (1) جيرمي سالت ، «الخامس من حزيران 1967 وجهة نظر استرجاعية» ، مجلة المستقبل العربي السنة الحادية والعشرون ، عدد 232 ، حزيران 1998.
- (2) حسين عويضة ، الطيران ودوره في حرب حزيران ، مجلة شؤون فلسطينية، عدد 106، ايلول 1980.

ثامناً: شبكة المعلومات الدولية الانترنت:

- (1) <http://www.allAsyria.info/content/view/6429124/>